

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

للشاعر

(١) شعر

- قصائد أولى ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- أوراق في الريح ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط ٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- أغاني مهيار الدمشقي ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- المسرح والمرايا ، ط ١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

وقت بين الرماد والورد ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقبي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط ٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

(٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيدة ومنقحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري .

(دار الساقي ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

المسوقية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وأفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .
ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
 - مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
 - مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
 - مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- (الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكاية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- مهاجر بريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
- سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
- منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .



هذا هو اسمي
وقصائد أخرى

www.alkottob.com

www.alkottob.com

أدونييسو

الامام الامير

هذا هو اسمي

وقصائد اخرى

الاسمى

منشورات



Author: ADONIS

Title : The Poetical Works, II

Al Mada : Publishing Company

First Published in 1996

Copyright © Al mada

اسم المؤلف : أدونيس

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية /

هذا هو اسمي وقصائد أخرى

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٧٧٢٠١٩ - ٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٢٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in aretrieval system , or transmited in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرتُ أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر : القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص هير الموزونة في مجلد . يتخلّى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي ... الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره . هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها . وهي ، إذن ، المعتمّدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦
أدونيس

www.alkottob.com

الفراغ

1

حطام الفراغ على جبهتي
يمدّ المدى ويُهَيِّلُ التراباً
يُتَلَخَّلُ في خطواتي ظلاماً
ويمتدّ في ناظريّ سرايا .
هنا ، عبرَ دربي ، يموت ربيعٌ ويصفرّ ريفُ
هنا ، في عروقي ، صدىٌ للجفاف ودمدمةٌ وصريفُ
هنا ، في دمي يولد الخريفُ
وفي حاضري يتَمَرَأى ،
وتبعد عني ، تبعد شمس المصير ، وتناي .
وينخطو الخريف وينمو هوىٌ ويحنُ
ويكبرُ : في خطوه حالمون ،
وفي صدره ساحرون وجنُ .
حطام الفراغ يغيّب نجمي ، يجمّد أرضي
ويترك بعضي كهوفاً لبعضي ،
ويجعلنا كالفراغِ

حطامُ الفراخِ .

2

وفي أرضنا شبحٌ يتمطى
سراباً ورملاً
ويملاً أعماقنا يياساً
ويملوها دُكْنَةً ومخلاً .
وفي أرضنا مَلَلٌ يُبدع المقابرُ
وينثرها ، عبرَ أيامنا ، أنيناً وعبرَ خطانا ، مجازرُ .
هنا الحقْدُ ركزَ راياته
وشرَّعها قِمةً وطريقاً
يحطُّ على توقنا صقيعاً
ويضرمُّ في حبنا حريقاً .
والحقْدُ في شعبنا
بلادُ وشعبُ
له ساحةٌ واصطخابٌ وحربُ
يوسخُ أجواءنا
ويحفرُ أبناءنا
كهوفَ ضلالٍ وقبحِ ،
ويصفعُ في وجههم كلُّ نجمٍ
وينخنقُ في جفنهم كلُّ صبحِ .

نوافذ أَيْامِنَا حُطِّمَتْ
 وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا سِتَارٌ
 وَفَجَّرَ أَسَاطِيرُنَا مَغْلَقٌ
 يَخِيطُ أَجْفَانَهُ الْغُبَارُ .
 وَأَطْفَالُنَا بِهَجَّةٍ تَمْمَحِي
 وَمَقْبِرَةٌ وَانْتِحَابٌ
 لَهُمْ تَتَلَهَّفُ حَتَّى الْقُبُورُ
 لَهُمْ يَتَلَهَّفُ حَتَّى التَّرَابُ
 فَاْمَسِ ، الْفِرَاحُ ، فِرَاحَ الْمَتَاهَاتِ ، ضَيِّعَ أَحْلَامِهِمْ
 وَضَيِّعَ آمَالِهِمْ
 وَأَنْبَتَ فِيهِمْ بَذُورَ الْعَوَاتِ
 وَأَطْفَأَ فِيهِمْ ضِيَاءَ الْحَيَاةِ
 وَأَمْسَ فِرَاحَ الْمَتَاهَاتِ أَحْرَقَ بِلْدَانُنَا
 وَخَرَّبَ عِمْرَانُنَا
 وَبِالْأَمْسِ ، كَانَ يَجُوبُ فِي شَعْبِنَا
 وَيُرْذَلُ مَا عَزَّ مِنْ حَبْنَا
 وَكَانَ يُطَوَّفُ عِبرَ الْمَدِينَةِ
 وَيَطْرُدُ مِنْهَا السَّكِينَةَ
 وَعَامَلَهَا فِي يَدَيْهِ ، يَشْلُ يَدَيْهِ...
 وَيَسْلُبُ حَتَّى جَبِينَهُ

ويمضي ، وخلف خطاهُ تَتَنُّ وتندب أبوابها الحزينه .

4

فراعُ زمان بلادي فراعُ

وتلك المقاهي

وتلك الملاهي

فراعُ

وهذا الذي ذلَّ في أرضهٍ وأنكرها واستكانا

ولوَّث أنهارنا وربانا ،

فراعُ

وذاك الذي ملَّ من شعبيه

ومن حبهٍ

وغمَّس باليأس أعماقهُ

وأحداقهُ ،

فراعُ

وذاك الذي لا يرى غيرهُ

ولا يجد الخير خيراً ، إذا لم يكن خيرهُ ،

فراعُ فراعُ .

فراعُ يعيشُ فيه الدمارُ

ويسكنه الفاتحون التتارُ

هنا ، حَرَمٌ يُوطأ ،

هنا شرفٌ يصدأ
هنا عالمٌ يهدأ
ويوقف عن سيره ويُردُّ .

لمن جيلنا يحرق البخور لمن يسجد
وأى إله تُرى يعبد؟
لمن ينتمي ويشدّ يديه اعتداداً
ويحيا له صيحةً وجهاداً؟
لمن فصل اليوم ليلاً وشمساً
وسوى له العمر أنا وأمساً ،
لمن يترى ، لمن يكبر؟
تكاد ، على عقمه ، الآلهة
تعاف قرابينه الوالهة
وتركلهم واحداً واحداً
وتكبر عنهم وتستكبرُ .

5

فراعٌ فراعٌ . . . الأثورة
تشيد لنا بيتنا
وتجري معاصرها زيتنا
وتملأ بالحاصدين الحقولا

وتملأ بالخلق ، بالثورة العقولا؟
ألا ثورة في الصميم تُنشئنا من جديد
وتمحقُ فينا هوانَ العبيدِ؟
ألا ثورة في الصميم تُبدع من أولِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفان أبنائنا على الزمن الأجملي
على العالم الأفضل ،
ألا ثورة ، ثورة في الصميم تبذع من أولِ؟

6

أفي موطني يُولد الفراغ أفي عمره؟
ونحن المليثون من فطرة الوجود ومن سره؟
بنا يفرح الزهر والماءُ
يفرح حتى الحجرُ
وتفرح في أرضنا الينابيع يفرح فيها الشجرُ
فنحن نراها ونحن شذاها
ونحن تفتّحها المنتظر .

7

بلى في بلادي أنا ثورة
تُنور أزهارها

ويهدر إحصارها
وفيها دمٌ نائرٌ
يُعمّر دنيا ويهدم دنيا
على كبره تستفيق الحياةُ
وفي دَفْقِهِ تتعالى وتحميا .
بلى في بلادي أنا خالقونَ
وساعٌ كأفاقها الواسعه
نقيون كالشمس في عُرْبِها
فتيون كالأنجم الطالعه .
يُحبّون في أرضهم كلَّ شيءٍ
ولا يياسون ولا يحقدونَ
ويبنون من جرحهم صرحها
ويروون من دمهم صبحها
ويستقرون ويستخلصونَ
همُ المشرقون على أرضنا صباحاً أصيلاً
هم الواقفون على مجدها الزمان الطويلاً .

بلى في بلادي أنا خالقونَ
بنبض سرايينهم عمروها
محو عتمة اليأس واليائسين بأجفانهم
بفرحتهم لامتلاك الوجود ، بأحزانهم

هنا دَفَقُوا دَمَهُمْ فِي الزَّمَانِ
هنا اختصروا عمرهم في ثواني
هنا ملأوا كلَّ شيءٍ بِقِينَا

ولم يبق في شعبنا فراغٌ
ولم يبق في أرضنا فراغٌ
وها في بلادِي ، بلاد الفراغ ، يموت الفراغُ .

8

بلى في بلادِي لكلَّ الزمان لكلَّ المصير اكتناهُ
وإن شوّهوهُ
وفيها لنخلق ، لصيرورة الحياة إلهُ
وإن أنكروهُ .
سنملاً آياتنا بالمحبة ، نشرع فيه النفوسَ دروباً وألويةً وننودا
ونجعل من كبرنا اللّهب ونجعل من حبنا الوقودا
وتفتح أجفانها الحقيقةُ
على الطلّة الأصيلة فينا على الصيحة العميقة
ويلقى الزمان الجديد طريقه

9

صغار بلادِي شموعٌ مضيئة

صغار بلادي يغنوننا
أغانيهم البريئة
يقولون : «في أرضنا ثورة
تُفجّر من أول
حياة الغد المقبل
وتفتح أجفاننا
على الزمان الأجملي» .
يقولون : «في أرضنا
يموت الذين أزاغوا وزاغوا
يموت الفراغ» .

(دمشق ، 1954)

العمل

للعمل
شمر زئد الأمل
وانطلقا ،
يزرع في ساعده
يزرع فيه الأفقا .
عمر في ضميره
معمله ومصنعة
وحقله وجنة
في حقله مضيعة
بالشوك بالتمع بنى
مسكته ورضعته
كأنه من أول
ينمو به ويكبر
في وعيه ، في صدره
مستقبل يختمر .

أصله الكفاح في الصخور

من أول العصور

فهو على امتدادها كالنسخ ، كالجذور .

ها زرعهُ ، ينبت في جفونه ويؤرفُ

كأنه أجنحة ترفرف .

وفي غدٍ على ضفاف حبه يطوفُ

له السماء جبهة وقامة ومعطفُ .

ها زرعهُ ، مثل فيه مسكنهُ

مثل فيه شعبه وموطنه .

حقوله المحروثة المنحدّة

له ، لكل شعبه مجنّده

يلمح في نموها

أجياله المختلده

يلمح فيها بيته

وناره وموقده

وشمعة راهبة مبتهله

ترقد عند رأسه

راعشة مشتعله

وتهدأ

يُولد في رمادها

كفاحه ويبدأ .

في بيته حكاية طويلة تتسردُ
يكمنُ فيها الأبدُ
يرغفها الرغيفُ ،
والمعجن النظيف
وهي وراء البيدرِ
تلَهْفُ ، وطفلة صغيرة لم تكبرِ
وهي أمام المصطبة
عباءة مقصبة
شائخة مهذبة
وهي ، على الحصير
والتخت والنخوانِ
وفي لهيب المدفاه
زؤعة مختبئه
تسكبُ في الزمانِ
حرارة المصيرِ .
يا زندا يا مشمرُ
يا ثورة في أرضنا ، في عمرنا تُفجرُ
يا عرقاً يندفقُ
يغرق فيه الشفق
مطرزاً بالحلم
محملاً بالألم

ويا دمًا تفتحًا
في السَّاعِدِ المَشْرِعِ
وبرَعَمَا
يا زَنْدِ يا مَشْمُرُ
يا ثورَةَ في أَرْضِنَا في عَمْرِنَا تُفَجِّرُ
أَنْتَ لَنَا التَّجَدُّدُ
والكَبِيرُ والتَّمَرُّدُ
أَنْتَ لَنَا الحَيَاةَ والبِنَاءُ
والأَرْضِ والسَّمَاءُ
يا لَهَبِ المِجَامِرِ
يا زَنْدِ يا مَمْرَدُ
أَبْدِغِ لَنَا أَرْضَ الأَمَلِ
أَرْضَ العَمَلِ
وَارْزَمْ عَلَيْنَا ظِلَّهَا
وَمَلِّهَا
وَعُنَّا
سُقْسُقَةَ الجِداوِلِ
وَحَلِّنا
نَكْبِرُ مَعَ السَّنابِلِ
والتَّوتِ والنَّخِيلِ
والفَجْرِ والأَصِيلِ

وخلنا
نشرع زند الأمل
للعمل .

في الأرض في حقولها
في صدرها المشقق
في سرها المفتق
نكشف عن نفوسنا
وننتمي ونرتقي
نَبسط فيها العُمر
نعمائلاً وأنهرنا .
يا عمَلُ
يا واضعاً حدودها
يا مشرعاً بنودها
قل نحنُ نحنُ العملُ
نحيا له ونُجبلُ
وقل على فؤوسنا
ينتظمُ المكانُ
وقل على زنودنا
يتبدى الزمانُ .

الثانو

(مقاطع)

1

شُدُّ يا ثائرُ ، يا عاصف ، زنادك
فالأعالي تشتهي ، تعشق بِنَدك
ما هو العالم بعدك؟

هذه زلزلةُ ترنو إليك
نُشئت تحت يديكا ،
فأثرها
وأدرها
وليكُ إلا حدَّ حلك .
وسَّع الدنيا إذا شئت ،
وإن شئت اختصرها :
جُمعَ التاريخ عندك .

2

لك غنيتُ حياتي

لكَ رَيْبٌ عَلَى الثَّورَةِ ذَاتِي .
كَلَّ حَرْفٍ فِي نَشِيدِي
طِينُ إِنْسَانٍ جَدِيدٍ
يَتَغَذَّى بِكَ بِالشَّمْسِ الْعَتِيقَةِ
يَتَغَذَّى بِالْحَقِيقَةِ...

3

يُولدُ التَّارِيخُ فِي شِعْخَةِ صَدْرِي
فِي انْتِفَاضَةٍ
وَيُتَلَقَّى فِي دَجَى الْمَوْتِ بِيَاضَةٍ
كَلَّ فَجْرٍ .

4

سِرٌّ مَعِي يُحْفَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْيَقِينِ
وَالْحَنِينِ .
سِرٌّ مَعِي نَفْتَحُ عَلَى الْمَغْلَقِ بِأَبَا
وَكِتَابَا .
سِرٌّ مَعِي تُشْبِكُ عَلَى الْحَلْمِ الْجَفُونِ
وَيَكُونُ
كَلُّ مَا لَيْسَ يَكُونُ .

5

في رواينا نداءاتُ ترودُ
موطناً بكرةً جديددا ،
إن في التيه شريدا
سيعودُ .

6

حولك العالمُ تعبَانُ وفي عينيه ظلمةُ
لا يرى ، لا ينقش اللفتة في المغمض نجمة .
وهو لا ينسجُ للصبح رداءهُ
وبهائه .
لا تسلهُ
رمله نشفَ نبعه
وانتسلهُ ،
تحرقُ العتمةُ شمعةً .

7

عبرَ أيامك في المستقبلِ
موعداً لم ينجل .
لك فيه طفلةٌ ترضع ، كالثدي ، السنينا
وتسوي لك يسراها ، من الحب ، يمينا .

لك فيه قلقٌ مَدُّ يديه
وطوى الكونَ إليه ،
لك فيه قصَّةٌ لم تكملِ
قصَّةَ المستقبلِ .

8

زندك المتعبُ يجري نَهراً ، يرفع بيتنا
وهو في قنديلنا الشاحب يساقط زينا .
ها هنا يسبح غيمه
وتعاريش وخيمه
أنتِ صليتِ عليها وانحنيتِ :
زندُ ، يا مُتعبُ ، يا خالقُ ، من أين أتيتِ؟

9

في سواد الأفقِ
تتهاوى صاعقةُ
حُمَّلتِ بالشفقِ
بالفصول العاشقةُ .

10

عندنا تنبتُ للصخر جفونُ

30

وعيونُ
عندنا يُنْسَجُ للغيمِ سريرُ
وحصيرُ
عندنا تشعر كالناسِ الجبالُ
والتلالُ
كلُّ شيءٍ عندنا يحملُ فأسه
ويُغيرُ،
ينتضي كالحشمِ بأسه
ويسيرُ .
كلُّ شيءٍ عندنا ينحتُ صلوةً
بيديه
ناغهِ واخنُ عليه
يُكشَفُ المجهولُ عبرةً .

11

كلُّ جرحٍ
هو في آفاقنا طلَّةٌ صَبَّحِ .

12

بُحُّ صوتُهُ
هو كالشرنقة الصفرَاءِ ، يحيا فيه موته .

شاردٌ حَطَّ خطاهُ فوق زلَّةٍ
وهوى ، إلا أقلَّةُ
ليس يدري ، أهو القبر ، أم القبر سواءُ؟

13

يا أغاني في حناياه تمورُ
وتثور...
زئيره
واغمريه ،
واكتبي فوق ترابه
بعضَ ما به ؛
فهو الآن ، كما صور ، فحمة ،
وغداً يطلع نجمه .

14

أين ذنبي ،
حينما أوقف للثورة قلبي
وأصلي لدواليه ، لريفه
لخريفه ،
وأنقيهِ ، أنقي خفقاته
من سباته

من دياجير حياتِه ...
أين ذنبي
حينما أفتح للعالم قلبي؟

15

في بلادي تشرق الشمس المضيئه
كالخطيه .

16

أي نار
لم تصلصل : «قلبه الأهبّ جمري وأواري»
أي فرقد
لم يقل : «عيناه معبذ» .

(صوت)

أنا ، هذا الضحى لَمَمْتُ أُنْبَعَاثَاتِي
وسويتها لشعبي عيدا ...
فليكن بعدي الضحى تقليدا .

www.alkottob.com

مجنون بين الموتى

[مأساة في أربعة مشاهد]

(يصور هذا العمل عالم جندي خرج من الحرب ، وقد أصيب بخلل عقلي وتشوّه في أن معاً . فهو يتخيل دائماً أنه يتحدث مع أصوات الذين رأهم ، يملء عينيه ، يقتلون حوله : ذلك انفلقت جبهته ، وهذا تفرّرت أحشاؤه ، والأخر يحسرج ، وغيره فتت نثرة ، نثرة) .

الأشخاص

الجندي المجنون المشوه ، أصوات ، الصدى

www.alkottob.com

المشهد الأول

الجندي ، الصدى

[الليل هادئ ، صافٍ . يشرف الجندي ، في وقفته ، قريباً من بيته
المنعزل في طرف القرية ، على واديٍ سحيق] .

الجندي : (بغني وهو يربط خيط حذائه العسكري الذي بقي معه لسبب ما) .

تنهض بي وترتمي

مطرقةً من الدم

كأنما طينها

يحبسني في قُقمٍ .

الصدى : م . . . مي . . .

الجندي : (لم ينته من ربط حذائه)

بي الروابي تُمهّدُ

بي الزمانُ يُحصّدُ

خرافة الحياةِ

والبدء والممات

مرسومةً بشكلي

محفورةً بذاتي .

الصدى : تي . . . تي . . .

الجندي : (متابعاً غناه) .

كنتُ وما برحتُ
شيئاً من الكفاحِ
والياسِ والجراحِ
لو متُ لاسترحتُ .

الصدى : ت . . . ت . . .

الجندي : (يجلس وهو يغني)

لأيِّ جمالٍ وحبٍّ وخيرٍ
أحاربُ غيري؟
لأيِّ قضيةٍ

أوسخُّ بالحقد ، فيّ ، عروقي وكلّ شعوري
وكلّ خليّة؟

(يتوقف لحظة ثم يتابع)

لِلاشيءٍ أصبغُ بالآفك عيني ،
وجبهة أرضي
وأخنق نبضي ،
وأفصل بين الوجود وبينني .

الصدى : ني . . . ني . . .

الجندي : (يتابع غناه وهو يفك من جديد سيور حلأته) .

خرم من الأصدااء في سمعي نفوة

أنتي صرتُ مشوّة
يَضْمُرُ الممكنُ في نفسي والشكل الصحيحُ

كلّ ما شئت سرابٌ كلّ ما جمعت ربحُ .

(ينهض ، ثم يتابع بشيء من الرعشة)

في عروقي قلقُ

في جفوني أرقُ

ولكم أكره في القلقا

والأرقا

ونجوم الليل ، والليل وهذا الأفقا .

الصدى : (ويسمع طويلاً حاداً)

قا ... قا ...

المشهد الثاني

أصوات ، الجندي ، الصدى

(يتمدد الجندي على العشب ، كأنه يريد أن ينام ، يزداد لمعان النجوم

تلقاً ، تبدو للهدوء الشامل أغوار أخرى) .

صوت : يا عابر الطريق

مرّ على شقيقي

وابحث خلال بيتي

عن كفن لميت :

عباءة طرّزتها بقصب العقيق

يا عابر الطريق

الصدى : ق . . . ق . . .

صوت آخر : يا أيها الخيال

عنيّ ما يقال؟

من مات ، من تبقى؟

من ساد واسترقاً؟

بعدي ، بعد موتي ما قيل؟ ما يُقال؟

هل بطل السؤال

هل أمكن المحال؟

يا أيها الخيالُ

الصدى : قا... ما... لو... لو... .

صوت آخر: كان في جيبِي الصغير قصيدة

كتبتها مفاصلي وشراييني وأودعتها الحياة

الجديده

كيف صارت؟ وأين؟ أشعر أنني غائبٌ ، همُّ

ضوءها أن يُعيدة .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر: أسمع همس طفلٍ غُمس بالدُموعِ

يلعبُ في ضلوعي ،

أحسّه أمامي ضرعاً من الضروع ،

يطفر في الرُوابي يضيغ في الزروع .

الصدى : عي... عي... .

الجندي : (يتنفض مذعوراً ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويحدق أمامه) .

ماذا يُريد الصدى مِنِّي... ماذا يُريدُ؟

وفي من رجعه ألفُ فمٍ أو يزيدُ... .

(يتابع محدقاً ، يدها خشبتان ، وصلبره مغارة) .

ما العارُ ، ما الغارُ؟

ما الفرقُ ، في موتي ، إن ضمّني

نبيح ، أو اجتثثني النارُ؟

وجودنا محض سديمية

ونحن في السديم أقدارُ
ليس مع الموت جديدٌ يُرى
وليس في الحياة أسرارٌ .

الصدى : (أقوى هذه المرة ، وأكثر حدة)

رؤ... رؤ... رؤ...

[ينهض الجندي ، سيور حذائه محلولة ، حاسر الرأس... يده اليمنى

تتحرك كأنها قطعة واحدة معلقة بمسمار في حائط كتفه واليسرى كأنها

تحتضن خاصرته] .

المشهد الثالث

أصوات ، الجندي ، الصدى

[لا يزال الجندي واقفاً . يجلس قريباً من مكانه الأول . في هذه اللحظة يسقط شهاب من السماء ، ويعكر الهدوء الشامل عواء ابن أوى . هاتان الحادثتان تثيران فيه ، كما يبدو ، مشاعر مبهمه غريبة تنطق بها قسماات وجهه . يعاود تمدده ، ويود لو ينام] .

صوت : عِشْ لِلْحَقَّةِ

واقتحمها

واغتتمها

كلّ شيء ، بعدها ، وهمّ ولقطة .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : قُلْ لطفلي

أن يرى العالم والأشياء مثلي .

الصدى : (لا يكاد يسمع) ل . . .

صوت آخر : سوّ صدري وبقايا اللحم فيه وصلبيّة

أغنياتٍ للحبيبه .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : أكره الناس والحياة
أي شيء يخافه من تخطأهم ، ومات؟

الصدى : يا ... حات ...

صوت آخر : كنتُ أحيأ كالغرابِ البرص
ثرةً في قفص .

الصدى : ص ... صي ...

صوت آخر : كحذائي
يبرق العالم شمسي الرواء
وكوجهي كل كنه .

الصدى : ني ... هي ...

صوت آخر : عند جيبِي .
تنتهي الدنيا ويبدو كل غيب .

الصدى : بي ... بي ...

الجندي : (وكأنه يتحدث بلا وعيه)
من أنا ... أي عَصافه

تخذت شكل خرافه؟

الجندي : (متابعاً وكأنه لم يسمع شيئاً)

كالحجره

لا أشعرُ

لا أقدرُ

جُسدُ عُمري في حذاءِ هَرِي ، في مطرَه .

صوت : (يصعد قوياً ، حاداً)

قم انهضِ

واهربْ من الموت وشمّرْ واركضِ .

الجندي : (ينتفض ، ويجلس ، قدماء ممدودتان ، ودلائل الخيل على وجهه) .

يا . . . كيف ، كيف أنهضُ

والموت في مفاصلي

في داخلي

يفتح عينيه على تشوّهي ، ويُغمضُ .

(يتوقف برهة ، ثم يقول متابعاً) :

في جسدي ثقلُ الزمنِ

ثقل الخراب والدّمْن

في جسدي يدُ الكفنِ

يدُ العفنِ .

(بعد فترة وجيزة ، وبلا مبالاة)

فيه الكيانُ المحضُ واللاكيانُ

كالموج ، في الصراع ، لا يهدأ

لا الأمس من عمري ولا أيّ أن .

المشهد الرابع

الجندي ، الأصوات ، الصدى

[ينهض الجندي ، ويتمشى بخطوات وثيلة في منحدر الوادي ، حاسر الرأس ، ولا تزال سيور حلأيه محلولة] .

الجندي : (متمتناً) ما المصير؟

صوت : (عميقاً ، مديداً ، يبدو كأنه صدى) .

شَلَلٌ ، طَرَحٌ . . . يطيرُ .

الجندي : (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمنى)

ما الإله؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما كانَ سواه .

الجندي : (متطلعاً إلى فوق) .

ما المغيب؟

الصوت والصدى معاً : حاضرٌ بالظنّ ، بالخوف يُطَيّبُ .

الجندي : (غاضباً بصره) ما البداية؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما صار نهاية .

الجندي : (وهو يضغط على جبينه بأصابع يده اليسرى ، ويده اليمنى في جيبه) .

ما الحقيقة؟

الصوت ، فقط : شُرطِي شقّ بالسوط ، طريقة .

الجندي : (ملتفتاً وراه ، نحو بيته)

ما الزمان؟

الصوت والصدى معاً : ضفدعٌ تقّ ، ورملاً ودخانٌ

الجندي : (متوقفاً عن سيره الوئيد)

ما الحياة؟

الصوت والصدى معاً : سِرْبٌ أطفالٍ صغارٍ .

عمّروا كوخاً من العشب وماتوا .

[يحاول الجندي أن يتابع سيره ، فيعثر ، ويسقط ، ويتدحرج على المنحدر... في هذه اللحظة ، يختلط كل شيء ، الأصوات والأصداه وصوت الجندي وصوت تدحرجه... ويبدو العالم كأنه عاد إلى السديم]

(القنيطرة ، 1956/2/2)

www.alkottob.com

السديم

[مأساة في ثلاثة أدوار]

إلى مجانين العالم

(تعبّر هذه المأساة عن مرحلة نفسية عشتها . حين كتبتها كنت
أجلس ، فعلاً ، في غرفة صغيرة مع ثلاثة مجانين ، وكنت أشعر أن
العالم يلدولي من خلالهم) .

الحياة قصة يرويها أبله .

شكسبير

يمكن للحقيقي أحياناً ، ألا يشابه الحق .

برالو

من المعقول أن تحدث أشياء كثيرة ضد المعقول .

أفانتون

الأشخاص

المجنون الأول ، المجنون الثاني ، المجنون الثالث

الدور الأول

[المكان غرفة صغيرة ، جدرانها تراب مدهون بالأصفر والأزرق ، سقفها أشبه ببيت عنكبوت ، خيوطه من الخشب ، فيها أربع طاقات ، ثلاث منها مغلقة ... والأصح مسدودة تكسوها حصر التصقت بصحنها ، نتنه ، يقبع في إحدى زواياها ثلاثة أشخاص : رأس الأول مخلوق يلمع كالزيت ، شبه عار يلبس قميصاً بنصفي كم ، فتح على صدره فتحة دائرية واسعة ، في يده خِرْقَ أخرى ، يعاينها ويتفحصها ويقول إنه يصطاد منها «ذئب النوم» ، ويعني القمل .

يتكوى الثاني إلى الجدار ، يلتحف بغطاء أسود ممزق ، على رأسه شملة معقودة حول عنقه . مثبتة بحزام أحمر عُقد عقدة ذات شعبتين ، تسترسل فوق جبهته وتلطم حاجبيه وجفونه أحياناً .

ويحضن الثالث مِرْقة جريئة علق بها شيء من السكر يلحسها بحركة من لسانه ، معتوهة ، له لحية طويلة يختلط فيها البياض والسواد بشكل يبدو أخذاً .

الثلاثة غارقون في حديث مبهم يبدو أنه لا ينتهي ، رغم أنه ليس في ملامحهم ما يدل على أنهم فعلاً غارقون في مثل هذا الحديث . كانوا أشبه بجزيرة منعزلة بين الأشخاص الآخرين في الغرفة الصغيرة التي تتموج بهم] .

المجنون الأول : في داخلي تتكوّن

أشياء هذا العالم

وبأصلمي تتلوّن

وبخاتمي :

هي كالعاسي ، بالخديعة والضلال

تُهوّن .

المجنون الثاني : (دون أن يبدو أنه يشارك الأول في حديثه)

ماذا؟ أليس عن القدر

نسخ البشر

سفر الوقائع والمصير

وتفكروا

وتبصروا :

فهنا الحقيقة كالتفاضلة لوئت طرف

الحصير

وهنا الضحى يتحلزن

فوضى : صباح لا يرى وألوهة تتوئن .

المجنون الثالث : (بلهجة صوفية وكأنه أدرك ما قيل)

يا شمس لونك حائل

يا أرض أسك مائل :

للصخر أرداف تَهزُّ وللتراب جدائل .

المجنون الأول : (بسرعة) ماذا تقول؟

المجنون الثالث : حبلت بقاتلها العقولُ .

[تخيّم فترة من الصمت يعكّر هدوءها المجنون الثاني ، وهو

يلكز المجنون الثالث قائلاً] .

المجنون الثاني : حدّق ، جدارُ الغرفة السوداء

المجنون الثالث : (ببلاهة) ماذا؟

المجنون الثاني : ينطقُ

في مقلتيه زئبقُ

يتلو صحائف قلبه ويعيدها ويمزقُ .

حدّق ، أراه يُحدّق .

المجنون الثالث : (يلتفت فتقع عينه على ثقب في الجدار)

ذاك ثقبُ

عبره تنشب حربُ .

المجنون الأول : (وهو يلتفت إلى الجدار ويحدّق فيه)

تلك فتحة

عندها خبأ ليل العُمر صبحة .

والزوايا

هي للموت مرايا .

المجنون الثاني : (ببرودة) للجدارِ

عنقُ لفّ بغارِ

وشرارِ

سطحةُ كأسٍ وخمرٌ وثناياه جوارِي .

(يلتفت إلى المعجون الصامت ويتابع)

لبس الحائط خُفَّةً

مَدَّ كَفَّهُ

وعلى العالم سلَّم

(يتابع مقهقهة)

يا... تكلم.

الدور الثاني

[المكان ذاته . المجنون الأول يجلس القرفصاء ، يده اليسرى تلعب فوق ركبتيه . عيناه ضالعتان . يده اليمنى تحك تارة صدره وتارة رأسه . يجلس الثاني ويده اليمنى تستند ذقنه ، واليسرى لا مكان ثابت لها . أما الثالث فعيناه إلى الأرض] .

المجنون الثالث : (يسمع وقع أقدام) ما الناسُ ، ما سوانا؟

المجنون الأول : (بلهفة) دودٌ على خطانا

ومنخرا ذبابةً ،

ملساءً كالسحابة .

المجنون الثالث : (بسرعة) وحُفْرٌ مليئةٌ

بالقَيْءِ والنخيشة .

الدور الثالث

[المجانين الثلاثة يتضحكون ويتهايمسون بحركة لا تفتقر . قام الأول
وخطا بضع خطوات ، ثم عاد وجلس . وتمدد الثاني وهو يتشاءم . ثم رجع
إلى وضعه الأول . والثالث يفرك يديه] .

المجنون الثالث : (مشيراً إلى تزاويق على الجدران)

في مدى هذي الحديقة

ألفُ بحرٍ وحديقة

المجنون الأول : (بشيء من الحدة) لم تقل أنت الحقيقة

هذه خيطان سحرٍ قزحيات رقيقة

صاغت السلم طيرا

وبياض الكلس ديرا .

المجنون الثاني : (متطلماً من الطاقة المفتوحة ، مشيراً إلى ما يبدو منها ، من الفضاء) .

أي شيء هو هذا

ولماذا؟

المجنون الثالث : (بتعقل الشينوخة)

هو بحرٌ من هواءٍ صبيغٍ للشمس مَلَاذا ،

وهو للعميان مرسمٌ
ولجرح الموت بلسمٌ .

المجنون الأول : والطيورُ

أكرَّ فيه تدورُ .

المجنون الثالث : (يُفاجأ بفراشة تدخل من الطاقة ، فيصيح)

ها فراشة ،

بجناحيها كسا الأفق فراشة .

المجنون الأول : (يظن أن الفراشة سنونو ، فيصيح وكأنه لم يسمع ما قاله المجنون

الثالث) .

ها ، سنونو

أه لو أني كالطير أكونُ

أه ، لو أني حمامه

أو غمامته .

[يصمت الثلاثة فترة قصيرة ثم يفاجئهم المجنون الثالث قائلاً

وهو يشير إلى جملة الأشياء ، حواليتهم] .

المجنون الثالث : هذه الأشياء سوداء غريبة

المجنون الثاني : (بلهجة مكتشفة)

هي لم تكتب على لوح الخرافات العجيبه

لم تُبين .

المجنون الثالث : هي في الخلق سديمٌ بعده لم يتعين .

(يصمت ثم يتابع ، وكأنه يضرب أمثلة)

الرّوايى

صلواتٌ وخوايى .

والجدائرُ

قفصٌ يبيكى ونازٌ .

المجنون الأول : (مقلداً لهجة المجنون الثالث)

والحصاةُ

شهدٌ نحلٌ لا يُسمى

قطرت منه الحياةُ

هي في النشأة أفعى

وهي في الرجعى صلاة .

والمأذنُ .

المجنون الثالث : (مقاطعاً) هي للصبوت منازنُ .

(صبمت ، ثم يتابع بلهجة الحكيم)

كلّ عرّفٍ .

محض إشكالٍ وخلفٍ .

المجنون الثاني : (بلهجة الحكيم أيضاً) والعالم اختلاطُ

وحجرٌ يخاطُ

وموجة تهنئسُ

وهو ، أوآنٌ يُدرّسُ

كتابةٌ منيهمه

تُزري بكلّ ترجمه .

المجننون الأول : (بشيء من العيوس)
من محال الكون أن تمحو
في الكون الخطيئة
فهي للخلق بناءً
ورداءً
وهي بالحق مليئة .

المجننون الثالث : (بفرح ممزوج بالحزن)
ومن الباطل أن تُقْبَصَى عن الباطل أرضُ
فهو في العالم قَرْضُ .
المجننون الثاني : (بنبرة موافقة)

نظف الأرض من الشر ، فلن تلمح خيراً
واحذف الأفق يصر كل دبيب فيه طيراً .
المجننون الأول : (بابتسامة خفيفة)

لتكونا
لتصير الجواهر العالي على كل حياة
ومعات ،
عد سكونا
صيرُ ترابا
أو كتابا .

(تمر فترة صمت ، يضحك المجنون الثالث فجأة ، وهو يقول)
ألقُ النهار وسادةً

وبداية الليل امرأة
والموت أول شاعرٍ
تخذ النهايةً مبدأه .

[تسيطر على الثلاثة بالعدوى ، أو بغيرها ، نوبة كبيرة من

الضحك ، فيرقصون ويغنون] .

ليس في العالم إمكانٌ للغزِ

أو لرمزٍ

فلقد يختبئ العالم في كِسرة خَبْزٍ .

(القنيطرة ، سورية ، السجن العسكري ، أواخر آذار ، 1956)

سمعته وفمه حجارة

- ١ -

سمعته وفمه حجارة :

«خطاي لا أريدها ،

ثقيلة ، رتيبة .

وهذه سلاسل

أموت في رنينها ، -

سلاسل حديدتها إله .»

وقال والتراب في جفونه ، وصوته غواية :

«الساعة التي تجيء ، لم تجيء» .

- ٢ -

نافذتي التي ربطت ناظري بصورتها

مغلقة ،

وبصري مكفّن

وحاضري دم ... مصائر رهينة ووطن مسور بموته ،

والآخرون - الكون في بيوتهم
والله فوق طبق من العقول مُتَرَفِّه .

- ٣ -

أغَيَّرَ الحَيَاةَ : شَكَّلَ سِيرَهَا
وَأَدْمِيًّا مَوْثِقًا بِخَبِيزِهِ
يَغْتَصِنُ بِالهُوَاءِ - يَبْقَى اللهُ فِي حَلْقَوْمِهِ مَعْلَقًا ؛
وَلَا يَزَالُ صَوْتُهُ
يَجْتَاحُنِي ، وَقَمِهِ حَجَارَةٌ :
«خَطَايَا لَا أُرِيدُهَا . . .»

- ٤ -

«تُرى ، تُرَاهِ جَسَدِي يُعِيدُنَا؟
وَهَلْ يَكُونُ مَوْتِي انْبِعَاطًا؟
وَهَذِهِ حَيَاتُنَا :
مُرْتَلُونَ مَوْسَقُوا سِرَابِهِمْ ،
وَبَيْنَ كُلِّ خَطْوَةٍ وَخَطْوَةٍ
مَخَاوِرٌ تَأْلَهَتْ ، وَنُصِبٌ .
وَمَاتَ قَبْلِي الْمَسِيحُ ، مَاتَ آخَرُونَ ، بَعْدَهُ...
تُرى ، تُرَاهِ جَسَدِي يُعِيدُنَا؟» .

— ٥ —

سمعتة ، وفمه حجارة ، يقول : «بَعْدُ ، لا نرى
والساعة التي يقال إنها آتية ، توقفت» .
وقيل ، أمس غاب . غاب صوته
وقيل مات : وجهه غواية
وناظراه أفق ، نوافذ جديدة ،
وساعدها جدولاً شقائق .
وقيل : من خفوا إلى وداعه
تهامسوا وتمتموا :
«أبالدّم انتهى الدّم؟» .

(بيروت ، 1957/3/15)

www.alkottob.com

البعث والرماد

(قصيدة في أربعة أناشيد)

www.alkottob.com

١- الحلم

أحلم أن في يدي جمرةً
آتيةً على جناح طائرٍ
من أفقٍ مغامرٍ
أسمٌ فيها لهباً ... قرطاجة العصور،
المح فيها امرأةً
يُقال صار شعرها سفينةً ؛
المح فيها امرأةً - ذبيحة المصير .

أحلم أن رثتي جمرةً
يخطفني بنورها يطيرُ بي لبعثك ،
بعثك مذبح ،
يُقال فيه طائرٌ مولءٌ بموته
وقيل باسمِ غده الجديد باسمِ بعثه
يحترقُ
والشمسُ من حصاده والأفقُ .

٢ - نشيد الغربة

فينيقُ ، إذ يحضنك اللهبُ أي أُنقِ تروده؟
والزغبُ الضائعُ كيف تهتدي لمثله؟
وحينما يغمرك الرمادُ ، أي عالم تحسه
وما هو الثوب الذي تريده - اللون الذي تحبه؟
وما تُعاني حينما تهمدُ كل خلجة؟
والسحرُ الذي امتلكت شمسه الأميرة
فينيقُ ، ما يكون؟
وما تكون الكلمة الأخيرة - الإشارة الأخيرة؟

غريتكَ التي تُميت ، غُرتي
غريتكَ التي تُحب ، تنتشي
غريتكَ التي تموتُ هلعاً لغيرها
غريتكَ التي تموتُ ولعاً بغيرها
غريتكَ التي تُميت ، غرتي - لا أمٌ فوق صدرك الموثق
باختناقهِ
لا أبٌ يُحييك حنو قلبه .

غربتك ، الوحيد فيها ، غربتي
غربة كل خالق يحترق
يولد فيه الأفق .

أغنيتي ، يقال عن أغنيتي ،
غريبة ،

ليس بها من الركام وتر ولا صدى
وجبهتي ، كما يقال ، مثلها غريبة .
غربتك التي تُميتُ غربتي
أزحتُ عن وجودي الركام والفراغ والدُجى
بلهفتي إلى السوى — بحبي العظيم ؛ لاتزال خلفي البوابة
الكبيرة ، السلاسل — الفراغ والركام والدُجى ،
ترصدني ، تُعلقُ التفاتها بخطوتي .
مُسرّدٌ أحبُّ حتى المالمين جبهتي سلاسلًا
الكامينين في الدروب غيلةً
مُسرّدٌ أحسنني طفولةً
أحسني أرفعُ بعلبكي العاشقة ، الوالهة الحجازُ
أحترقُ ،
يكبر في الأفق — يولد في الأفقُ
وحيثما يستيقظُ الصباحُ
يطلعُ لي ، من أول ، جناحُ

مثلك يا فينيق
يا أيها الرفيق .

للموت ، يا فينيق ، في شبابنا
للموت في حياتنا
منابع ، بيادر
ليس رياح وحدة ،
ولا صدى القبور في خطوره .
وأمس مات واحد
خبا وعاد وهجه
كان يرى بحيرة من كرز
حريقة من الضياء ، موعداً .
خبا وعاد وهجه
من الرماد والدجى
تأججا .

وها ، له أجنحة بعدد الزهور في بلادنا
بعدد الأيام والسنين والحصى
مثلك يا فينيق فاض حبه
علا ، أحسن جوعنا له ، فمات - مات باسطاً
جناحه ، محتضناً حتى الذي ومده .

مثلك يا فينيقُ
يا حاضنَ الربيعِ والَّهَبِ
يا طيرِي الوديعَ كالتعبِ ،
يا رائدَ الطريقِ .

٣ - رماد عائشة

سمعتُ أنَّ عندنا
سمعتُ أنَّ بيننا
ثلاثةٌ من الركامِ يعشقون موتهم
واحدُهم مغارةٌ
والآخران صدأٌ :
«ربّاهُ ، لو نموتُ ، صار لحمنا
شرائحاً من الحصى .
رباهُ ، لو نموت . كان عمرنا عبادةً
فجدُّ لنا بداركُ
بأبدٍ يدومُ في جواركُ» .

ثلاثةٌ من الفراغِ -
واحدٌ مغارةٌ
والآخران صدأٌ :
«ربّاهُ ، كم تزلزل الجدارُ في عظامنا
وانطفأ السراجُ والصباحُ في عيوننا

وجمدت صلواتنا على اسمك القديم
ونسيت قلوبنا اللذائذ الخطايا
أمله بوعدك الكريم .

ثلاثة من الركام ، يكبرون كالحصى
وكالحصى يفكرون ، واحد مغارة
والآخران صدأ ، صدى لها :
«يا رب صبرت آخراً :
مفاصلي مسامر
وركبتاي خشب .

ربي هنيئ موضعاً مباركاً لعبدك اللليل
هنيئ مقعداً منعماً أكوابه من ذهب
وفضة ، ولدائه مخلدون ...

هنيئ الخلود في جوارك الحبيب ، يا إلهي .
ثلاثة من الفراغ يكرهون عمرهم
فللفراغ عندنا

مجامر كعلبك ؛ للفراغ ناره وموته وبعثه :
ما أروع الحريق ، ما أجله

ما أعظم العراك ، أي بطل سينتهي
لمن يكون الزمن الذي يجيء ،

والعراك هل يموت ، هل يخف ، هل يظل قائماً؟

عائشة جارتنا العجوز مثل قفص مُعلقٍ
تؤمن بالركام والفراغ والطُورِ
وبالقضاء والقدرِ

أهدايا منازل النجوم ، كلّ نجمةٍ خيرٌ
عائشة تقول إنّ عمرنا سحابةٌ بلا مطرٍ
تقول إنّ الأرض أبشعُ الأكرِ

صوّرها الإله تحتَ عرشه
ومن علّ دخرجها

خطيئةً كأنها البشرُ :

«يا ويل ، ويل من كفر»

يا سَعْنَةُ من اعتبر» .

عائشة جارتنا تقيّة ،

يحبّها القريبُ والبعيدُ

والمندُ الكثيرة الشوارع المزيّنة بالطُورِ .

يحبّها الحاضرُ في بلادنا ، الكامنُ فيها ورماً

ولا فتاتٍ زيتةٍ

وقفصاً من الذباب أخضراً .

عائشة جارتنا تقيّة ،

حياتها جلودٌ صوفٍ وخرافٌ ورعٍ

وحكمةٌ تعودُ بالأرض إلى سديمها

تحتجز الحياة في تكيّةٍ

من ورقِ الرمالِ
وطُحَلبِ الليالي .
عائشةُ جارتنا ، فينيقنا الجديدُ في حياتنا
كبيرةُ فارعة القوام تأخذ البصرُ
وتأخذ القلوب ، يا فينيق ، والفكرُ
كأنها القمرُ .

١- ترتيب البعث

فينيقُ ، يا فينيقُ
يا طائرَ الحنين والحريقُ
يا ريشةً
ساحبةً وراءها الظلام والبريقُ
مُسافرٌ خُطاكِ عُمُرَ زهرةٍ
لِفَتَتِكَ انخِطَافَةً وناظِرَكَ مِنْجَمٍ ،
مُسافرٌ زَمانِكَ الغدُ الَّذِي خَلَقْتَهُ
زَمانِكَ الغدُ - الحضورُ السرمديُّ فِي الغدِ
لموعِدِ :
به تصير خالقاً ، به تصير طينةً
تتحدُّ السماء فيك والشرى
فينيقُ فِي طريقك التفتُ لنا
فينيقُ حُنٌّ وَأَثَدُ
فينيقُ مُتٌ ، فينيقُ مُتٌ
فينيقُ ، ولتبدأ بك الحرائقُ
لتبدأ الشقائقُ

لِتَبْدَأُ الْحَيَاةُ
فَيْنِيقُ ، يَا رَمَادُ ، يَا صَلَاةُ .

نِيرَانُنَا جَامِحَةَ الْأَوَارِكِي يُوَلِّدُ فِينَا بَطْلًا
مَدِينَةً جَدِيدَةً
نِيرَانُنَا الْخَفِيَّةِ الْحُدُودِ فِي جَدُورِنَا
تَمَجِّدُ الْهَنْيئَةَ الَّتِي بِهَا
يَحْتَرِقُ الْعَالَمُ كَمَا يَصِيرُ عَالَمًا مِثْلَ
اسْمِكَ ... الرَّمَادِ وَالتَّجَدُّدِ
مِثْلَ اسْمِكَ ... الْحَيَاةِ ، وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي تَمُوتُ فِدِيَّةً ،
تَحْرِقُنَا ، تَرْبِطُنَا بِرِيشِكَ الْمُرْمَدِ
لِنَهْتَدِي .

فَيْنِيقُ ، أَنْتَ مَنْ يَرَى ظِلَامَنَا
يَحْسُ كَيْفَ نَمُحِي
فَيْنِيقُ مَتَى فَدَى لَنَا
فَيْنِيقُ وَلِتَبْدَأُ بِكَ الْحَرَائِقُ
لِتَبْدَأُ الشَّقَائِقُ
لِتَبْدَأُ الْحَيَاةُ ،
يَا أَنْتَ ، يَا رَمَادُ يَا صَلَاةُ .

فَيْنِيقُ ، يَا فَيْنِيقُ

في معزلٍ عن الفراغ واليباب والدجى ،
أرى إليك تجمع الزمان - هذا الحطب الحلوب
مثل منبع
ترفعه حريقاً

أرى إلى جناحك انتشى ، علا ، هوى
أرى إليك في اللهب غارقاً

في معزلٍ عن الرمال واليباب والدجى
أرى إليك لهباً ، أرى إليك جمرة غريبة
أليفة ضاحكة إلى الضحى

في عزلةٍ عن الركام واليباب والدجى
أرى أرى رمادك
كأنه استعادك
كأنه أعادك .

فينيقُ خلٌ بصري عليك ، خلٌ بصري :
المعج خلال نارك الغيب الذي يختبئ - الذي
يلف جرحنا ،

والمعج الركام والرمال والدجى
والله في قماطه ، الله الذي تلبسه أيامنا
حراثقاً وغصصاً وجدراً
تلبسه ولا ترى .

وأفرحاً ...

«سيدتي ، يا كتفَ الاسمنت ، يا خواصر الحديد ، يا تكيّة
تهدّمت ، ولا تزال حيّة عامرة .

سيدتي أنا اسمي التجددُ

أنا اسمي الغدُ

الغدُ الذي يقتربُ ... الغد الذي يبتعدُ .

في مهجتي حريقة ذبيحةً

فينيقُ سرّ مهجتي

وُحِدَ بي ، وباسمه عرفت شكلَ حاضري

وباسمه أعيش نار حاضري ،

سيدتي المعجوز لستُ شاعراً

بالخطر الذي ترين ، ها يدي مليئةٌ بلحمها

هادرةٌ بدمها

وها أنا أسيرُ ، دائماً أسيرُ ، خطوتي

تحبّني ، وقدمي عاشقةٌ غبارها ، نافضةٌ غبارها

ولا أزال شاعراً يقوّني

صدري في علوه ،

وجبهتي كأرزة» .

وأفرحاً ...

«يُفْتَحُ صدر عالم أهدابه المحبةُ

البساطةُ ، الغدُ الذي لا تضمّر الشمس احتمالَ مثله .

تحضننا الألوهُة الرَّائِمةُ التي تحسّ مثلنا - التي تحسّ معنا .

فينيقُ خُلُ بصرى عليك ، خُلُ بصرى ،

فينيقُ مُتْ ، فينيقُ مُتْ

فينيق ، تلك لحظة انبعاثك الجديد :

صار شبّه الرماد ، صار شرراً

والغابرُ استفاق من سباته

ودبّ في حضورنا :

«البطل استدار صوب خصمه

للوحش ألف خنجرٍ

أنيابه مطاحنٌ

والظفر السنينُ سُم حيةٍ .

والبطلُ القويُّ مثلُ حملٍ

تموزُ مثلُ حملٍ - مع الربيع طافرٌ

مع الزهور والمحقول والجداولِ

النجمية العاشقة المياء ،

تموز نهرٌ شرر نفوس في قراره

السماء . تموزُ عُصنُ كزّمةٍ

تُخبئه الطيور في أعشاشها ،

تموزُ كالإله .

البطل استدار صوب خصمه

تموز يستدير نحو خصمه :
أحشاؤه نابعة شقائقاً
ووجهه غمامٌ ، حدائق من المطر .
ودمه ، ها دمه جرى
سواقياً صغيرةً تجمعت وكبرت
وأصبحت نهر
ولا يزال جارياً - ليس بعيداً من هنا -
أحمر يخطف البصر .
واندثر الوحش وظل خصمه الإله
ظل معنا شقائقاً
جداولاً من الزهر
وظل في النهار .

البطل اهتدى ، مضى لموته
لا ، لن أرى جبينه الغريق في غيومه
الغريق في بذوره
ولن أخيط صدره ببؤبؤي
لا ، لن أراه مطراً وجثة من الرياح
مطراً وجثة من الحقول والحصاد
لن أرى صوانة الحياة في رماده
ففي غدٍ أرى إليه صورةً جديدةً في بطلٍ يحبه

وفي غدٍ أسمعهُ أغنيةً حزينةً مفرحةً .

فينيقُ ، تلك لحظةُ انبعاثك الجديدِ ؛
صار شبةُ الرمادِ صار شرراً ولهباً كواكبياً
والربيعُ دبُّ في الجذورِ ، في الثرى ،
أزاح رملَ أمسنا - العجوزَ والثلاثةَ :

الركامِ والفراخِ والدُّجى ،
فينيقُ خلَّ جبهتي أسيرةً لذيك في غلوكِ البعيدِ عن جفوننا ،
البعيدِ عن أكفنا

وخلّني لمرةً أخيرةً ، الأمس الترابَ في جناحك الرّميمِ -
خلّني

لمرةً أخيرةً

أحلمُ أن رثيَ جمرةً

آتيةً على جناح طائرٍ

من أفقٍ مغامرٍ ،

وخلّني أشمُ فيها اللهبِ الهياكليّ ، - ربّما ليصوّرَ فيها سِمةً

وربّما تجسدت قرطاجةً :

دقائقُ الغبارِ فيها لهبٌ

وخلّني لمرةً أخيرةً

أحلمُ أن رثيَ جمرةً

يأخذني بنحورها ، يطيرُ بي !

ونخلني لمرّة أخيرة:
ها ركبتني حنيتها
وها جلست خاشعاً
فخلني لمرّة أخيرة أحلم يا فينيق
أحتضن الحريق
أغيب في الحريق
فينيق ، يا فينيق
يا رائد الطريق .

(بيروت ، 1957/5/10)

www.alkottob.com

الصقر

«وأقبلت الخيل فصاحوا علينا من الشط : ارجعا لا بأس عليكما ، فسبحت ، وسبح
الغلام أخي ، فالتفت إليه لأقوي من قلبه ، فلم يسمعي واغتر بأمانهم ونخشي الغرق ،
فاستعجل الانقلاب نحوهم ، وقطعت أنا الفرات ، ثم قدموا الصبي أخي الذي صار
إليهم بالأمان فضربوا عنقه ومضوا برأسه ، وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ،
ومضيت إلى وجهي : أحسب أنني طائر وأنا ساع على قدمي .»

عبد الرحمن الداخل

(صقر قريش)

www.alkottob.com

١- أيام الصقر

هدأت فوق وجهي بين الفريسة والفارس الرماحُ
جسدي يتدحرجُ والموتُ حُذيةُ والرياحُ
جثثُ تتدلى ومرثيةُ ، ...
وكانَ النهارُ
حجرٌ يثقبُ الحياةَ
وكانَ النهارُ
عرباتٌ من الدمعِ ،

غَيْرَ رنينِكَ يا صوتُ ،
أسمعُ صوتَ الفراتِ :

... «فَرَيْشُ ...
قافلةٌ تُبحرُ صوبَ الهندِ
تحملُ نارَ المعجذِ .
... والسَّماءُ على الجُرحِ مَمْدُودَةٌ ، والضُّفافُ
تتهامسُ ، تَمْتَدُّ :
بيني وبين الضُّفافِ

لُغَةً ، بَيْنَنَا حِوَارُ
حَضَنَّتُهُ الْكَرَامِيُّ ، طَافَتْ بِهِ كَالشَّرَاغِ
بَيْنَنَا ، ...

وَأَفْرَاتَاهُ ، كُنْ لِي جَسْرًا ، وَكُنْ لِي قِنَاعًا .

وَتَرَسَّبْتُ ،

غَيْرَ رَيْنِكَ يَا صَوْتُ ، أَسْمَعُ صَوْتَ الْفِرَاتِ :

... «فَرِيشٌ» ...

لُؤْلُؤَةٌ تَشَعُّ مِنْ دِمَشْقٍ

يُخَيِّبُهَا الصَّنْدَلُ وَاللَّبَانُ

أَرَقُّ مَا رَقَّ لَهُ لِبْنَانُ

أَجْمَلُ مَا حَدَّثَ عَنْهُ الشَّرْقُ ...»

... وَأَنَا فِي فِضَاءِ الْجِنَادِبِ تَحْتَ الْغَيْومِ الْجَرِيحَةِ

حَجَرٌ مَيِّتٌ الْقَوَادِمِ ،

وَالْمَوْتُ يُسْرَجُ أَفْرَاسَهُ ،

وَالذَّبِيحَةُ

بَجَعٌ يَتَخَبِّطُ ،

غَيْرَ دَوِيِّكَ يَا صَوْتُ

أَسْمَعُ صَوْتَ الْفِرَاتِ :

... «قَرِيشٌ» ...

لم يَبْقَ من قَرِيش

غير الدِّمِّ النَّافِرِ مثلَ الرُّمَحِ

لم يَبْقَ غيرُ الجُرْحِ»

إِفْتَحِي يَا بَرَارِي مَصَارِيحَ أَبْوَابِكِ الصُّدُثَاتِ :

مَلِكٌ وَالْفَضَاءُ خِرَاجِي وَمَمْلَكَتِي خُطُواتِي

مَلِكٌ أَتَقَدَّمُ أَبْنِي قُتُوحِي

فوقَ هَذَا الجَلِيدِ المَوْصَلِ ، فوقَ الجَمُوحِ

أَعْرِفُ أَنْ أَجْرَحَ الرَّمْلَ ، أَزْرَعُ فِي جَرِحِهِ النُّخَيْلَا

أَعْرِفُ أَنْ أَبْعَثَ الفَضَاءَ القَتِيلَا ،

وَالطَّرِيقُ يُدْخِرُ أَهْوَالَهُ وَيَضِيقُ

وَالطَّرِيقُ مَرَايَا

كُتُبَ وَمَرَايَا

أَتَقَرَّى تَجَاوِيفَهَا

أَتَفَرِّسُ

المَسُّ فِيهَا بِقَايَا

فَارِسِ عَاشِقِ الخُطَى

أَقْرَأُ الخُطُوةَ والعُشْبَ والنُّخَيْلَ ، وَأُفْقَاً

نَسَجَتَهُ التَّنْهَدَاتُ القَصِيرَةَ

حَيْثُ لَا يَهْدَأُ الحَرِيقُ

حيث لا تنتهي الخطوات الأميرة .

في الشقوق تفيّات
كنت أجسّ الدقائق
أمخضُ نذّي القفار
سرتُ أمضى من السّهم أمضى
عقرتُ الحصى والغبار
كانت الأرض أضيق من ظلّ زُمحيّ - مُتْ
سمعتُ العقارب كيف تصيء ، هديتُ القَطَا في المجاهل -
مُتْ ، انحنيتُ على الأرض أكثر صبراً من الأرض - مُتْ
انكبتُ على كاهل الريح
صلّيتُ
وشوشتُ حتّى الحجاز
وقراتُ النجوم ، كتبتُ عناوينها ومحوتُ
راسماً شهوتي خريطة
ودمي حبرها وأعماقي البسيطة .

ساهرٌ بين جذري وأغصانه والمياه
فضيتُ ،

والتّوابع مملوءة الجباه
زهرأ يابساً وقبوراً وديعة ،

صاعدهً لِبُرُوجِ التَّحَوُّلِ حَيْثُ الْفَجِيعَةُ
حَيْثُ يَسْأَقُطُ الرَّمَادُ
حَيْثُ يَسْتَيْقِظُ النَّشِيجُ وَيَنْطَفِئُ السُّنْدُبَادُ .

لو أنني أعرفُ كالشاعر أن أُغَيِّرَ الفصول
لو أنني أعرف أن أكلَمَ الأشياءَ ،
سحرتُ قَبْرَ الفارِسِ الطَّغْلَ على الفراتِ
قبر أخي في شاطئِ الفراتِ
(ماتَ بلا غَسْلٍ ولا قَبْرِ ولا صَلَاةٍ)
وقلتُ للأشياءِ والفُصولِ
تواصلي كهذه الأجوأ
مُدِّي لي الفُراتِ
تخلِّيه ماءً دافِقاً أخضرَ كالزيتونِ
في دَمِي العاشقِ في تاريخي المسنونِ .

لو أنني أعرفُ كالشاعر أن أُشاركَ النَّباتِ
أعراسَهُ ،
قَنَعْتُ هذا الشَّجَرَ العاريَ بالأطفالِ ،
لو أنني أعرفُ كالشاعر أن أدجِّنَ الغرابِ
سَوَّيتُ كلَّ حَجَرٍ سحابةً

تُمْطِرُ فَوْقَ الشَّامِ وَالْفِرَاتِ ،

لَوْ أَنِّي أَعْرَفُ كَالشَّاعِرِ أَنْ أُغَيِّرَ الْأَجَالَ

لَوْ أَنِّي أَعْرَفُ أَنْ أَكُونَ

نَبِيَّةً تُنذِرُ أَوْ عَلَامَةً ،

لَصِخْتُ يَا غَمَامَةَ

تَكَائِفِي وَأَمْطِرِي

بِاسْمِي فَوْقَ الشَّامِ وَالْفِرَاتِ

يَا اللَّهُ يَا غَمَامَةَ . . .

السَّمَاءُ انْفَتَحَتْ ،

صَارَ التَّرَابُ

كُتُبًا ، وَاللَّهُ فِي كُلِّ كِتَابٍ

سَاهِرٌ

لَمْ يَبْقَ فِي عَيْنِي سَرَابٌ ، —

عَلَامَةٌ تَأْتِي مِنَ الْفِرَاتِ :

أَنَا هُوَ السَّاكِنُ فِي طَوْقِكَ يَا حَمَامَةَ

فِي سُرْبِكَ الرَّاحِلِي يَا خَطَّافُ

أَنَا هُوَ الْوَاضِعُ كَالْعَرَافِ

رُؤْيَاهُ وَالْعَلَامَةُ

فِي الْأَفْقِ فِي لُغَاتِهِ الْكَثِيرَةِ

أَنَا هُوَ الْفِرَاتُ وَالْجَزِيرَةُ .

علامة ...

مهلك يا حنيني ...

الصقْرُ في باديةِ العروقِ في مدائنِ السَّريَّةِ
الصقْرُ كالهالةِ مرسومٌ على بؤابةِ الجزيرةِ
والصقْرُ تطريرٌ على عباءةِ الصَّحراءِ
والصقْرُ في الحنينِ في الحيرةِ بين الحلمِ والبكاءِ
والصقْرُ في متاهةِ ، في يأسه الخلاقِ
يَبني على الذُّرَّةِ في نهايةِ الأعماقِ
أندلسَ الأعماقِ
أندلسَ الطالعِ من دمشقِ
يحمل للغربِ حصادَ الشُّرقِ .

يكتسبُ الصقْرُ للفضاءِ لمجهوله السُّخِّيَّ
سائلاً عن مكانٍ ، كشرابهِ نقيَّ
يومي الصقْرُ للصقورِ -
مُتعبٌ ، حملتهُ متاهاتهُ ، حملتهُ الصخورُ
فحنا فوقها ، يغذي متاهاتهِ ويغذي الصخورُ
وجهه يتقدمُ والشمسُ حوذيةُ ،
والفضاءُ
موقدٌ ،
والرياحُ عجوزٌ تقصُّ حكاياتها ،

والصقور
موكبٌ يفتحُ السماءَ ؛

يرفعُ كالعاشقِ في تفجرٍ مریدٍ
في وئهِ الصبوةِ والإسراقِ
يرفعُها للكونِ ... هذا الهيكلُ الجديدُ
كلُّ فضاءٍ باسمه كتابٌ
وكلُّ ریحٍ باسمه نَشيدٌ .

(بيروت ، ربيع 1962)

تمولات الصقر

كادت الفاقة أن تكون كفراً .

حديث شريف

عجبت ممن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس

شاهراً سيفه .

أبو ذر الغفاري

www.alkottob.com

١- فصلك الدمع

هدأت صبيحة البراري :
الغيوم تسير على النخل
تجنح في آخر النخل وردية الصواري ؛

هدأت صبيحة الرجوع :
أسألها - دمشق لا تجيب
لا تنقذ الغريب
- «هل مر؟ إن يمر
مات بلا صوت هنا أو سير» .

ساكن حيث تغفو تطيل الزفير
في حقول البكاء
في السرير الذي فرشته الدموع
في الممر الصغير
بين أجفانها والسماء .

... هدأت صبيحة الرجوع :

ليس في عيني شيء من حياتي
غير أشباح حزينه
غير أن الشجر الباكي على أرض المدينه
عاشق يسكن قلبي ويفني أغنياتي ؛ -

يا مرايا الضياع الطويل
غيري صورة القمر
لم يعد وجهها هناك
أمس كنا على القمر
فراينا عارياً
ورائنا في الثياب
وصنعنا من النظر :
كان وجهاً من التراب .
غيري صورة القمر
لم يعد وجهها هناك
يا مرايا الضياع الطويل ...

هدأت صيحة الرجوع :

أمضي ويمضي معي الفرات
تتبعني الأشجار كالأيات

تتبعني عينان من مجامر السنين -
أرقصُ في خواصر التَّنينِ
مع نجمةٍ سوداءِ .

غيرَ أن الصَّواري
نغمٌ جارحُ القرارِ :
«إن جسمي ومالكيه بأرضِ
وفؤادي ومالكيه بأرضِ» (١) .
هدأت صبيحة الرجوعِ
غيرَ أن الصَّواري وطنٌ للدموعِ :

«... ولو أنها عقلت ، إذن لبكتُ
ماءَ الفراتِ ومنبتَ النَّخْلِ» (٢) .

هدأت صبيحة الرجوعِ :
حائرٌ حائرٌ ، ولي لغةٌ تهدرُ منحنوقةً ولي أبراجُ
حائرٌ أصلبُ النهارِ ويُغويني رعبٌ في صلبه وهياجُ
حائرٌ تأخذ الشواطئَ ميراثي وتحمي صباحي الأمواجُ ،

«... غنيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهقِ
بالقفرِ ، والإيطانِ في السُّرادقِ
فقل لمن نامَ على النَّمارقِ

إنَّ العُلَى شُدَّتْ بِهِمْ طَارِقُ
فَارَكِبْ إِلَيْهَا شَبَّحَ الْمُضَائِقِ
أَوَّلَا ، فَأَنْتَ أَرِذْلُ الْخَلَائِقِ ، (٣) .

هدأت صبيحة الرجوع :
طاغ ، أَدَخِرْجُ تَارِيخِي وَأَذْبَحُهُ
عَلَى يَدَيْ ، وَأَحْيِيهِ ،
وَلِي زَمَنَ أَقْوَدُهُ ، وَصَبَاحَاتُ أُعَذِّبُهَا
أَعْطِي لَهَا اللَّيْلَ ، أَعْطِيهَا السَّرَابَ ، وَلِي
ظِلَّ مَلَأَتْ بِهِ أَرْضِي
يَطْلُونَ ، يَرَى ، يَخْضِرُ ، يَحْرَقُ مَاضِيَهُ وَيَحْتَرِقُ
مِثْلِي
وَنَحْيَا مَعًا نَمِشِي مَعًا وَعَلَى
شِفَاهِنَا لُغَةً خَضْرَاءُ وَاحِدَةً
لَكِنَ أَمَامَ الضَّحَى وَالْمَوْتِ نَفْتَرِقُ .

هدأت صبيحة الرجوع :
أحلم يا دمشق
بالرعب في ظلال قاسيون
بالزمن الماضي بلا عيون
بالجسد اليابس ، بالمقابر الخرساء

تَصِيحُ : يا دمشقُ
موتي هنا واحترقي وعودي
تَصِيحُ : لا ، مُوتي ولا تَعودي
أيتها الطريدة المليئة الفخذين يا دمشقُ .
يا امرأة منذورة لكل من يجيءُ
للحظ ، أو للعابرِ الجريءُ
ترقدُ في حُمى وفي ارتخاءُ
تحت ذراع الشرقِ
رسمتُ عينيكِ على كتابي
حملتُ ميراثك في شبابي
في الغوطة الخضراء في سفوحِ قاسيونُ
يا امرأة للوحدِ والنخيلةِ
أيتها الغواية المضيئةُ
يا بلداً كان اسمه دمشقُ . . .

أمس ،
أنا والشعرُ والنهارُ
جئنا إلى الغوطةِ واقتحمنا
بِوابةِ الرجاءِ
نستصرخُ الأشجارُ
نستصرخُ الحقولَ والمياه

ننسج منها رايةً وجيشاً
نفزو به سماءك السوداءً
ولم نزلْ ننسج يا دمشقُ
لا الموتُ يُلهينا ولا سِواهُ
أنتى لنا الموتُ أو الراحةُ يا دمشقُ؟

وأسي في نومي يا دمشقُ
سويتُ تمثالاً من الصلصالِ
حفرتُ في خطوطه البيضاءً
تاريخك الأسود يا دمشقُ
ورحتُ في رُعبٍ وفي ابتهاجِ
أسقط كالزكزال
على روايي جلق الجميلة
أحضنها أضربها أغني ... هاها هلا هلالُ
وقلتُ : لا ، فلتَبقَ في حنيني
وفي دمي دمشقُ
وقلتُ : لا ، فلتَحترقِ دمشقُ
واستيقظتُ أعماقي القتيلة
مدعورةً تصيحُ : وأدمشقُ ...
يا امرأةَ الرّفصِ بلا يقينِ
يا امرأةَ القبولِ

يا امرأة الضوضاءِ والذَّهولِ
يا امرأة مليئة العروقِ بالغاباتِ والوحولِ
أيتها العارية الضائعة الفتحذين يا دمشق ،
تُصغين للموتى وللقبور والتكايا
تُصغين في خشوعٍ
وتعشقين الجثث الصفراء والضحايا
وتأكلين الطينَ والدموعَ
أيتها المنهومة القاضمة القشور يا دمشق ...

يا حُبُّ ، لا ...
عفوك يا دمشق
لولاك ، لم أهبط إلى الأغواز
لم أهدم الأسوار ،
لم أعرف النار التي تُنادي
تُصبح في تاريخنا ، تُضيء
سفينة الكون الذي يجيء ؛
عفوك يا دمشق
أيتها النخاطة القديسة الخطايا ...

٢٠١ ، ٢٠٢ أبيات تنسب إلى صقر قريش ، (عبد الرحمن الداخل) .

٢ - فصلك الصعود إلحا أبراج الموت

مرّ عليّ اللّهبُ الطّالع بعد الرّجْم
والتّحمت في خَطْوَيَ الجُسورِ
أعرفُ أن أجريَ مثل الماءِ
في رِقّةِ الصّحراءِ
أعرف بعد الآن أن أُغَيّرَ العصورِ
أن أمزجَ العصورَ بالعصورِ
أعرف أن أعيدَها
قصيدةً أو ثورةً أو حلمً . . .

أسرعي يا سحابة
أي أغنية تُنشدِين؟
أسرعي أسرعي يا سحابة
ما الذي تحملين
أي جبانةٍ أو ربابه؟

المح نهرًا يُسافرُ، يكتبو وينهض في رأسيّ البعيدِ

عاشقاً يتقصى رؤاها
جالباً أخذاً بريدي
حفرة المسافة بيني وبين خطايا ...

خيمتي زوجة تلين كأطرافي
وتحنو ، وتنحني ، وتضيق
صدئت ، والبريق
حجر جالس على طرف الوجه نبي لدمه وصديق .

ما الذي تحملين
أي أغنية تشدين؟
أسرعي أسرعي يا سحابة ...
جسدي ضائع ، صار قبري كالخيوط في كفة العباءة
في الدجى ،
والشباك التي تتصيد أشباحه ، ووهم الإضاءة .

أسمع صوتاً يجر على الرمل أيامه الثقيلة
أسمع أحلامه القتيله
كل حلم قبيلة
والنخيام حناجر مشدودة والحبال صلاة :
« علقينا هنالك ، بالنخل بالعشب

حيث الحياةُ

وأرْبطينا إلى الماءِ ...

... «لا ماءَ ، لا عاصمَ ، والنبِيُّونَ ماتوا» .

أسمعُ تحتَ المناديلِ بينَ الرُّكَّامِ

في الضُّحَى ، في انكسارِ السَّماءِ على الأرضِ ،

في دَرَجَاتِ الظَّلَامِ

وهي تعلو وتَسْقَطُ ، بينَ المدينةِ والشمسِ ،

بينَ الصِّدى والأنينِ

أسمعُ مثلَ الحنينِ

مثلَ نبْضِ اللَّيْونَةِ في صخرةٍ لا تَلينُ

مثلَ دَفْقِ الينابيعِ مثلَ الكلامِ :

... «نحنُ يا جائعُ كُنَّا مُتَّخِمينُ

لم يكنِ موكبنا يمشي وراءَكَ

لم يكفِّكَ ولا صَلَّى عليكِ

نحنُ يا جائعُ لم نسمعِ نداءَكَ ...

نحنُ صرنا جائعينُ

فتقبَّلنا لديكِ ،

أمس ، عدنا مُتعبينُ

فارتَمينا وتوسَّدنا السُّنينِ

وحلمنا ،

ورأينا

أَنَا فِي الْحَلْمِ صَلَّيْنَا عَلَيْكَ . . . »

الْمَعُ نَفْسِي هُنَاكَ فِي آخِرِ الرَّصِيفِ -
جَسَدِي حُفْرَةٌ خَاوِيَةٌ

أَعْرِفُ نَفْسِي هُنَاكَ فِي شَهْوَةِ ضَارِيهِ
فِي جَبِينِ تَعَوَّجٍ فَوْقَ الرَّغِيفِ ،

أَعْرِفُ نَفْسِي هُنَاكَ فِي طِفْلَةِ قَتِيلَةٍ
فِي السُّعَالِ الْمُدَوَّرِ وَالرِّثَةِ الْمَسْتَطِيلَةِ
حَامِلًا صَخْرَةَ الْمَدِينَةِ

مَائِلًا كَالْقَنَاظِرِ فِي قُبَّةِ الْمَدِينَةِ
غَامِرًا أَنَّهُ الْمَدِينَةُ :

« أَسْمَعُ صَمْتَ الدَّهْرِ

يَحْمِلُ أَكْفَانَ الرَّؤْيَى وَيَغْسِلُ الْجَفُونَ

يَزْرَعُ أَشْجَارًا بِلا غَصُونِ

حَوْلَ ضِفَافِ الْعُمُرِ .

وَهُنَا ، بَيْنَ الشَّقَوقِ

فَارِسٌ يُسْرِجُ عَيْنِيهِ عَلَى ضَوْءِ الْعُرُوقِ

يَحْفِظُنُ الْأَرْضَ وَيَسْتَسَلِمُ لِلْأَرْضِ وَيَغْفُو

مِثْلَمَا تَسْتَسَلِمُ النَّخْلَةُ لِلْأَرْضِ وَتَغْفُو

فِي عِبَاءَاتِ الْفَضَاءِ

مَطَرًا يَأْتِي وَوَأْحَاتِ رَجَاءِ .

أعرفُ - صارتُ يدَاكُ
خيمةً تتموَّجُ كالغيمِ شفافةَ السَّماءِ
أعرفُ - صارَ الفضاءُ
ورقاً أخضرًا يتطايرُ في بيتكَ الغريبِ
فأنا مِن هناكِ
أيها الجائعُ الغريبِ
ماتَ صوتي هناكِ
عاش صوتي هناكِ
كان صوتي نبيّاً رميتُ على شمسهِ ردائي
كان شمساً من الدَّمعِ مجروحةً ورائي ...

تائهٌ؟ كيفَ؟
هاتِ صدركَ ، يا تائهُ ، واستمهلِ المدى والمسافةُ
فرشتَ طفلي لكِ الحلمَ والتَّخيلَ وغزلانهُ
وعنقَ الزَّرَافَةِ
وروى حلمُها لجوعكَ ، وقتَ النومِ ،
أسطورةَ الجفونِ القصيرةِ
حيثُ تغفون ولا تنامُ
وتستنفِرن في صدركَ الرياحُ الأسيره ...

للروابي نازٌ ، وللنخلِ أوتارٌ

وفي الليل صَهْوَةُ المعراج
حيث تصاعد الخطى
ويصيرُ الحلمُ لونا في منم الأبراج
ويطول البحرُ القصيرُ
وتهوي الروحُ في جاذبيةِ الأمواج .
علامةٌ :

«لي فرسٌ . . . وها هو الإسراء» .
علامةٌ :

من أول الزمان -
«من ساحرٍ يأتي بلا دخان
من حَجَرٍ يصيرُ ياسمينَةً
يحبُّ صمتَ الأرضِ بالأغاني
وتولّدُ المدينة» .

كان أن نور النخيلُ وأثمرَ في صرّخاتي
حيث لاقاني الخضرُ ، صلى صلّاتي
حيث تجتاحني كلماتي ،
كان أن صارتِ الجِرازُ
لغةَ الماءِ والعيونُ
كان أن أصبحَ الجنونُ
فرساً للنهاز ؛ -

كلّ شيءٍ يُسافرُ بين السّنابلِ
يحملُ أسرارَهُ ، يَستديرُ
نخشناً ، طيباً كالرّغيفِ ،
كلّ شيءٍ يُسافرُ بين السّنابلِ
يهجرُ تاريخَهُ الأليفُ
كلّ شيءٍ يُصيرُ
نورساً يتموّجُ حولَ المياهِ العميقةِ
في مَدَى بَحْرِي الكَثيرِ ...
بَحْرَ أحلامِي الصّديقه .

تائه؟ كيف؟
هاتِ صَدرَكَ ، يا تائه ، واستعجلِ المَدَى والمسافَةَ
فَرَشْتَ أرضنا لكَ الحَلمَ
والنَّخلَ وغزَلائه
وعنقَ الزرافة :
حانَ ميعادُنا ، والتَّلالُ
ليستِ خُفها ، سَبقتنا التَّلالُ .

تحتَ موجِ المدينه
قمقمُ أخضرٍ فَرشتَهُ الرِّياحُ
ملكوتاً ، ونامتُ

فوق ريش النهار
صار وجهي سواز
للمدى ، للسفينه
للشطوط الحزينه ،
طاب ، طاب الرجوع
لبلاد الحصون الامينه :
نهضت قبلنا الرياح
وجرار الدموع
غسلت جبهة الصباح .

سأغني هناك
سيكون قناعي غريباً :
يداي طريق وقوسان ،
راسي نهر
ووجهي جزيره
سأصير حبيباً يُغامر ، أو عاشقاً ملاك
سحرته الاميره .

من يريد طريقاً من البرق ،
من يشتهي السماء
وهي حُبلى بأحلامه ، والطريق

فَرَسٌ حَوَّلَهَا يَدُورُ :
مِنَا هُنَا تَبْدَأُ الطَّرِيقُ
مِنَ هُنَا يَبْدَأُ الْعَبُورُ
مَنْ يَرِيدُ طَرِيقاً مِنَ الْبَرَقِ ، مَنْ مِنْكُمْ الرَّفِيقُ ؟

حَانَ مِعَادُنَا ،
مَنْ يَلْمُ الْبُقُورَ
مَنْ يَهْزُ الْغُصُونَ الْخَفِيَّةَ
فِي سُهُولِ الرَّوْزِ وَيَجْرُ الْخَيْوَلُ
مَنْ بُحَيْرَاتِهَا الْقَصِيَّةَ
نَهْرًا مُوحِشَ الرَّحِيلِ أَنْيساً إِلَى الرَّحِيلِ ؟
مَنْ يُقِيمُ عَلَى الْبَلْحِ دَاراً وَيَلْبَسُ كُوفِيَّةَ النَّحِيلِ ؟

حَانَ مِعَادُنَا ، وَالتَّلَالُ
لَبِستْ خُفُّهَا ، سَبَقْتَنَا التَّلَالُ .

٣ - فصل الصورة القديمة

زمنٌ ينتهي ، وخيولٌ من الفجر محلولة الشكيمة
ترسمُ الصورةَ القديمه
لأحبائي الحيارى
في الضفاف الحزينة في آخر الصحارى ، -
أه يا شكلي القديم
كيف يأتي ، يعود الغريبُ إلى شكله القديم؟
وبأي اللغات
ساحتي الفرات -
ألسرير الذي هزني وسقاني من مائه الكريم؟

سأشقُ عروقي
نهرًا يحمل الفضاء
سأدورُ مع الكوكب المغربِ أو جمرة الشروقِ
لابسًا قامةَ الهواء
وأعود إلى نصفي المقيم
في الضفاف الحزينة في آخر الصحارى

أعطني أن أغنيَ أحبائيَ الحيارى

أعطني أن ألفتَ حياتي

ورقاً ،

أن أسيرا

في جُلُور الرّماذ

أعطني أن أكاشف هذي العصافيرَ هذا الجمادُ

أعطني أن أكون الحصى والحريرا .

في زَمَنِ اللَّيْلِكِ والسَّنُونُو والتَّورسِ العاشقِ والأعيادُ

جئتُ إلى بغدادُ

على بساطِ جامعٍ وديعُ

كانت حقولُ العشبِ والتّباتُ

كانت رمالُ الماءِ والصّحراءُ

والسّفنُ الزنجيةُ العيينين في الفراتُ

حنجرةُ خضراءُ

تستقبلُ الآتي بلا تخومُ

في موكبِ الأمطارِ والغيومُ

من جهة الأرض ، من الرّبيعِ . . .

أقرعُ أجراسَ الدّمِ الخفيّ

تحت رداءِ الأرضِ

أصعدُ في المشاعلِ المقيمةُ
تحت جليدِ الرّفصِ
أجري مع الفراتِ
في زمنِ سحريّ
من منبعِ الطّفولةِ القديمةِ الشّيوخوخةِ القديمةِ .

كلّ دمِ الفراتِ
في جسدي يجري وفي حنيني
وها أنا أزرُّ السّهولَ
أسهرُ في الأكواخِ والحقولِ
أشدّ بالصّيفِ يدَ الشتاءِ
أسيلُ أحلاماً على الترابِ
لا سَفَرٌ فيها ولا غيابُ
أسيلُ طوفاناً من البقاءِ
أطردُ عن شواطئي
بَحارةِ الرّحيلِ
أهبطُ في أغواريِ الزّرقاءِ في أرومةِ القرابهِ
أبحثُ عن بديلٍ -
أبحثُ عن بَوَابَةِ الغرابهِ .
جئتُ إلى بَغدادَ
في سَعَفِ النّخلِ وماءِ النّهرِ

في رثة العصفور

ثُمَّ سَجَانُ مِنَ الدَّمَاءِ
تَحْرُسُهُ التَّيْجَانُ
يَحْرُسُ أَقْفَاصاً مِنَ الرُّؤُوسِ
مِنَ جُزْرِ الأَحْلَامِ وَالبُكَاءِ ؛
حَيَّتُهَا ، مَلَأْتُ أَغْنِيَاتِي
بِاللَّهَبِ الأَرْضِيِّ بِالفَوْسِ
وَرَحْتُ مَسْحوراً ، بِغَيْرِ سِحْرِ ،
أَخْتَرَقُ السُّجَانَ
أَقْتَحِمُ المَدَافِنَ الطَّوِيلَةَ
أَدْخُلُ فِي الأَقْفَاصِ فِي أبعَادِهَا النَّحِيلَةَ
أشعل غابات بلا نهاية ...

جئتُ إلى بغداد
في سَعَفِ النَّخْلِ وماءِ النَّهْرِ
في رثة العصفور
كان أبو تَمَامٍ
مشتعلاً كالجِمرِ
خلف شتاء الليل والأحلام
يكتب أغنيته
بالقصب المكسور

بنجمة الميلاد
عن رحلة الصيف الشتائية
سوداء سحرية
تحية الآتي إلى بغداد .

لم يكن في الشوارع ، في الماء بين القبور
غير صمت القيامة
ورأيت النواصي يهذي ويحضر قارورة الكيمياء
مؤذناً بالعبور :

«كل رمح حمامة
كل أرض سماء»
وسمعت النواصي مستطرداً كلامه
حارقاً غابة السكينة :

ذات يوم ،
تصير القصائد بوابة المدينة
نحو أرض الغرابة
وتصير الغرابة
وطن الأنبياء ،
ذات يوم ،
تسير النجوم على الأرض مثل النساء .

جشتُ إلى بغداد
أخطو على بساط
بين خيوط الماء والأشجار
أسيرُ في أغوارِ البعيدة
ألبسُ وجهَ النَّارِ
أستنطقُ الأرضَ الفراتيةَ -
حكى لي الفراتُ
ما قرأ العشبُ وما رواه
عن سفرِ الأتجارِ والرعاةِ
حكى لي الفراتُ
عن كلِّ ما رآه ...
أسمع في الأحجارِ
أغنيةَ الفصولِ
أسمع ما تقولُ
تلك السحاباتِ الرماديةَ ...

ورأيتُ الحشودَ الفقيرةَ
جئلتُ كالضفيرةَ
وقرأنا ، كتبنا معاً ، وعرفنا
أنا المالكون اليتامى
وصرخنا ، جعلنا مقابرَ آبائنا ، وجعلنا الأيتامى

وبرا كيننا السَّجِينَةَ
تَهْرَأُ يَغْسِلُ الْمَدِينَةَ ...
وركضنا إلى العشبِ ، نُصْفِي إِلَيْهِ
ساحراً ، باسِطاً يَدَيْهِ
طالِعاً من شقوقِ الترابِ نقيَّ الكلامِ
وعرفنا من العشبِ أنَّ الطَّيْبَةَ
سَتَقِيمُ السَّلَامَ
بين أطفالنا والفجيرة

ستكون سرايئهم كالجنودِ
وتشقَّ الصَّقِيعُ
وتصيرُ جبلاً من الضَّوءِ وِردِيَّةَ الجُسُورِ
تصل الموتَ بالرَّيِّعِ
وتقومُ البندورُ
وتقومُ الصَّلَاةُ
في رواقِ على النَّيْلِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَةَ الْفِرَاتِ ...

أَلزَّمْنُ اخْضِرَّ ، نَمَا ، وَطَالَ
أورقَ في الجُدْرانِ والحِصُونِ
أَلزَّمْنُ الأَنْهَارُ وَالتَّلَالُ
وَالزَّمْنُ الْعِيُونَ :

قاماتُ أشجارِ ربيعِيَّةٍ
في غايَةِ الرُّوحِ الفِراتِيَّةِ . . .

الزَّمنُ السَّيفُ هديرُ الموتِ
نهرٌ من الأضاحي
نهرٌ من الأثداءِ والجِرازِ
يفسِلُ وجهَ الموتِ
والكفنَ العاشقَ والأحزانَ
يفسِلُ بالموتِ وعِطرَ الموتِ
فاتحةَ القولِ : رنينَ الصَّوتِ
في لغةِ الإنسانِ .

الزَّمنُ استيقظَ والنَّهارُ
يصرخُ بالأغصانِ والجذورِ
يصرخُ : جاءَ الشَّعرُ
جاءتِ سِماواتُ ترايبيَّةِ
من غيرِ هذا الدَّهرِ
خضراءُ إنسيَّةِ :
الآفاقُ زَنارٌ من البخورِ
والأرضُ جثِّيَّةِ .

٤ - فصل الأشجار

(مرثيات الصقر وشواهد قبره)

www.alkottob.com

شجرة

زَرَعَ الْجَائِعُونَ
غَابَةً لِلرَّجَاءِ
صَارَ فِيهَا الْبِكَامُ
شَجَرًا ، وَالْغُصُونُ
وَطَنًا لِلنِّسَاءِ الْحُبَالَى
وَطَنًا لِلْحِصَادِ ؛

كَلَّ غُصْنٍ جَنِينٍ
رَاقِدٌ فِي سُرِيرِ الْغَضَاءِ
أَخْضَرًا سَاحِرَ الْأَيْنِ
فَرَّ مِنَ غَابَةِ الرَّمَادِ
مِنْ بَرُوجِ الْفَجِيئَةِ
حَامِلًا آهَةَ الْجَائِعِينَ
شَاكِيًا لِلطَّبِيعَةِ .

شجرة

كل يوم ،
يموت وراء المقاصير طفل ، يموت
زارعاً وجهه في الزوايا
شبحاً تتراكم قدامه البيوت ؛
كل يوم ،
يجيء من القبر طيف حزين
عائداً من بلاد المرارة من آخر الأقصي
ويزور المدينة - ساحاتها والتكايا
ذائباً كالرصاص .
كل يوم ،
تجيء من القفر جنية المجائعين
وعلى وجهها علامه -
زهرة أو حمامة .

شجرة

يجهل أن يزمن السيوف بالأشلاء
يجهل كيف تُبرقُ الأنيابُ .
يأتون في نهرٍ من الرووس والدماء
ويصعدون الحائطَ القصيرُ
وهو وراءَ البابِ -
يحلمُ أن يظلَّ كالأطفال خلف البابِ ،
يقراً فصل الجائع الأخيرُ .

شجرة

سَقَطَت نَجْمَتَانُ
فَوْقَ رَأْسِ الْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ ، مَرَّتْ سَحَابُهُ
فَهَوَى ، يَأْخُذُ التَّحِيَّةَ
نَخْلَةً تَنْقُصُفُ وَالذَّمْعُ يَنْقُشُ أَوْرَاقَهَا الذَّهَبِيَّةَ :
نَخْلَةً عَلَّمَتْهَا الْكَأَبَةُ
أَنَّهَا تُرْجِمَانُ
أَنَّهَا دَفَتْرُ عَرَبِيٍّ الْكِتَابَةِ
عَلَّمَتْهُ الْكَأَبَةُ
فِي سِيَاحِ الْحُدُودِ الْخَفِيَّةِ
أَنَّهُ أَوَّلُ الْمَكَانِ
وَالرِّيَّاحُ الْبَقِيَّةُ .

شجوة

قلتُ لك : استيقظ ، رأيتُ الماءَ
طفلاً يسوقُ الرِّيحَ والحِجَارَ
وقلتُ : تحتَ الماءِ والشَّمَارُ
تحتَ غِشَاءِ القَمَحِ
وَسَوَسَةً تحلمُ أن تكونُ
أنشودةً للجُرْحِ
في ملكوتِ الجوعِ والبُكَاءِ . . .

إنهضن ، أناديكن ، عرفتِ الصَّوتَ؟
أنا أخوكِ الخضرُ
أسرجُ مَهْرَ الموتِ
أخلعُ بابَ الدهرِ .

شجرة

لم أحمل الريح ولم أجوف
رأساً ،
وفي الصيف ، وفي الشتاء
أرحل كالعصفور
في نهر الجوع . . . إلى مصبه المسحور ؛
مملكتي تلبس وجه الماء :
أملك في الغياب
أملك في الدهشة والعداب
في الصخو أو في التوء
لا فرق إن دنوت أو نأيت -
مملكتي في الضوء
والأرض باب البيت .

شجوة

كان ينادي ، يجمعُ الهواءُ
يحمل من كلِّ فضاءٍ عِرْقُ
ينسج للغرب رداءَ الشرقِ ، ...
ينزل عيسى حانياً عليه
أنحصرَ كالجُمانِ
ينزلُ في المنارة البيضاء
في الجانب الأيمن من دمشق
ويقتلُ الشيطانَ
في الجانب الأيمن من دمشق .
وكان ، والسوادُ في طريقه يُضيءُ ،
يُغيّرُ الأسماءُ
يعشقُ مَنْ ماتَ ومن يجيءُ
ويهجرُ الأحياءُ .

شجرة

خَفْتُ ، لاقائيَ الصِّباحُ
حَمَلْتُني الرِّياحُ
بعد أن راح قبري وودَّعتهُ ورجعتُ .
كلَّ شيءٍ يَعودُ :
في الزُّهورِ قُضَاةٌ وفي الماءِ يجتمعُ الوافدونُ -
كان بين الشُّهودِ
شجرٌ يتناسلُ فيه الأجنَّةُ والميتونُ
كان بين الحضورِ الفجيعه .
وسمعتُ الغصونُ
وهي تتلو قوائينها ، فتخشعتُ
ولبستُ الطَّبيعةُ .

شجرة

عند جيرونَ بابٍ من الوردِ يغتسلُ العابرونُ
بشدهُ
عندها خيمةٌ للجراحِ
عندها غابةٌ للصباحِ
كلُّ أغصانها جسورٌ تفتفئها العيونُ
نحو عبارةِ الرياحِ
لصباحِ سيواهُ . . .
والليالي بيوتٌ من الحلمِ يرتادها المتعبونُ
يجرحونَ مزاميرهم ، يقرأونُ
كُتُبَ الماءِ والغبارِ
يجعلونَ الدموعَ الأمانةِ
خرزاً وأكاليلَ غارِ
وعقوداً ، وجرحاً من الوردِ يغتسلُ العابرونُ
في ينايحه الحزينه .

شجرة

عُطِّي بِالرَّيْحَانِ ،
بِالْجَزَعِ الشَّفَافِ ، بِالسَّرِيرِ
بِالصَّمْتِ ،
وَالْتَمَزِقِ الْمَضِيءِ ؛
وَقِيلَ : بَعْدَ الْقَبْرِ ، شَقَّ الْقَبْرَ ، أَلْقَى مَوْتَهُ وَطَارَ
يَبْحَثُ عَنْ أُمُومَةٍ
فِي وَطَنِ الْإِنْسَانِ ؛
وَقِيلَ : كَانَتْ زَوْجَةً فَقِيرَةٍ
هَنَا وَرَاءَ التَّلَّةِ الصَّغِيرِ
حَبْلِي ،
وَبَيْنَ اللَّيْلِ وَالنُّهَارِ
فِي الصَّمْتِ ،
فِي التَّمَزِقِ الْمَضِيءِ ،
تَنْتَظِرُ الطِّفْلَ الَّذِي يَبْجِيءُ .

(أيلول 1963 - أيلول 1964)

جنازة امرأة

(مكان على ضفة نهر . قبر مغطى بسقف من القصب . حول
القبر ثياب قطنية متعددة الألوان . جمهور نساء ورجال يجلسون
بوقار حزين) .

الرجل الأسود (يقف وسط الجمهور إلى جانب القبر ، مشيراً إلى الميت) :

ماتَ وما حَوَّلَهُ

ضَفِيرَةٌ عَالِقَةٌ

بِالأَرْضِ ، مَحْلُولَةٌ

وَالأَرْضُ رَمَانَةٌ

(صمت ، إلى النساء)

مات ، مَنْ العاشِقَةُ

تلبسُ أجفانَهُ؟

(غير منظورة) :

الجوقة

الموتُ وجهُ شاعرٍ ، أو كَلِمَةٌ

مَنذُورَةٌ للأَرْضِ

الموتُ حِصْنُ عاشِقٍ ،

وَتَمْتَمَةٌ
أَنِّي فِي عَرْوِقِهِ
قَصِيدَةٌ أَوْ نَبْضٌ .

(صمت . يتأمل الرجل الأسود الوجوه كأنه يدرسها . تنهض امرأة سمراء . تنهض
معها امرأتان - سوداء وصفراء) .

المرأة السمراء : أنتظرُ
واللَّيْلُ تَحْتَ جَسَدِي يَنْكَسِرُ ،
وَالنَّخْلُ فِي جَدَائِلِي ،
وَالْمَطَرُ
عَيْنَانِ تَقْرَأَنِ لِي
أَوَائِلَ الْفُصُولِ ...
(صمت . تحلق في الوجوه)
كَانَ وَرَقُ النُّخَيْلِ
يَمْتَدُّ كَالْغَطَاءِ
كَانَ قَمِيصًا أَحْمَرَ السَّمَاءِ
وَقَلْتُ : هَذَا زَمَنٌ يَمِيلُ
نَحْوِي ... وَقَلْتُ ...
الرجل الأسود (بسرعة وخشوع) :
اشْتَعَلَتْ يَدَاہُ
تَلَفَّتِي ،

رَأَيْتُ جَمْرَتَيْنِ
أَصْفِي ،
فَكَلَّ عَشْبَةً صَدَاةُ
سَمِعْتِ؟
هَاتِي يَدِكَ اتَّبِعِينِي
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْمَوْتِ ، غَيْرِ حَلْمٍ ،
وَعَبْرُ خَطَوَتَيْنِ .

(يتقدم نحوها ، يمسكها بيدها ويتجه نحو قبة ، يرفقة المرأتين السوداء والصفراء .
تدخل الثلاث تحت قبة سقيفة خاصة ويجلسن . يتركهن الرجل الأسود ويعود إلى
مكانه . تأتي المرأة السوداء بإناء مليء بالماء . تغسل هي والمرأة الصفراء قدمي المرأة
السمراء ، بشكل طقوسي مهيب) .

المرأة السمراء (بما يشبه الحلم) :

كوكباً يرتمي عليّ ،
أنا الزهرة مختومة ،
أنا النار ، والموت عشيق
كشهوتي مسنون
وتفتحت ، يطلع الموت في نهدي ...
وجهي سحابة
ومراياي بروق وزدية وعضون .

الجمهور (بإيقاع) :

تَفْتَحِي فِي كَلِمَةٍ
بَادِئَةٌ كَالْفَتْحِ
مَسْنُونَةٌ كَالرَّمْحِ .
تَمَوْجِي
تَهْدِجِي كَالصَوْتِ
غَامِرَةٌ كَاللَّهِ أَوْ جَامِحَةٌ كَالْمَوْتِ . . .

(تنهض المرأة السمراء . ترافقها المرأتان السوداء والصفراء نحو قببة . تدخل القببة .
ينطلق بابها . تنتظرها المرأتان على طرفي القببة . موسيقى موت وحب تستمر طول بقاء
المرأة السوداء داخل القببة) .

صوت المرأة السمراء (داخل القببة) :

فِي كَلِمَةٍ
أَشْعِلُ تَحْتَ سَقْفِهَا حَرِيقِي
أَبْدَأُ تَحْتَ سَقْفِهَا طَرِيقِي
مَسْنُونَةٌ كَالرَّمْحِ
سَمَّيْتُهَا الْفَجِيعَةَ ،
أَسْكُنُ
حَتَّى تَنْزِفَ الطَّبِيعَةَ
فِي جَسَدِي كَالجُرْحِ ،
كَالْمَوْتِ نَسْلُ الزَّمَنِ الصَّدِيقِ
الجمهور (مردداً) :

كالموتِ نَسَلِ الزَّمنِ الصَّدِيقِ
كالموتِ نَسَلِ الزَّمنِ الصَّدِيقِ .

(داخل القبة) :

صوت آخر

أَلْجَرْحُ شَهِيَّةٌ

حُبُّكَ مَفْتُوحٌ كَالْجَرْحِ

(مردداً بإيقاع ترتيلي) :

الجمهور

أَلْحَبُّ صَبِيَّةٌ

أَلْحَبُّ جَنَاحٌ

جاءَ اليَومَ إلينا

دَخَلَ المَسْرَحَ غَنَى باخ

كانَ المَشْهَدُ غُصْنًا يُورِقُ . . .

غَنَى رَاحٌ

في عَرَباتِ النَّارِ

وَعَدَا يَأْتِينَا

كالوجهِ ، فضاءً مَفْتُوحاً

كالموتِ ، سِتَارٌ .

(تتوقف الموسيقى)

الصوت الآخر (داخل القبة) :

جرحكِ ترتيلةً

للمدنِ المحروقةِ الخاليةِ

ذبيحةً عاليةً . . .

(تخرج المرأة السمرء بهيئة شفافة يمتزج فيها الحزن بالفرح ترافقها السمرأتان السوداء والصفراء . في هذه اللحظة يبدو زورق خشبي على ضفة النهر ، موضوع فوق صقالات خشبية تحت قبة . في الزورق سرير تغطيه عجوز بغطاء كثير الألوان . العجوز امرأة مهيبة ، ضخمة عابسة ، تقف عند رأس السرير .

يبدو في مكانٍ آخر أشخاص يحفرون في الأرض ، ثم يخرجون جسماً ملفوفاً بقماش أسود ، وجرة ومزماراً قصياً .
يحمل الجسم إلى الزورق تحت القبة ، بعد أن يرفع عنه الغطاء الأسود ، فيظهر لابساً سروالاً أسود وخفياً أحمر وقلنسوة مقصبة . يوضع فوق السرير ويُستند بالوسائد) .

هاتوا كُتُباً . . . أقلاماً

(يجيء الحضور يكتب وأقلام تلقى في الزورق)

العجوز : هاتوا ورقاً . . .

(يحضره شخص ويرميه قرب الميت في الزورق) .

العجوز : عُشْباً وِيَمَامَةً . . .

(يجيء بعض الحضور بيمامة يذبحها فوق الميت ويلقيها بين يديه ، ثم يرمي آخر غصن خشخاش) .

العجوز : وَلْيَبْقَ الحَبُّ علامة .

(ترسم على جبين المرأة السمرء علامة الحب . يحمل المرأة السمرء أربعة رجال يرفعونها على راحتهم وينزلونها ثلاث مرات . ثم يرفعونها إلى أعلى ما يمكنهم . تبدو كأنها ترى رؤيا) .

المرأة السمراء (كانها ترى رؤيا . ترتل) :

أفقا صرّ تعلو

تعبر في غابات الصوّت

في الأفكار وفي الأشياء

الصخرة ماء

والأعضاء شتاءً بارداً

والحبّ نوارس ليلية

تتناسل في أعشاش الموت

ولباس واحد .

(ينزلونها . تنزع سوارين من معصمها الأيسر)

المرأة السمراء (تعطي السوارين إلى العجوز) :

عطية من الجسد

تلتف كالسوار حول الرّوح .

العجوز (تنحني وهي تتناولهما) :

.....

(تنزع المرأة السّمراء خلخالين)

المرأة السمراء (تعطي خلخالاً للمرأة السوداء) :

رسالة

تصير في عينيك أحلاماً

ترميك في متاه

كالقلب

لن تضييعي فيه ، ولن تعودي .

المرأة السوداء (تتحني وهي تتناوله) :

.....

المرأة السمراء (تقدم الخلخال الثاني للمرأة الصفراء) :

وَطَنُ كَالنَّخْتَمِ

يَسْكُنُ حَوْلَ الفَتْخِ ،

سَجِينِ الحَلْمِ

سَجَانِ اليَقْظَةِ .

المرأة الصفراء (تتحني وهي تتناوله) :

(يحمل الرجال الأربعة المرأة السمراء ويضعونها في الزورق ، بعد أن يقبلها كل منهم . تناولها العجوز كأساً من النبيذ تشربها . تناولها كأساً ثانية تشربها . تأمرها بالدخول تحت القبة في الزورق حيث يتمدد العاشق الميت . ينتعد الجميع . تأخذ العجوز خشبة تشعلها وترميها في الزورق . يرمي الآخرون فوقها الحطب والزهر والخبز . الزورق يشتعل وهو ينتعد جازياً على صفحة النهر . الجميع ينشدون) .

الجوقة

(جميع الحضور) :

دَخَلْتُ فِي مَقَامِ الحَرِيقِ

الليالي شموع

ومزاميرها طريق .

صار وجه الأثير

وطن العاشقين

سَيِّجَتْهُ الْعَيُونُ
بِالصَّدَى ، بِالسُّكُونِ
بِضِفَافِ الْيَدَيْنِ
وَرَمَتْ كَوَكَبَيْنِ
بَيْنَ رَأْسَيْهِمَا وَالسَّرِيرِ .

(فيما يختفي الزورق ، تنقسم الجوقة إلى قسمين رجال ونساء ، ثم يترك كل قسم المسرح من جهة معينة ، ويرددون جميعاً بصوت هادئ إيقاعي) .

أَلْمُوتِ جَنَاحِ
دَخَلَ الْمَسْرَحَ - غَتَّى رَاخُ
مَبْحُوحِ النَّبْرَةِ ، مَجْرُوحَا
وَسَيَّاتِينَا
فِي عَرَبَاتِ النَّازِ
كَالْحَبِّ ،
سِوَا
كَالشَّمْسِ ،
فَضَاءً مَفْتُوحَا . . .

الجوقة
(غير منظورة ، وبعد أن ينطفئ ضوء المسرح) :
تبدأ من جنازة امرأة
تصعدُ كالقربان في مجامر العيون ،
مدينةً آحنً من مدفأة

تبدأ من جنازة امرأة
أيام قاسيون .
أبدأ من جنازة امرأة -
صرتي الأولى حنين كوني
تطاولت ،
وانحرفت كالنهر
رأيتها تجري ، -
رأيت صوتي
ينزل من ينبوعه
نحياً ،
مهاجراً ،
يقرع باب الدهر . . .

(بيروت ، 1966-1968)

الأسب والنهر

- (جسر قديم . ضفة على النهر تظلها ثلاث أشجار - حورة وصفصافتان .
نساء مشوهات يُظن أنهن ممرضات . عجوزان . أم مشوهة وطفلها . ثلاثة شيوخ .
شبان مشوهون يستلقون تعباً وجوعاً .
تجري مياه النهر بطيئة موحلة) .

١- القول

شيخ (بصوت ضعيف) :

أَلحرب زربية

عَنَمٌ ...

شيخ (بنبرة من يمزح) :

قالوا

إن الحرب حقيبة

(يصمت . يتابع بشيء من الجد)

لو أن الحرب حقيبة

لملأناها

خَرَزاً

وجلسنا فيها

وصبرنا . . .

شباب (يظن أنه كان جندياً) :

قالوا إن الحرب وسادة

(يتمدد كمن يحاول أن ينام)

وأنا الوسنُ

شيخ ٣ (بنبرة حكيمة)

الحرب وسادة

للموت

وعادة

(صمت . يتابع بلهجة غاضبة)

هذا الوطنُ

زرعُ

والأيامُ جرادة .

أصوات (بعيدة ، مجهولة) :

قوافلُ سوداءُ مجهولةُ

تكمن تحت الماء ،

هل أنت ، يا سلالة الآباء

تجيءُ في ليلٍ من البهارِ

من توابل الرؤوسُ

والقتل ،

من توابل الغابات والفؤوس

هل أنت ، يا سلاله الأمواج
تصعدُ نحو كوكب المجهول ، كالمعراج ...
من أنت ، من يجيبني؟ حنيني
نما هنا كسروة ، وطال
وها هو السؤال
في جسدي ،
بُحيرة ...

٢- الزمن المكسور

الجوقة (غير منظورة) :
سيجيءُ السيلُ
قبلَ حلول الليل .
(ما من أحد يهتم . يدخل شخص من يحمل نايًا ، يُظن أنه راع) .
الراعي (بلهجة طبيعية) :
حلمتُ أن رأساً
في النهار ...
(تقاطعته امرأة ١ ، وتساله بسخرية ناعمة) .
امرأة ١ : هل سمعته يغني
كرأس أورفيوس

تذكر أورفيوس؟

الرامي (بلهجة واثقة) :

سمعته يقول :

(صمت ، يتابع كمن يتذكر)

في البدء كان النهر

كان حطام الزمن المكسور

يُصنهر في تنور

من غضب الأمواج ، كان الجمر ...

(يخرج الرامي)

أصوات (بسخرية قاسية) :

ها ها

رأس محتال

ها ها

رأس دجال

(دوي انفجارات بعيدة . موسيقى صاخبة . ثم تتابع هذه الأصوات الثلاثة الحوار

التالي) .

صوت ١ : في البدء كان خاتم الولاية

صوت ٢ : وكان في النهاية

صوت ٣ : في البدء كان النفط والمنجنيق

وزوجة البطريق .

صوت ٢ : في البدء ، كان رأسُ

يدورُ كالدولابُ

صوت ١ : في البدء ، كانت قبةُ المحرابِ

(صمت . يتابع كأنه في حلم)

دخلتُ تحت قشرها

صعدتُ - حينَ عدتُ

رأيت أن الشمس خيزرانةُ

مورقةٌ تلتفُّ حول بابي .

صوت ٣ : في البدء كانت عثةُ

تبيضُ في ثيابي . . .

(يفرك يديه الاثنتين صدره وفخذه . تعود الأصوات الثلاثة فتردد معاً) .

الأصوات الثلاثة (بسخرية خادة) :

ها ها رأسٌ محتالٌ

ها ها رأسٌ دجالٌ

(تهقها ساخرة . أشخاص كالأشباح يعبرون النهر قرب الجسر ، يحملون أحذيتهم

وامتعنتهم وأطفالهم) .

٣- القمر والرمانة

(موسيقى حب وموت . دوي انفجارات بعيدة) .

شيخ ؟ (مستغرباً) :

كيف يسير الرأسُ والإنسانُ لا يسيرُ؟

امراة ١ : (ساخرة) :

كيف يغني الرأس والإنسان لا يغني؟

شاب ١ (متهكماً) :

الرأس لا يسير بل يطير . . .

(صدى صوت يتعد هو صوت الراعي)

الراعي (من بعيد) :

تسبح عن يساره

تركض عن يمينه

الضفاف

والأرض وجه امرأة

تطوف ، والطواف

تفاحة . . .

امراة ١ (تناول حصاة كالتفاحة تقدمها إلى شاب ١ يجلس قريبا) :

هذه لحظة الدخول إلى الهوة المستنيرة

هذه لحظة اللقاحات والليلة الأخيرة . . .

(يتعانقان وهو يأخذ الحصاة . يتمددان ويتهاसान) .

شاب ١ (معانقاً امرأة ١) :

لي شهوتي

أن أشعل النهدين في أيامي الغربية

أن أعرف الحياة لا السلطان

أسهر في بستان

يسهرُ فيه قمر الحبيبةُ

(موسيقى موت وحب)

شيخ ١ (نجاة إلى شيخ ٢) :

نزل القمرُ

طَرفَ حولَ نوافذنا

وترصدنا

كان الموتُ دليلاً

كان الحجرُ . . .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم) :

. . . وسجدَ النجمُ

وكان في يساره

قوسُ

وفي يمينه سهمُ

فسقطَ العدوُّ . . .

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

. . . رَفَّ حولي

جبريلُ ، قال - أبشرُ

ومدَّ لي سكرةً

طعمتها ،

ولم يزل في فمي الطعمُ .

(يحرك شفتيه ولسانه كمن يتلوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة منتفخة لفظها

النهر : جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات بعيدة) .

تَقْيَايَ رَمَلِكِ يَا مَدِينَةَ
وَجْهَكَ وَجْهَ صَخْرَةٍ
وَالكُونُ فِي وَجْهِكَ مِثْلَ دُمْلٍ

(صمت . امرأة تحتضر ، تموت ، يغطيها شخصان ، يحملانها ويخرجان . تتابع

الجوقة بإيقاع غاضب) :

أَلْقَمَرُ الشَّيْخِ كِتَابُ شَرَعٍ
حَرَقْتَهُ
وَالزَّمَنُ أَنْهَدَامٌ
فِي رِثْتِي ، وَوَجْهِي
يُنْشَقُّ مِثْلَ قَبْرِ . . .
تَقْيَايَ رَمَلِكِ ، يَا مَدِينَةَ .
(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كانه لم يسمع الجوقة ، متابعاً حديثه الأول) :

نَادَتْنِي الرَّمَانَةُ ...
خَذَنِي كَمَا تَرَانِي
مَلِيئَةٌ عَرِيَانَةٌ
كَلَّنِي ...
أَكَلْتُ ،
طَالَتْ ،

وسكوتٌ بحبي
وحملتُ في العام مرتين ...
شيخ ١ (يجيبه حالماً) :

حلمتُ -

دار الوجد

خَطَّفَنِي ،

دخلت بيتَ النَّارِ

خرجتُ يسأَلُ مِنِّي الوَرْدُ

كَأَنِّي أَذَارُ أَوْ نَوَازُ .

(موسيقى قديمة سحرية)

شاب ١ (إلى امرأة ١) :

نهداك ، في نهديك طفلتان

واحدةٌ تَموتُ من هزالٍ

واحدةٌ تلوب في قلبه

فلنكسر الزَّمانُ

كالغُصْنِ ،

إنَّ الكونَ بهلوانُ

إنَّ إلهَ العالمِ المقصَلَةُ .

(موسيقى غضب وقوة)

٤- السيل

(الأم تحتضن طفلها ، منتظرة موته بين لحظة وأخرى . يدخل الراعي مسرعاً) .

الراعي (مخاطباً الجميع) :

ابتعدوا ،

تحركوا ،

فالسيل . . .

(يقاطعه صوت ساخر)

الصوت (مقاطعاً) :

سوف يجيء السيل

قبل حلول الليل . . .

(يخرج الراعي)

الجوقة (غير منظورة) :

نعرف ، هذا زمن السيول

نعرف ، هذا زمن الأفول

(صمت . موسيقى إيقاعية سريعة)

نسمع أن أتياً

يغير الدروب

يذهن وجه الأرض ، يستبيه

ينفخ فيه الداء والشحوب .

نسمع - أيام من البلوز

أَتِيَّةٌ فِي السَّيْلِ ،

كُلُّ يَوْمٍ

مُبِطُنٌ

كَأَنَّهُ بَلْقَيْسٌ ،

أَوْ كَأَنَّهُ تَيْمُورٌ .

(صمت . الموسيقى تعود إلى التسارع)

نَعْرِفُ

أَفْرَاسٌ ،

وَحَوْشٌ مَاءٍ ،

تَجِيءُ فِي السَّيْلِ ،

وَفِي الضُّفَافِ

تَطُوفُ غَابَاتٌ مِنَ الْقُبُورِ

وَأَنْتَهتِ الأَجْيَالُ وَالْعَصُورُ

وَمَا انْتَهَى المَطَافُ .

(يموت الطفل . تحتضنه الأم)

(بصوت مخنوق) :

يَا مَوْتُ ،

يَا صَدِيقَ الأَطْفَالِ

خُصِّمِ طِفْلي ،

وَاحْمِلِي لَهُ العَابَةَ ، وَأَطْبِقِي

الأم

جفنيه كي يحلم ، كي يراني ...
أَدْخِلُهُ فِي بِلَادِ
جَدِيدَةٍ ، يَرُودُ
أَسْرَارَهَا ،
يَبْقَى وَلَا يَعُودُ .

(تضع الأم طفلها على الأرض ، دون غطاء . تخلع عجوز ١ معطفها الأسود الممزق
وتفعله . يدخل شخصان مقنعان يحملانه ويخرجان . موسيقى جنائزية) .

الجوقة (غير منظورة) :

تفتّحي يا وردة الدماء
في جثّة العصفور ،
في صبيّة
محروقة ، في نهر الأشلاء
في الأطفال يُخنقون في السّماء
يابسة كوجه مومياء
تفتّحي كبذرة خفية
لدورة الفصول ،
تفتّحي
هذا هو اللّقاحُ هذي رعشة الحقول .

٥- صوت من الماء

(دوي انفجارات بعيدة . أسراب طيور فوق الجسر . يدخل شاب صغير السن أتعبه الركض كما لو أنه كان يسابق مجرى النهر) .

الشاب (صارخاً) :

رأس مهيار يجري . . .

(يخرج راكضاً)

شيخ ٣ (دون دهشة ، لنفسه) :

يخطرُ لي خاطرٌ

وفجأةً ،

أراه مرقوماً على ثيابي .

(صمت . لنفسه)

عرفت أن موته قريبٌ . . .

الجوقة (غير منظورة) :

رأسه الجرحُ والتزيفُ

رأسه حولكم يمانةُ

تحملُ الأرضَ كالرغيفُ

رأسه حولكم علامةُ .

(صمت . موسيقى موت قوية)

مات مهيار ماتُ

مثلما تنضج العناقيدُ أو يُزهر النباتُ

مثلما يُكسِرُ القمرُ
وتُهدُّ البيوتُ
مثلما يُطفأُ الشرُّ
مثلما تحضن البراكين أسرارها وتموتُ . . .

(يسري جو من الرهبة يرافقه نوع من الحزن في نفوس الحاضرين ، إلا قلة من الشبان) .

شاب (يحتضن زجاجة فارغة) :

أقيم في همومي
كأنني أقيم في زجاجة
مملوءة بآية البُخار
أعيشُ كالذَّجاجة
في حوشي المغطى
بالقش والغبار .

شاب ٣ (يجلس القرفصاء محرماً التراب) :

أبحث في مملكة الرماد
عن وجهك المدفون ، يا بلادي

شاب ٤ (بغضب) :

كيف تُكَمُّ الشمسُ عن عيوننا
وتُوصدُّ الأبوابُ
أمامنا ،

هل نحن من سلالة اليقطينِ

أم سلالة اللبّاب؟

الجوقة (بما يشبه الترتيل) :

لأنّ في أعماقنا بقيّة

من حُدُرِ التاريخ ،

من غيلانه الخفيّة

مات ،

لأنّ العالم اغتصاب

وأرضنا ضحيّة .

(صمت . موسيقى هادئة)

صوتٌ من الماء ، يقول الصوتُ :

مات لكي ينهي عهد الموت . . .

شاب ه (بشيء من التمرد اليائس) :

من أين؟ كيف نفتدي ، نُعاني

تفتت الإنسان أو تفتت المكان

وأرضنا تجرّ ناهديها

كخرقة .

الجوقة (بترتيل) :

صوتٌ من الماء ، يقول الصوتُ :

مات

لكي يُنهي عهد الموت .

(موسيقى هادئة . أسراب طيور فوق الجسر . جثث تنقل من ضفة إلى ضفة) .

الأم : زمن الموت يبدأ
أين أرمي خطاي ، أشرد ، أم أين أجا؟
لا زمني زمان ،
ولم يبق مرفأ .

(تبكي)

امراة ٢ (حاضنة الشاب ١) :

أون صدري جزيرة
لون ثديي مرجل
لك عيناى مرفأ
لك فخذاي جدول
والغبار الذي يلف ذراعيك مُحمل
لي بلاد ومُحمل . . .

الشاب (فيما يطق خصرها) :

خصرك لي نموذج وصورة .

(موسيقى جنسية صاخبة . تهذا الموسيقى ، فيسمع من بعيد صوت يخرج من ماء

النهر ، يظن أنه صوت الرأس) .

الرأس (صوت بعيد) :

ليس صوتي إلها

ليس صوتي نبياً ...
صوتي النَّارُ والنَّفِيرُ
صوتي الصَّاعِقُ المزلزل ، والظَّالِعُ البَشِيرُ .
الجوقة (غير منظورة) :

وجه مهيأ في الماء يسطح كالجوهرة
لم يعد غير صوت
والحقول المزامير ، والنَّهْرُ الحنجره .

أصوات (بسخريه) :

ها ها

رأسٌ يسرقُ مُلكَ النَّاسِ

يهذي

ها ها

رأسُ الخنَّاسِ الوسواسِ ...

الرأس (صوته يقترب شيئاً فشيئاً) :

أصواتكم حصارٌ

لكنني محصنٌ بصوتي

محررٌ

برفضي البارئ ، بانفجاري

كأني المهَبُّ أو كأني البركانُ

باسمِ الغدِ الصَّدِيقِ ،

باسمِ كوكبِ

سَمِيَتْهُ الْإِنْسَانُ .

(صمت)

وكان موتي عشبَةً

في الماء ، مثل طفلةٍ من زهر اللّوتس

مثل نُورسٍ يعرف أن يكونَ

زنبقَةً بيضاءً ، قوسَ قزحٍ

يحبُّ أن يكونَ

كالبحر ، نبضاً سيّداً

وغايةً

من فرحٍ كالموج ، من كآبةٍ

ترقد تحت شجر الصفصاف مثل طفلةٍ .

وكان موتي طائراً

حومٍ في خميلة الغرابة

وطائر ،

صار نهاراً يفيض ، صار رأساً . . .

وكان موتي لاجئاً

في فجوة الزمان ، كان لاجئاً

يُضِيءُ مثل كوكبٍ يُضِيءُ

وكان موتي الوعدَ والمجيبَ .

الجوقة (غير منظورة) :

مُدُّ لنا يدك

أفرغ لنا تاريخك الملائن
نلمح في عينيك
من دمننا
ناعورةً ونبع
يا وطناً عطشاناً
يا وطناً ممتلئاً بالدمع ...

الرأس (وحده) :

أثقبوا جبھتي قیدوني
وتخذوا حريةً وانحروني
مزقوني كلوني
واقروا كيمياء المدينة
بين أشلائي الأمانة .

الجوقة (غير منظورة) :

جسد مغروس في البرية
والنهر دم والموجة نور
جسد هدته الحرية
جسد تبنيه الحرية ...

الرأس (بصوت يزداد عمقاً وحزناً) :

صانع غيركم أصدقاء
صانع غيركم فضاء ...

الجوقة (غير منظورة) :

فارسٌ ،
يا عرّاف الحبِّ ، لأيِّ مكانٍ
تمضي؟
خُذْنَا ، خُذْنَا ...
أَلذَّنِيَا سَرَّجٌ يَدْعُونَا
وَالنَّهْرُ حِصَانٌ .

(موسيقى سريعة هادئة . ينهض الجميع خائفين لأن السيل فاجأهم . يحاولون أن
ينجوا ، لكنهم يعجزون ، ويجرفهم . فيما تغيبهم أمواجه يبدو الرأس جارياً على صفحة
النهر كأنه جزء من الماء) .

الرأس : سار أمامي جسدي
أزمنةً ، مدائناً
تواكب النَّهْرَ
مَسْرَحُهَا بَضْفَتَيْنِ ... الحبِّ والبَشْرِ .

أليوم أكملتُ اكتملتُ : صوتي
يفهمه الرِّكْزَالُ والأطفال والرِّبْعُ
يَفْهَمُهُ الْجَمِيعُ ...
صوتي لا يُرَدُّ مثلَ موتي .
سكنتُ كلَّ عَشْبَةٍ

ألفيتُ بين الصُّخَرِ والنبات

بين غبارِ الطَّلَعِ والمرايا

وجنسِ أغنياتي .

لي وطنٌ

لا يعرف التَّخَوُّمَ ، لا تحدّه الشَّطَّانُ

تحدّه علامتانِ - الشَّمْسُ والإنسانُ

وها أنا أطوفُ

كي أزلزلَ الحدودَ ، كي أعلمَ الطُّوفانَ .

الجوقة (غير منظورة) :

نقرأ في الطُّوفانِ

كتابةً

عن وطنٍ يسقطُ مثلَ ورقٍ . . .

أصوات (ساخرة ، بعيدة ، غير منظورة ، مقاطعة) :

وطنٌ -

منخلُ ماءٍ

وطنٌ يفتَحُ كالذِّكَاكُنْ ،

وطنٌ يُقفلُ كالذِّكَاكُنْ

الجوقة (بايقاع سريع) :

نقرأ في الطُّوفانِ

كتابةً ،

عن وطنٍ

يسكن مثل شهقة
في رثة الإنسان .
الرأس (والجوقة معاً) :
غائبٌ حاضرٌ كما لك يا نهرُ
حويتُ الأسماءَ والأشياءَ
فاحتضني واستنفر الرعدَ في صوتي
وهجسَ التكوين ،
والأنواءَ
واجر يا نهرِ فطرةً
وكنِ النشأةَ ،
كنْ صرخةَ الدّم العذراء .

(صمت . أسراب طيور فوق الجسر . فيما يغيب الرأس يسمع صوته يتعد شيئاً فشيئاً) .

الرأس والجوقة معاً (بإيقاع هادئ) :
لا أعرفُ التخوم لا تحدّني الشيطانُ
تحدّني علامتان - الشمس والإنسانُ
وها أنا أطوفُ كي أزلزلَ الحدودَ ، كي أعلمَ الطوفانُ .

(موسيقى غضب وفرح . تهذا الموسيقى . يبدو في مشهد جديد شيخ ٣ وحوله
أطفال كثيرون يخبرهم بقصة الرأس) .

شيخ ٣ (للأطفال) :

واشتعلَ الفضاء مثل وجهه المهاجر الظمآن

وحالَ : كلَّ نجمة

زَجاجةَ والقَمَر المصباح

ونامت الدنيا على الحيطان

ستة أيام بلا ضياء

واستسلم الزيتون والتفاح

للدمع

لو قلبتمُ الحجارة ، لو شهدتمُ -

فتحت كلَّ حجرٍ غدِيرٌ

من دمه ،

والزمنُ المعصفرُ الملائنُ

بجرحه ، ربابه

غنت ، فكلَّ نخلةٍ خريفٌ

يبكي ،

وكلَّ صخرةٍ سحابة .

(يصمت . يبدو الأطفال مشدودين بدهول إليه . ثم يتابع حالماً) .

عند غروب الشمس

في فلك يصعدُ كالزفير

يُعلقُ الهواء

مدينةً للحزن ، والشموع حول الرأس

وَيَسْمَعُ الْبِكَاةُ تَحْتَ الْأَرْضِ كَالْهَدِيرِ .

(صمت)

أَصْغَوْا إِلَى الْهَوَاءِ ، فِي الْهَوَاءِ مَا يَقُولُ فِيهِ زَعْبٌ

وَحَمَى ،

وَفِي الْهَوَاءِ مَاءٌ

يَغْسِلُ وَجْهَ الزَّمَنِ الْمُدْمَى

يَجْرَفُ ،

أَوْ يَبْدَعُ مَا يَشَاءُ .

(موسيقى . صوت عاصفة . أمطار)

(بيروت ، 1966-1968)

السَّهَاءُ الثَّامِنَةُ

(رحيل في مدائن الغزالي)

قافلةُ كالتَّاي ، والنَّحيلُ
مراكبُ تغرق في بحيرة الأَجْفَانُ
قافلةٌ - مذنبٌ طويلُ
من حَجَرِ الأَحْزَانُ
أهاتها جِرازُ
مملوءةٌ باللهِ والرَّمَالِ :
هذا هو الغزالي

يجيئنا في كوكبٍ
تَحْضِنُهُ نساؤنا
تصوغُ من بهائه
الشياب والأحلامَ واللاكي .
يبتدئ السَّقُوطُ في مدائن الغزالي
يُسْتَنْزِلُ الفرقانُ واللِّسَانُ
وتعلقُ الجباهُ بالغبارِ ، - في مدائن الغزالي
شَرارةٌ ليس لها مكانُ

والرَّيحُ مثلُ جَمَلٍ .

وبعدَ أن يصمتَ أو يضيغَ سائلُ

تَجْرُهُ حَشِيشَةُ السُّوَالِ ،

يعرفُ : كلُّ نَهْرٍ

يصبُّ أو ينبعُ في مدائن الغزالي

يصيرُ صِهْرِيحاً من الدَّموعِ

يدورُ في ناعورةِ الشفاءِ أو في قفصِ الضلوعِ :

— والوطنُ المفتوحُ مثلَ كَفَنٍ

يَمَامَةٌ تُذْبِحُ في ينبوعِ

رَأَيْتُ فِيهِ أُمَّةً . . .

رَأَيْتُ فِيهِ الْقَمَرَ الْمُقْطُوعِ

من أوجه الأطفالِ ،

وَالزَّمَنَ الْمُنكَّسَ الْمَخْلُوعِ

وَالزَّمَنَ الْآتِي كَالزُّكْزَالِ . . .

يبتدئُ السَّقُوطُ في مدائن الغزالي

يختلجُ الشَّارِعُ كَالسُّنَّارِ

وَالزَّمَنُ الرَّابِضُ مثلُ خَنْجَرٍ

يغوصُ تحتَ العنقِ ،

وَالْمَنَارَةَ

ستارة سوداء .
أهدم ، كل لحظة ،
مدائن الغزالي
أدحرج الأفلاك فيها ، أطفئ السماء :
— والفجر مثل طفلٍ
سبع حراب سود
سبع سماوات بلا حدود
تهيم في خطاه .
ويدخل الموتى ويخرجون
من نفق أخضر — في مدائن الغزالي
يأتون في كلامٍ
يشن ، في دروب كالمح ، في كتابٍ
يموت ، دفتاه
رقص وصافنات . . .
ويدخل الموتى ويخرجون . . .

— . . . والشمس في ثيابهم
جارية صفراء
مدهونة الثديين بالقلوب
بالحجر الأحمر ، بالكبريت والغيوب
تسقط كل ليلة

في نشوة الإسراء
تلتهم السيوف والسنيثا ،
تطرخ ، كل لحظة ، جنينا ...

ويدخل الموتى ويخرجون ...
توعدي يا فرس النبي في مدائن الغزالي
توعدي خطاي والطريق
عذابك الكبير مثل خيمة
كسرت فيها خاتم الزواج ، والكوتر ، والرحيق
توعدي ، أعرف كل خلجة
في جسمك العتيق
أعرف ما يقوله عذابك الكبير - في مدائن الغزالي
مسافرون ...
- أين تذهبون؟
لن تصلوا ، فهذه الطريق لا تمر في دمشق ، والصباح
ترسمه الأتصاب والأشباح
مسافرون يخبطون ...
أين يذهبون؟
من جثث الآباء يحملون
تماماً
والتية في أقدامهم طريق

والرَّمْلُ فِي وُجُوهِهِمْ عَيُونٌ .

... (شددتُ فوق جسدي ثيابي

وجئتُ للصَّحراءُ

كَانَ الْبَرَاقُ وَاقِفًا يَقُوهُ جَبْرِيْلُ ، وَجْهَهُ كَأَدَمِ ،

عَيْنَاهُ كَوَكْبَانِ

وَالجِسْمُ جِسْمُ قَرَسٍ . وَحِينَمَا رَأَيْتُ

زُلْزَلَ مِثْلَ السَّمَكَةِ

فِي شَبَكَةٍ ...)

أَيَقُنْتُ ، هَذَا زَمَنُ التَّنَاسُخِ - الإِضَاءَةِ :

أَلشَّمْسُ عَيْنُ قَطْعَةٍ

وَالنَّفْطُ رَأْسُ جَمَلٍ

تَقْلُدُ الْخَنْجَرَ وَالْعِبَاءَةَ ،

وَكَأَمَّا سَايِرَتْ فِي طَرِيقِي

يَمَامَةً أَوْ زَهْرَةً

أَوْ غَبْتُ فِي إِشَارِهِ

بَيْنِي وَبَيْنَ الضُّوءِ ، وَانْحَنَيْتُ

كَالتَّبَعِ فِي مَسَالِكِ الْحِجَارِهِ

تَثَبَّتُ فِي جَفَوْنِي

رِصَاصَةً ،

وكَلَّمَا قَلتَ أَحِبُّ العاءُ
والزَّمنَ الآتيَ ، والأشياءُ
وكَلَّمَا حاولتُ أن أبنيَ أو بنيتُ
تحتَ شمسِ العاءُ
سقيفةً ،
تطلُعُ في عروقي
رِصاصةً ...

... (– لا تخشَ ، في شفاعتي أنتَ ، فمالَ
نحوي ، ركبتهُ وطازِ بي ...
– هذا الذي يصبحُ عن يميني يتَّصِحُ لي ، لم ألتفت
إليه ...
– لو أنك التفتُ واستمعتَ ، لاستلأنُ
شعبك ، من بعدك ، للشيطانِ .
– وهذه المرأة كالفيروز عن شمالي
تنصح لي ، لم ألتفت إليها ...
– لو أنك التفتُ واستمعتَ ، لاستهانُ
شعبك بالجنة والقيامة
واختار أن يموت فوق سرَّةٍ
ورفض الجهاد والكرامةً ...)

وكَلِّمًا هَجَسْتُ
ولِدْتُ بِالْهَوَاءِ وانْفَرَسْتُ
كَالعِشْبِ فِي مَدِينَةِ التُّرَابِ
أَسْتَكْشِفُ الْفَضَاءَ وَالْجَنَاحَ
أَسْكُنُ فِي بَاكُورَةِ الرِّيَّاحِ ،
تَنْبِتُ فِي ثِيَابِي
رِصَاصَةً ...
رِصَاصَةً ...
وكَلِّمًا سَأَلْتُ
وَانْكَسَرَ السَّوَالُ فِي سَرِيرَتِي ، وَمَلْتُ
كَالعُغْصَنِ ، أَوْ نَوَيْتُ أَنْ أُطَوِّفَ
فِي طَبَقَاتِ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ
مُسْتَسْلِمًا كَالْمَاءِ ،
تَطْلُعُ فِي النَّيَّةِ وَالْحُرُوفِ
رِصَاصَةً ...
رِصَاصَةً ...
وَالشُّجَرَ الْأَخْضَرَ فِي الطَّرِيقِ
مَدَائِنُ حُبْلَى وَحَاضِنَاتُ
وَالشُّجَرَ الْمَيِّتِ فِي الطَّرِيقِ
نَارٌ بِلَا ضَحِيَّةٍ
تَظَلُّ مِنْ رَمَادِهَا بِقِيَّةٍ

في موقدِ الكلامِ
تحمل للطفل الذي ينامُ
حُلماً ،
وللطفل الذي يُفِيقُ
دفترَ أحزانٍ وأغنياتٍ ...

... (ها هو بيتُ المقدس ... المعراجُ

يُمدُّ لي ، يجيئني جبريلُ

بأكؤسٍ ثلاثٍ ...

... خذ أيها تشاءُ

أخدتُ ، كان لبناً ، شربتُ

... إنَّ هذا

خمرٌ ، وذاك ماءٌ ،

فلو أخذتَ الخمرَ

لغويتَ بعلدك ، مثل وثنٍ ،

أمتك الحنيفةُ

ولو أخذتَ الماءَ

لغرقت ...

ولفني جبريلُ وابتدأنا

نصعد في أدراجِ

من ذهبٍ وفضةٍ ،
من لؤلؤٍ أحمرٍ كالقطيفةِ . . .)

كان الرَّغيفُ يصيحُ كالملكِ :

... اهتدينا

نارَ أنا

وضربتني جسدُ المدينة

ماسٌ ، دمعسٌ ، أرجوانٌ

ما كان من ذهبٍ وياقوتٍ ، وكانُ . . .

ماذا أرى؟

... هذي جموع الخارجين إليك يا تاجَ المدينة :

عن أحمدٍ :

ورثت قطتي الأمانة

وارتحتُ من قانونهم . . .

عن صالحٍ :

تاجرتُ بين المقعدين

فرشت أيامي وساده . . .

عن أخته :

نَفَقُ هَوايَ

وفي دمي ذئبٌ يدورُ

وأنا الضحية والبخور .

عن أختها :

وطني يشبُّ ،

يشيخُ

يطعمني رمادة .

عن زوجها :

وجهي ينام كطوطمٍ ...

عن حامد :

لم يبدأ التاريخُ

أفتح ساعدي

للمشمس ...

وانشقَّ الرّغيفُ كأنه أفقُ النبي

وأنا العِرافةُ

ودخلتُ في لَهَبِ المسافةِ

أتزوِّجُ النَّارَ البعيدةَ في ، أقتلعُ الزَّمنَ

كالعشبِ ،

أغتسلُ - اغتسلتُ ، غرقت في ألقِ الذَّموغِ

وحنوت فوق دمٍ يشنّ ، دمٍ يجوع .

(... ماذا ترى؟)

... ملاكاً :

نصفين من ثلجٍ ومن شرارٍ

بألف ألف لغةٍ

تسبحُ الجامعَ بين الثلجِ والشرارِ ...

... هذا ملكٌ يساوي

بين جميع الناس ، وهو أنصح الملائكة ...

وهذه سماءُ غبراء من حديدٍ ...

... هذي اسمها الماعونُ

يسكنها ملائكتُ

أكتافهم حِرابٌ لنصرةِ الإسلامِ ...

هناوني :

أخير في شعبك ، أنت الأصل والعلامة

من أول الزمان حتى موعد القيامة .

قدمني جبريلُ

صَلَّيتُ ركعتينُ

بهم ، على مِلَّةِ إبراهيمٍ ...)

وهبطتُ في أغوارِ نجمتي الصَّغيرةِ

بين المشيمةِ والكفنِ

في لَيْلِ جُمجمةٍ ضريرةِ

فقرأتُ تاريخَ الفضاءِ ، قرأتُ تاريخَ القمرِ
من قبل أن أُرَدَ الفضاءَ وقبلَ أن أخطأَ القمرَ -

الأرضَ بيتيَ
والزمنَ

لغتي وصوتي ...

وسمعتُ عرافَ الرصيفِ يقولُ : مفتاحُ المدينةُ

تَحْتَ ومغزَلُ غازلٍ ...

عرافُ ، قُلْ لي ، فَسِّرْ الرؤيا ، نسيتُ؟ أعيدُها -

... ودخلتُ دائرةَ الرغيفِ ، رأيتُ قطعةَ فضةٍ ،

سوداءَ ، تحملُ خنجرًا . تَدْنُو وتطعنني ، وتهربُ في الزقاقِ ،

ومتُ ، لكن قمتُ فجأةً

ووجدتُني في حضنِ مرأةٍ ...

(... ثم رأيتُ ملكاً لم ييتسم ...

- من هو يا جبريل؟

- عزرائيلُ ، اقترِبْ وسَلِّمْ ...

سَلِّمْ هباً واقفاً هتائي ،

سألتُ : كيفَ تقبضُ الأرواحَ؟ قالَ : سهلٌ .

حينَ يتمُّ أجلُ الإنسانِ

أرسلُ أربعينَ من ملائكتي

ينتزعون روحه من العروق ...

حينما تصير في حلقومه

أسلها كشعرة تُسَلُّ من عجين

فإن تكن طيبة

قبضتها بحربة من نور

وإن تكن خبيثة

قبضتها بحربة من سنخط ...

وتبت الدنيا

في يده ،

كدرهم ...)

عرافاً ، قُلْ ...

– لا شيء ،

هذا منجز اللغة العجينة

لا شيء ،

تاريخ النساء منحدّة

وحنان طينة .

– ودهنها المعدني؟

– والدهن كالوسام أو إشارة

علامة السيد : كل شيء

نهدان في يديه أو ستاره

للزمن اليباس كالعرجون

للزمن المتخزون

في امرأة . . .

والدهن معدني

مملك ،

ينزل مثل البحر في كتاب

يستوطن الأغواز أو يستوطن الصواري

يصير فوق أرضك البغي

شعائراً للذبح ، أو فخاخاً ، أو خرزاً ملوناً . . .

والدهن معدني

طيف جنازي

يدخل كالمنشار

في جسد العالم

كالملاءة

يترخها المافون والعيار

على جفون أرضك المضادة

(. . . وهذه سماء خضراء من ياقوتة خضراء فيها

رجلٌ طويلٌ
تلقفه مدرعةٌ
وشعره يكاد أن يغطي
ساقيه . . .
- يا جبريلُ
من هو؟

- هذا صنوك المفضلُ الكليمُ
موسى بنُ عمرانَ - اقترِبْ وسَلِّمْ .
سَلِّمْ ، قال موسى : يزعمُ إسرائيلُ
أني أنا المفضلُ الكريمُ .
ثم دعا لأمتي بالخير ، ثم اضططتِ الملائكةُ
أمتهم ، صلَّيتُ ركعتينِ
بهم ، على ملةِ إبراهيمَ . . .

والدَّهنُ معدنيّ
بخرٌ من السَّوادِ -
ألقاعُ نافورةٍ
من ذهبٍ ، والسَّطحُ قاذورةٍ
والأرضُ كالمرايا ،
مكسورةٌ ، والشَّمسُ هسهساتُ

تنأى ، وأبأّر من الرّماد ...
هل قلتُ كل شيء؟

(... رأيتُ باباً كتبت عليه

كتابة قرائها

فأنفّخ الباب ، رأيت خلفه

جهنماً ،

رأيت غاباتٍ من الحيات

رأيتُ باكيات

يفرقن في القطران عالقات

يغلين كالقُدور موثقات

يُطرحن للأفاعي ...

... هذا جزاء نسوة

يظهرن للغريب ... هذي امرأة

صورتها كصورة الخنزير ، جسمها حمار

لأنها لم تغتسل من حيضها ...

... هذا عقابُ امرأةٍ تعشقُ غير زوجها .

... هذا جزاء امرأةٍ

لا تُحسنُ العشرةَ أو لا تحسنُ الوضوءَ ، لا

تصلي ...)

رسمتُ ظلَّ القمرِ الطَّالعِ في طريقي
بلهفتي ،
ربطتُ كلَّ جرحٍ
في وجهه بثوبي العتيق .
... وسرتُ في بُحيرةِ الأغاني
تيلو قرأ ، أغاني
ترشَّحُ من قرارةِ التاريخ ، من سريرةِ المكانِ
والتفتُ الأشجارُ حولَ وجهي
والتفتُ الطُّريقُ
كانَ النهارُ حجراً يسيرُ ، كلُّ حجرٍ إشاره
وكانَ كلُّ حجرٍ فلاحُ
يفسلُ وجهَ الحقلِ أو يُطارِدُ الرياحَ .
يسافرُ الترابُ في نخطاهُ
ينامُ يستفيقُ ،
وكانَ كلُّ حجرٍ شرارةً .

(... وها أرى رجالاً)

تمشي على ظهورهم

(حجارةً ...)

وسرتُ محمولاً على شرارة
أحلم كي أسقط في الظلام
شفساً

وكي تدور

حولي

أرض الحلم الخفية

أحلم كي أكتب عن صداقة العصفور

عن وطنٍ أحنّ من قنديل

ينسجُ كل لحظة

من دمه ، منديل

أغنية للحب ، أو تحية ...

(... طوّقتُ في زبرجدٍ

أخضر ، في مدارج الياقوت ، ثم جاءني الملائكة

برقرف

فساربي كسهم .

وخطُ بي في بحرٍ من نور

أبيض خلف بحرٍ من نور

أصفر خلف بحرٍ من نور

أسود ، فاستوحشتُ واستغثتُ ...)

ورأيتُ أَنِّي فِي الْأَزَقَةِ وَالزَّوَايَا
أَمْشِي كزَيْنِ الْعَابِدِينَ -
عَبَّاتُ بِالْخَبِزِ الْجِرَابُ
وَرَكِضْتُ مِنْ بَابِ لِبَابُ
أَزْكِي لَهَيْبِ الثَّائِرِينَ ، أَسَدُ جُوعِ الْجَائِعِينَ ...

(... وَأَنْطَلِقَ الرَّفْرَفُ ، صَارِ يَعْلُو
وَحَطَّنِي فِي حَضْرَةِ الْإِلَهِ - مَا رَأَيْتُهُ
لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ ، وَمَا سَمِعَتْهُ
لَمْ تَسْمِعْهُ أُذُنٌ ...
نُودِيْتُ : لَا تَخَفْ .
خَطَوْتُ خُطْوَةً كَأَنِّي خَطَوْتُ أَلْفَ عَامٍ
أَحْسَسْتُ حَوْلَ كَتْفِي
يَدًا ، وَلَمْ تَكُنْ مَحْسُوسَةً ،
فَأَوْرَثَتْ قَلْبِي كُلَّ عِلْمٍ ...)

... مَوْلَايَ ، زَيْنِ الْعَابِدِينَ ...
... أَنَا لَسْتُ مَوْلَى ،
لَسْتُ كَهْفًا لِلْأَيْنِ

أنا جمر ثورتك . . . أنفجر
غير نداءك ، وأنفجر . . .

. . . ورأيتُ أني صبيحةً تَرثُ الضُّحايا
ورأيتُ أنَّ الجوعَ يرفعني تحيةً
لدم الضُّحايا

للبناسين الطَّالعين من الأزقةِ والزوايا
موجاً يُضيء العالمين . . .
— مولاي زين العابدين

لغتي تنوءُ كأنَّ فوقَ حرورها حجراً وطينٌ
فبأيِّ جائحةٍ أطوفُ ، بأيِّ موجٍ أستعينُ؟

. . . . وانطفأ المصباحُ

في آخر الشارع ،

واستدارتُ

غمامةً ، وذابتُ

في أول الشارع واشترأبتُ

حمامةً ، وماتت

في لفطة الشارع —

— من هناك؟

وارتجفنا
كالخيطِ
- من هناك؟
وانكسرنا
كالغصن
- من هناك؟
وانجحرنا
في حائطِ
دخلنا
في حفرةِ
وغبنا ...
- هل قلت؟
لا
- خذوه ...
- هل كنت؟
لا
- تبغنا خطأ ...
- قيّدوه ...
ونامت المدينة
وغلقت أبوابها
ونمنا

من أين؟ لا مفتاح
يفتحُ أيّ بابٍ
فيها ،
ولا مصباح
يُضيئُها ،
وليس في مداها مهاجرٌ شهيدٌ
يرفع في ساحاتها جبينه ...
وهذه بلادي
مع رجلٍ آخرٍ من سُرداقِ الغزالي
تنام - ليس وجهي
حرقاً ، ولا ذراعي
تكيّةً
وهذه بلادي
فخذان من صلاةٍ
مسافةً من شررٍ وتيهٍ
أبحث في رمادها
عن دمي الآخر ، عن شبيهي ...

(... وكان سيف النعمة المجهولُ بالدُّمَاءِ)

معلقاً بالعرش ، قلت : سيّدي

أُرفعه عن بلادي ...
فقال : تمّ الحكم والقضاء
وسوفَ يفنى شعبك الحنيفُ مثل زبدِ الطَّعَنِ
والطَّاعونِ
لكنك المفضل الحبيبُ .. آدمُ
خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
وكان إبراهيمُ لي خليلاً
وأنتَ لي حبيبُ
وموسى ،
كَلَّمْتَهُ وَبَيْنْتَا حِجَابُ
وأنتَ تلقاني بلا حجابِ
وإن أكن خَلَقْتُ مِنْ كَلَامِي
عيسى ، فقد شَقَقْتُ مِنْ أَسْمَائِي
إِسْمًا لَكَ ، اقترنتَ بي ،
أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ
والحوضَ والشَّفَاعَةَ الْكُبْرَى ...)

أسمعُ صوتَ صخرَةٍ قَدِيمَةٍ
تضربُ وجهَ الشَّرْقِ
يرتسمُ الخالقُ في شقوقِها والخلقُ

أسمع صوتَ الرّمن : البغايا
والقبرُ والمعاد
وحائطُ يضحك أو يصلي
للليل شهرزاد ...
... والنيلُ والفراتُ
عينان مملوءتانُ
بالشمس والأشعة
وتردى يبكي
تبيس في صوته
الأشجارُ والأغنياتُ
والعُوطة المرضعة ،
رمى على وجهه
ملاعةً ...
ينامُ أو يقرأ في بستانٍ ...

(... ذهبت؟ هذي قبة ،

سريرُ

من صَبر ، عليه

حوريةُ

تضيء من خنصرها الحقولُ والفصولُ

هذي لمن يموت شاهداً
بانك الرسون . . .)

سمعتُ صوتَ الزمنِ - الجريمةُ :
رائحةُ النسرينِ
أغنيةُ الشمسِ على الأسوازِ
فراشةٌ تهربُ من تشرينِ
إلى غدٍ يحرقُه نوازُ
في أرضهِ الكريمةِ .
من أين هذا الزمنُ المشققُ المدهونُ
بالطاعونُ؟

من أين؟ كيف تصبح الروايةُ
قرنينِ ، أو ذبابه؟
سمعتُ صوتَ الزمنِ : السقوطُ
لو لم يك البستانُ
جاريةً ، لكانَ
جراةً . . .
أعيدي

صوتك ، واستعيدي
سماةً ... ملاكاً
يأتي ، وهذا سلم الهبوط ...

سمعتُ صوتَ الزمن ... السَّقوطُ
نحويّ في الولاده
والنَّهْرَ الممدودَ كالوساده
من شَفَتِي سقراطَ حتّى جثّة الحسين .

(... ولم نزل نزل ... ها وصلنا
ودّعني جبريلُ ، قال : حَدَّثْ
بما رأيتَ واختفى البراق ...)

حَدَّثْتُ ،
تَمَّ الحِكمُ والفِراقُ
حَدَّثْتُ ، كانت هَامَةُ الغزالي
جالسةً كالسيف ، صيرتُ حجراً مبرأً كطفلٍ
يُطارِدُ الغزالي .
وبعد أن يرسمَ حول وجهه

إشارة الوضوء والطهارة
وبعد أن يكرّر الصلاة حتى تُصبح العبارة
تكيّةً ومسجداً ،
وبعد أن يُغالي
في مدحه - يُجلّه كالله ذي الجلالِ ،
يَرِجُ كلَّ ذرّةٍ
في كوكب الغزالي ...
بالرّفصِ بالسؤالِ
بالغرقِ الحاضنِ كلِّ رأسٍ
بشاطيرِ الغيبةِ والرّجعةِ ، بالإمامه
تأتي ، وكلّ نجمةٍ عمامةٍ ،
بالرّعدِ ، بالأيامِ سايبحاتٍ في مُخملِ الأبدِ
كأنّها الأعراسُ أو كأنّها الجراحُ في مدينةِ الجسدِ
بالعشْبِ والبِقولِ
بوطنٍ يعيشُ فوق الأرضِ ، لكن خارجَ الفصولِ ،
بالرّفصِ بالسؤالِ
بالمسجدِ المهْدومِ ، بالحجّاجِ وهو يصلبُ المدينةِ
بعابدٍ تجتريه التكيّةُ
بالخوفِ ، بالتقيّةِ
بقبّةٍ تجشمُ كالوطواطِ أو تهتزُّ كالسفينه
حاملةً بقايا

من ورق الجنة أو من نعمة الإله ، بأنخساف
يغسل لون الأرض ، بالبنفسج المقلوع
من أول الزمان ، بالينبوع
مرتطماً بالوقت مُستضيئاً
كأنه الحصاد أو كأنه المصباح ، -
بالقبول والسؤال
بكل هذا العالم اليابس كالنبات
الأخضر كالنبات
رَجَجْتُ كُلَّ ذَرَّةٍ
في كوكب الغزالي ،
رفقت وانفصلتُ
لأنني أريد وصلاً آخراً ، قَبُولاً
آخرَ مثل الماء والهواء
يبتكر الإنسانَ والسماءُ
يُغيّر اللّحمةَ والسّداةَ والتلويحُ
كأنه يدخلُ من جديدٍ
في سفر النشأة والتكوين .

لكوكب الغزالي
لهذه المقابر المبتوثة الأشباح والطقوسُ

في نَفَقِ الهَوَاءِ وَالتَّارِيخِ ، فِي الأَقْدَامِ وَالرُّؤُوسِ ،
لِهَذِهِ الجِدْرَانِ

لِلكُتُبِ المَدَهُونَةِ الأَوْرَاقِ وَالرُقُوفِ
بِالبَطْنِ وَالشَّهْوَةِ وَالأَسْنَانِ

لِهَذِهِ الأَنْصَابِ وَالأَعْلَامِ وَالسِّيُوفِ
لِهَذِهِ المَسَاجِدِ الكُنَائِسِ الدَانِيَةِ القَطُوفِ
لِهَذِهِ الدَّرُوبِ
مَرصُوفَةً بِاللَّيْلِ ،
لِلتَّكَايَا

عَلَامَةِ الأَسْرَارِ وَالغِيُوبِ
لِكُلِّ هَذَا الزَّمَنِ المَكْدَسِ المَشْحُونِ
بِالزَّمَلِ وَالشُّعَارِ وَالطَّاعُونَ
أَعْرَفُ مَا تَقُولُ لِي
يَا كُوكِباً يَسْكُنُ وَجْهَ الشَّرْقِ
أَعْرَفُ مَا تَوَدُّ أَنْ تَقُولَهُ
لِلشَّرْقِ ،

هَذَا السَّيِّدِ المَصْلُوبِ

هَذَا الشَّاعِرِ المَجْنُونِ ،

وَمَا أَنَا أَغْنِي

أَتِي كَمَا تَقُولُ لِي

يا كوكباً يسكن وجه الشرق
من تيس الغابات من دجنة الأبار والزوايا
من جوف عنكبوت
من قمر يسود من حضارة تموت
أتي كما تقول لي
يا كوكباً يسكن وجه الشرق
في الشمس في حناجر الأطفال في النوارس المليئة
بالبحر، بالشواطئ المضيئة
أفتح كل باب
أشق كل رسم
بغضبة الخالق - بالرجاء أو باليأس
بثورة النبي
مسكونة بالشمس
مسكونة بالفرح الكوني.

(بيروت ، 1967)

تعويضات لمدائن الفزالي

www.alkottob.com

www.alkottob.com

١- جسد الحصاة

هذا الذي سمّيته التّاريخَ والبدايةُ
أملسُ مسدودٌ بلا حياةٍ
كجسدِ الحصاةِ ،
هذا الذي يمنحنا الرّعايةَ
سريراً عنكبوتٍ
والماء في العاصي وفي القراتِ
خبيراً ، وصحراءُ النّخطيّ كلامٌ
أو ورقٌ ، لا فرق ، والقلاعُ
جاريةٌ مربوطةٌ ، وليلاً
أجردٌ : لا حلمٌ ، ولا شعاعٌ .
لا ، لستِ أقحوانٌ
أو باقةٌ من زهرِ الأخوةِ
ولستِ إيهاءٌ ولا نبوةُ
أو نجمةٌ تسهرُ عندَ الجسرِ
تقرأ ماءَ النّهرِ ...

وليس فيك سائلٌ
وليس فيك قارئٌ
فأنتِ مرزبانٌ
يَصْنَعُ من جنازةِ الضحيةِ
خبزاً ، ولستِ ناهدَ الصبيةِ
حينَ يكونُ الحبُّ مهرجاناً .

... — جلدةٌ أنتِ ، لستِ أكثرَ من جلدةِ معزى وإن تناسلتِ
واستأجرتِ زوجاً وجئتِ للناسِ في ثوبِ دمشقِ ، وسحنةِ أدميةِ .
وأنا الدهرُ والطريقُ ،
أخضُ البحرَ — موتي سفينةٌ ، وبقايايَ
انفجارٌ يجيءُ ، أو أبجديةٌ ...

٢- لو سكنت

... لو سكنت ، كما قلت ، صوتي

لكنت اهتديت

للطريق ومعراجها واكتسبت

حلة السالكين

يشربون الشموس وأبعادها

ولكنت ارتويت

لو سكنت ، كما قلت ، صوتي

كنت العرافة

ومناراتها القزحية

بين أيامنا الورقية

وثلوج المسافة ،

ولكنت اهتديت ...

٣. القاعدة

... كي تستوي ، كي تكون
خُذْ يَدَهَا مِنْ هُنَا
خُذْ وَجْهَهَا ، وَابْتَكِرْ
شِرَارَةً وَاسْتَبِجْ
زُنَّارَهَا ، وَالْكَتِفَ الْجَامِدَةَ
وَاشْدُدْ إِلَى الْيَسَارِ
مِخْوَرَهَا الْخَرُونَ
وَحَرِّكِ الزَّائِبَةَ الْقَاعِدَةَ
وغير الأساس والحجار
وغير القاعدة ...

(بيروت ، 1967)

مرآة الطريق وتاريخ الغصون

1

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحُ :
كلُّ شيءٍ من جناحٍ
طالعٌ في دمي ، في الحقولِ
سابعٌ في مدارِ الفصولِ
حيثُ أخيتُ وجهي مع العشبِ واستسلمتُ خطايا
لحنينِ المرايا
ورأيتُ العناصرَ تبكي وتفتحُ جرحَ الأخوةِ
بيننا ، وعرفتُ الإشارةَ
أنني أولُ البشارةِ
أنني نبتةٌ من الشرقِ في روضةِ النبوةِ .

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحُ
كلُّ شيءٍ من طريقٍ
ألحدودُ وراياتها والحريقُ
والسُدودُ ، اللقاءِ ومعالجةُ

الصُّوتُ ، صوتيَ في راحتي ،
العصافيرُ تنأى وتتركُ أسماءَها في الغصونِ
الغصونُ وتاريخُها -

- فتحنا

وطناً آخرأً وسرنا

في وداعِ العصافيرِ ، كنا

لتباريحها فضاءً ،

رحلنا

مثلها ...

كلّ شيءٍ طريقاً ،

حضناً مراراتنا ، صعدنا

في بكوريةِ الأعالي

لابسين الرّموزَ ، اصطبغنا ، صبغنا غلالاتها بالأعالي

والحمامُ الذي يتناسلُ في وجهنا طريقاً

والسرابُ ومزمأه طريقاً

كلّ شيءٍ طريقاً

والوجوهُ التي تتناسخُ في عُبرةِ الطُّريقِ

والوداعُ المرابطُ في وحشةِ الطُّريقِ -

- يا زمانَ المطرِ

أعطينا ، وابتكرت للشجر
غيمة - حلة من هوانا
واسقى من حن ، من سقانا
يا زمان المطر . . .

بغته ، صار بيني وبين الطبيعة
لغة ورسائل ، صار الهواء
درجاً ، صرت أمشي
بين عيني والفضاء
سائحاً في ثياب الطبيعة :

- إن تكن يا بريد المسافة
فارساً ، فحنيني
فرس ، إن تكن صحارى
فيداي القوافل ، إن كنت نارا
فأنا عاشق غريب تيممها ، والعراقه
كوكبي ، يا بريد المسافة . . .

2

رافقتني الرياح وأحجارها النبوية :
حجر سيد المدينة

حَجَرٌ خَادِمُ الْمَدِينَةِ
حَجَرٌ وَاسِعٌ يَتَدَحْرَجُ فِي خَاتَمِ الْخَلِيفَةِ
حَجَرٌ نَجْمَةٌ خَفِيفَةٌ
عَلَّقْتَهُ الصُّبَايَا
بَيْنَ أَحْلَامِهِنَّ الْآلِيفَةَ
وَعْيُونَ الْمَرَايَا

— أَسْتودِعُ الْحَجَرَ
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرَ
فَلِلْحَجَرِ
خَيْطٌ مِنَ الرَّاحَةِ ، فِي نَسِيجِهِ
عَيْنَايَ وَالْغَابَاتُ وَالْمَطَرُ
وَلِلْحَجَرِ
مَدِينَةٌ تُولَدُ كُلَّ لَيْلَةٍ
أَبْحَثُ فِي شَفْوَقِهَا ، أَرْكُضُ ... كُلَّ سَاحِرٍ
يَضِيغُ فِي مَدِينَةِ الْحَجَرِ

لَكُنْتِي أَسْتودِعُ الْحَجَرَ
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرَ ...

رَافَقْتَنِي الرِّيَّاحُ وَأَحْبَارُهَا النَّبِيُّه

والذين يسيرون في النار ، يستتبتون
شجر الحلم ، يفتحون
في رماد العصافير بوابة ...

... وسرنا

خطوات من القمح ، سرنا ...

يرون الطريق أغاني

وخطاهم ينايغها ...

... التقينا

بين عنق الطريق وأردافها ...

الطالعون

من قلاع الهجوم

يمدون سلطانهم في تخوم الغرابة في أول النبات ...

... انحنينا ...

للطريق وأعشاشها

رأينا

سحر أبعادها

سمعنا

صوتها ..

العاصفون

الذين يجيئون كالوقت ...

... عين الغرابة

مطرًا أو سحابة

تحت أهدابنا

عجينا

كيف لم يفتح الجنون

لخطانا شبائيكه ، عجينا . . .

والذين يرجون ماء العصور . . .

... انتشلنا

وطناً عائماً . . .

يسمّون ما لا يُسمّى

يكسرون الحدودَ وأقفالها ، يُنشثون

طرقاً في الطريقِ ، يسيرون قدامها . . .

... استمعنا

لصدانا يسافر في العشب ،

يقبل من آخر البحر . . .

يهوون في لجة الحلم ،

... كنا

ذهب الليل والصبحاري

فوق غرناطة ، في بخاري . . .

والذين يسيرون بين التحول والنار

... سرنا ،

كلهم رافقوني . . .

... حيثُ تقصُّ الشمسُ ، بعدَ النَّوْمِ

عليَّ كلَّ يومٍ :

... ونادرُ الأسودُ

يقراُ باسمِ اللهِ والشقاءِ

أسطورة الخبزِ وشعرِ الماءِ

ونادرُ الأسودُ

تحمله الأشجارُ

وكلَّ غصنِ قبضةٍ وسيفِ

ينضجُ قبلَ الصَّيفِ

ينضجُ بعدَ الصَّيفِ

ونادرُ الأسودِ

هاجرَ كي يرجعَ في تشرينِ

في أولِ الأمطارِ ...

... حيثُ رأى مهبازِ

كيفَ تجيءُ الشمسُ كلَّ يومٍ

إليَّ ، بعدَ النَّوْمِ

حيثُ يصيرُ الماءُ

من لهفةٍ ، نافورةَ الحريقِ

حيثُ يكونُ الزَّهرُ الضائعُ في الطَّرِيقِ

أجراً من مدينته .

تَفْتَحُ الأَرْضُ بَيْتَهَا

تبدأ الأرضُ خطاها معي ،

... معي غَضَبُ الأَرْضِ ، هواها ، سطوئها الوحشية

والدَّمَ السيد ، الدَّمَ الأمير ، الطالعُ من بُؤرة

الزَّمان القصية

تفتح الأرض بيتها ،

... سرّة الأرض سريرة

كلّ التواريخ عقدٌ يتنلّى حولي ...

وتاريخنا يَنْصَحُ :

... فينا الجَمر ، الضحايا

وفينا

شهوةُ الملح ، شهوة الكوكب الجامح فينا ،

وصحوةُ الجنس في الليل ، وقربانهُ

وتسبيحةُ المرأة انهارتْ على صدرِ فاتحٍ يُغلقُ التاريخَ ،

فينا الدَّمَ الغيورُ الغرابيُّ الغريبُ المقدَّسُ المسفوكُ

والرقيقُ : المليكُ والمملوكُ

... كلُّ شيءٍ كما كان والثائرونُ

أصدقاءُ الرياح

يجرحون النّهار يسيرون بين الجراحِ ...

غير أن أسير ، أسمي ، أردُ إلى كلماتي

سِخْرَ تَكْوِينِهَا ، أَسْمَى
بِالْجُدُورِ وَإِيقَاعِهَا ، أَسْمَى
شَجَرَ الْخَلْجَةِ النَّبِيَّةِ فِي أَوَّلِ الْفُصُولِ
حَيْثُ لَا يَعْرِفُ الدَّخَانَ
أَنْ بَيْنَ الْحَقُولِ
وِنَابِيئِي الْخَفِيَّةِ
سَقَطَتْ جِئَةُ الْمَكَانِ .

... وَأَسْمَى ، وَطَفَّحَتْ أَنْهَارِي الْبَشْرِيَّةِ
غَضِبًا يَنْسِجُ الْخَيْوُطَ
بَيْنَ صَوْتِي وَأَمْوَاجِهِ ، وَالشَّطُوطَ
قَوْسُ نَارٍ - حَضَنْتُ الْحَرِيقَ
وَقَشَرْتُ الْمَكَانَ ، جَعَلْتُ الْمَكَانَ
زَهْرًا يَقْرَأُ الْعَطْرِيقَ
وَالنَّحْلِي تَرْجَمَانِ .

وَرَأَيْتُ أَغَانِيَّ تَمْشِي وَتَنْسِجُ أَقْدَامُهَا الشَّبَاكَ
لَطِيورِ الْكَآبَةِ
وَرَأَيْتُ أَغَانِيَّ تَلْهُو ، تَعْدُو التَّرَابَ
حَبَّةَ حَبَّةً ، وَالْعَذَابَ
نَائِمًا فِي السَّوَادِ عَلَى ضَفَّةِ الْغُرَابَةِ .

كانت الريحُ عينينِ مسنونتينُ
تخرقان الظلامَ وعاداته ، تجرحانُ
جسدَ اللَّيلِ ، تشربانُ
دمه الأسودَ ، المصفى
حينما تصعد المقابرُ أو يسقطُ الملائكُ
كانت الريحُ جنيةً والأغاني
وجهها واليدينِ ...

... وناذرُ الأسودِ
كان الصدى ، وكان
يجلس بين القمرِ الجائعِ والبستانِ
يكتشفُ الظلَّ ، يغطي جوعه وكان
كالذهر ،
فلاحاً من الفراتِ
يخيطُ جرحَ الماءِ
يمشي وتمشي خلفه السماءُ .

حيث تجيء الشمس بعد النومِ
إلي ، كل يومِ
حيث يصير الماءُ
من لهفةِ نافورةِ الحريقِ
حيثُ يكونُ الزهرُ الضائعُ في الطريقِ

أجراً من مدينته .

4

— من أين أتيت؟

— من أرض الموتى ، من أجران الدَّمع أتيتُ

لم أسكن بيت ...

وحيثما نزلتُ في مقبره

والشَّمسُ تلتفتُ علي كاحلي

كالعشبة المسكرة

حملتُ للجوع قرابينه

كان دمي أضحيةً هاجرت

إلى غدٍ آخرٍ

كانت يدي مجمره ...

ولم أجد في أول المقبره

ولم أجد في آخر المقبره

غيرَ الأطفالُ

كانوا وعد الأرض الحُبلى

كانوا المدَّ العالِيَّ والأمواجَ الحُبلى والشَّلالُ ...

— من أين أتيت؟

— كنت أغامر في الغاباتُ

أركض خلف الجنَّياتُ

أحلم أن الجنياتُ

خبزٌ ...

... ومرّ عصفورٌ بلا هوية

من فلواتِ الطيرِ

والتّمت الأرضُ كمزهريّة

للليل ، للبقية

من زهرِ الصّبيرِ .

– من أين أتيت؟

– كنتُ حطاباً عبتُ الشجرة

وغرزتُ الفأسَ في أهدابها ...

– كيف أتيت؟

– جئتُ في قافلةِ الرّعبِ وراياتِ الجنونِ

في بقايا فاسي المنكسرة

مرهقاً يحمل تاريخَ الغصونِ ...

5

مهباز

يهبطُ في محيطِ قاسيونِ

في بردي ، في فجوةِ السقيفة

في العوطةِ المفكوكةِ الأزرا

في الليلِ – محمولاً على قطيفه :

... شقائق النعمان
والحجر الماسي والقنب والرمان
حشد من الفرسان في إيوان قاسيون .

حيث تصير النار
بحيرة ، ويولد العصفور
في ورق اللوتس ، حيث الماء
سفينة تقل للأبناء من مقابر الآباء
مجامر البخور :

... تحت وجه الفيسفام ترئعنا ...
وغلغت في ضباب الأريكة
في دوار ، في حوض غيبوبة خضراء
في طعم جنة
وسمعت البحر يبكي أمواجه المنهكة ...

ساطع
لهبي التحول هذا الزقاق - الحجار مرايا :
حجر سيد المدينة
حجر فارس المدينة

قاطع يتقدم يجتاح يدخل في مقتل المدينة ...
عجلات النهار ارتخت ، والمدينة

أسلمت وجهها المدينة
حيث تقصُّ الشمس بعدَ النومِ
عليّ ، كلُّ يومٍ :

... ونادرُ الأسودِ
كالذَّهرِ ، فلاحٌ من الفراتِ
يخيطُ جرحَ الماءِ
يمشي وتمشي خلفه السَّماءُ ...

مهبازُ
جسراً إلى الهبوطِ حتَّى السَّحرِ والشِّقاءِ
في الجسدِ الأرضيِّ أو في جسدِ السَّماءِ ...
... جسدي هنا ، جسدي هنالكَ ساحرُ
صوتُ يثنُّ بلا صدَى
يرتادُ يفتتحُ المدى
هو والمدى ...

فصلته جارحةُ البروقِ عن الدَّمِ اللّزجِ الهزيلِ
جسدي قبابُ الأرزِ ، والنَّهرُ المسافرُ ، والنَّخيلُ ...

كلُّ شيءٍ كما كان ، والثَّائرون
أصدقاءُ الرِّياحِ

فقراء الزوايا وأطفالها والنساء البقايا
يجرحون النهارَ يسرون بين الجراح
كلّ شيءٍ كما كان : كفاي مثقوبتانُ
والصدى يشربُ التّزيفُ
كلّ شيءٍ كما كان : عيناى معصوبتانُ
والطّريقُ الرّغيفُ ،

... سقطت حربة ، فللمت أيامي
وأسلمتها إلى كلماتي
في جذور التّفثحاتِ
ودفء الموتِ ، في موتي الصّدقِ المؤاتي
في الغدِ التّأفّرِ المهاجرِ ،
في البرقِ الصّدقِ ، البرقِ البعيدِ الآتي
لستُ إلا إيقاعها : لستُ إلا
نَسْماً طائفاً
يفتّت روح الماء بين الأنقاضِ والأشتاتِ ...

مهباز
وجهك برج اللّيلِ في سفينةِ البخّورِ
والحلّم في أجنحةِ اليمامِ واليمامُ في التّنوّزِ
والكناريُّ الذي غنى وغنى :

– لم يعد حولي مكانٌ غير ظلي
لم يعد حولي طريقٌ غير ظلي ...

والذي غنى وغنى :

– كان لي أرضٌ منحتُ الأرضَ ، كانُ
شجرًا ماتَ ،

الكناريُّ الذي غنى وغنى :

– أنتَ يا وجهَ المكانِ
نصفك الأول ماتَ
نصفك الآخر لم يُولَدَ ...

وغنى :

– كان لي ظلٌّ منحتُ الظلَّ . كانُ
شجرًا ماتَ ...

الكناريُّ الذي غنى وصلَّى للحياة
طار من شوقٍ إلى الموتِ وماتَ ...
مهيأً

وجهك برجُ الضوءِ في سفينةِ الظلامِ
والحلمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامِ

جسدٌ هنا جسدٌ هنالكٌ ساحرٌ

يرتادُ يفتتحُ المدى

هو والمدى . . .

حيثُ تقصُّ الشمسُ ، بعدَ النومِ

عليّ ، كلُّ يومٍ :

. وسمعتُ أساطيرَهم ، وخبزنا ، أكلنا

وقفنا أمامَ المرايا

ورأيتُ الوجوهَ الطريدهَ

وتجاعيدَها ، ورأيتُ الجنونَ

وهو يستنفرُ العصورَ يسوقُ العصورَ

نحوها . ورأيتُ الرماحَ

تنحني فوقنا كالغصون ، رأيتُ الغصونَ

في تقاطيعنا . . .

رأيتُ المراكبَ في فجوةِ الخليجِ

تحملُ النارَ والرياحَ

وغسلتُ المرايا وحررتُ إعصارها ، مزجتُ المرايا

والطريقَ وتاريخها ، وجعلتُ المزيجَ

كيمياءَ العصورِ الجديده . . .

ويجيءُ الصبّاحُ

من تخومِ خفيّةِ

لابساً حُمْرَةَ القُطَيْفِ
لهبياً وديعاً يطهرُ ، يزرع جَذَرَ الرِّياحِ
في بلادِ الخليفة
وأقاليمها الورقية ...
حيث رأى مهباز
ونادرُ الأسودُ
كيف تجيء الشمسُ بعدَ النومِ
إلي كلِّ يومٍ
حيثُ يصيرُ الماءُ
من لهفةِ نافورةِ الحريقِ
حيثُ يكونُ الورقُ الضائعُ في الطريقِ
أجراً من مدينته .

6

سقطتْ مناديلُ الفِضاءِ بشارَةً تلدُّ البشارَةَ :
لم يبقَ إلاَّ عابراً شربت ملامحَه الجسورُ
هو مرّةٌ ، نجمٌ يشفُ ، ومرّةٌ ، نجمٌ يَغُورُ -
لم يبقَ من تيهِ الطريقِ سوى الشُّرارةِ
والماءُ نجارٌ يدورُ
يُعطي ، يُشيرُ ، يمدُّ راحته ، ويؤذِنُ بالعُبورِ .

(بيروت ، 1967)

هَذَا هُوَ اسْمِي

www.alkottob.com

www.alkottob.com

ماحياً كل حكمة هذه ناري
لم تبقَ آية ، دمي آية
هذا بذثي

دخلتُ إلى حوضك أرضٌ تدور حولي أعضاءك
نيلٌ يجري طَفُونًا ترسبنا تقاطعت في دمي قطعت
صدرك أمواجي أنصهرت لتبدأ : نسي الحب شفرة الليل ، هل
أصرخ أن الطوفان يأتي؟ لنبدأ : صرخة تعرج المدينة
والناس مرايا تمشي إذا عبر الملح التقينا هل أنت؟
- حبي جرح

جسدي وردة على الجرح لا يُقطف إلا موتاً . دمي غصن
أسلم أوراقه استقر . . .

هل الصخر جواب؟ هل موتك السيد النائم يُغوي؟ عندي
لثديك هالات وكوع لوجهك الطفل وجه مثله . . . أنت؟ لم
أجدك .

وهذا الهبي ماحياً
دخلتُ إلى حوضك عندي مدينة تحت أحزاني

عندي ما يجعل الغصن الأخضر ليلاً والشمس عاشقة سوداء
عندي ...

تقدموا فقراء الأرض غطوا هذا الزمان بأسمالٍ ودمع
غطوه بالجسد الباحث عن دفته ... المدينة أقواسُ جنونٍ
رأيتُ أن تلد الثورة أبناءها ، قبرت ملايين الأغاني وجثتُ ،
هل أنت في قبري؟ هاتي ألمس يدك اتبعيني .
زمني لم يجمع ومقبرة العالم جاءت عندي لكل
السلطين رمادٌ هاتي يدك اتبعيني ...
قادرٌ أن أغير : لغم الحضارة - هذا هو اسمي
(لافتة)

... وقفتُ خطوة الحياة على باب كتابٍ محوته بسؤالاتي
ماذا أرى؟ أرى ورقاً قيل استراحت فيه الحضارات ، هل
تعرف ناراً تبكي؟ أرى المئة اثنين أرى المسجد الكنيسة
سيافين والأرض وردة .
طار في وجهي نسرٌ قدست رائحة الفوضى
ليأت الوقت الحزين لتستيقظ شعوب اللهب والرفض
صحرائي تنمو أحببت صفاقةً تحتار برجاً يتيه مثدنة
تهرم أحببت شاعراً صف لبنان عليه أمعاء في رسومٍ ومرايا
وفي تمائم
قلت الآن أعطي نفسي لهاوية الجنس وأعطي للنار فاتحة

العالم قلتُ استقرُّ كالرمح يا نيرون في جبهة الخليفة روما كلُّ
بيتِ روما التخيل والواقع روما مدينةُ الله والتاريخ قلتُ استقرُّ
كالرمح يا نيرون . . .

لم أكل العشيَّة غير الرَّمْلِ ، جوعي يدورُ كالأرضِ أحجارُ
قصورٍ هياكلٍ أتَهجَّأها كخبزٍ رأيت في دمي الثالثِ عينيُّ
مُسافرٍ مزج الناسَ بأمواجِ حلمه الأبدِي
حاملاً شعلةَ المسافات في عقلِ نبيٍّ وفي دمٍ وخشي .

. . . وعليَّ رموهُ في الجبِّ غَطَّوهُ بقشٍ والشمس تحمل
قتلاها وتمضي هل يعرف الضوءُ في أرضِ عليِّ
طريقه؟ هل يُلاقينا؟ سمعنا دماً رأينا أنينا .

سنقول الحقيقة : هذي بلادُ

رفعت فنحلَّها

رايةً . . .

سنقول الحقيقة : ليست بلاداً

هي إصطبلنا القمريِّ

هي عكَّازة السلاطين سجادةُ النبيِّ

سنقول البساطة : في الكون شيءٌ يسمَّى الحضور وشيءٌ

يُسمَّى

الغيابَ نقول الحقيقة :

نحن الغياب
لم تلدنا سماء لم يلدنا تراب
إننا زبدٌ يتخبَّرُ من نَهْرِ الكلماتِ
صدأً في السماء وأفلاكها
صدأً في الحياة!

(منشور سري)

وملئنا فجاً لاجئاً

وليكن وجهي فيثاً
دهرٌ من الحجر العاشق يمشي حولي أنا العاشق الأول
للنار
تحبلُ النار أيامي ناراً أتشى دمّ تحت نهدِها صليلُ
والإبطُ أبارُ دمعٍ نهرٌ تائهٌ وتلتصق الشمس عليها كالثوبِ
تزلقُ جرحُ فرغته وشعشعتهُ بباهٍ وبهارٍ، هذا جنينك؟
أحزاني ورددُ .
دخلتُ مدرسة العشبِ جبيني مُشققٌ ودمي يخلع سلطانه :
تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة بالخبز؟ تناثرتُ في
رواقٍ من النارِ اقتسمنا دمَ الملوكِ وجعنا
نحمل الأزمه

مازجين الحصى بالنجوم
سائقين الغيوم
كقطيع من الأحصنة .

قَادُوا أَنِ اعْتَبِرُوا: لِقَمِّ الْحَضَارَةِ - هَذَا هُوَ اسْمِي

أَلَا أَمَّةٌ اسْتَرَاخَتْ
فِي عَسَلِ الرِّبَابِ وَالْمِحْرَابِ
حَصْنَتُهَا الْخَالِقُ مِثْلَ خَنْدَقٍ
وَسَدَّةٍ .

لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ أَيْنَ الْبَابِ
لَا أَحَدٌ يَسْأَلُ أَيْنَ الْبَابِ .

(منشور سري) .

... وَعَلِيٌّ رَمَوْهُ فِي الْجَبِّ كَانَ الْجَمْرُ ثَوْبًا لَهُ اشْتَعَلْنَا
تَمَسَّكْنَا بِأَسْلَاتِهِ اشْتَعَلْتُ مَسَاءَ الْخَيْرِ يَا وَرْدَةَ الرَّمَادِ
عَلِيٌّ وَطَنٌ لَيْسَ لِاسْمِهِ لُغَةٌ يَنْزِفُ نَفْيًا وَيُثَبِّتُ الْعَشْبَ وَالْمَاءَ
عَلِيٌّ مَهَاجِرٌ

أَيْنَ يَغْفُو سَيِّدَ الْحُزْنِ كَيْفَ يَحْمِلُ عَيْنِيهِ؟ سَمَائِي مَخْنُوقَةٌ
كَتَفِي تَهْبِطُ وَالْأَرْضُ خَوْذَةٌ مُلْتَمِتٌ رَمَلًا وَقَشًا هَلَعْتُ أَرْكَضُ
غَطَّتْنِي سَنُونُوءٌ نَهَضَتْ لَهَيْبٌ نَاهِدَاهَا نَهَضْتُ أَفْتَحُ شَبَاكَاً :

حقولٌ خضراءُ أنا الفاتحُ الآخر والأرضُ لعبةٌ فرسٌ تدخلُ في

الغيمِ

يخرجُ الشجرُ العاشقُ غصنٌ يهزني أنبجسُ الماءِ انتهى

زمنُ الناسِ القديمُ ابتدأتُ وجهي مداراتٌ وفي الضوءِ ثورةٌ .

أيقظتني قريةٌ في مهبةٍ أنكسر الصمتُ

احتضنتني يا خالقَ التعبِ امنحني أراجيحكَ امتحني أنا

الصخرةُ والبحثُ والسؤالُ ولا عيدٌ ولا موقدٌ أنا الشبَّحُ الراصدُ

في فجوةِ المدينةِ والناسِ نيامٌ دخلتُ في شركِ الضوءِ

نقياً كالعُنفِ أسطعُ كالتيه خفيفاً أطرافي البرقِ أطرافي رياحُ

منحوتةٌ ليس عظمي طعمَ تاجٍ أو فضةٍ لستُ مُلكاً ودمي هجرةٌ

السماءِ وعيناها طيورٌ يُقالُ جلدكُ شوكٌ لتمتُ ولتكن

سمائي من جلدكُ صفراءُ قيل جلدكُ دهرٌ راسبٌ في قرارةِ

الحلمِ

ولتولدُ حِرابُ الوقعةِ الأبديةِ

بيننا حفرةُ انهدامٍ وصوتي

هذيانُ المغيرِ يكسرُ عكازَ الأغاني ويقلعُ الأبيديهِ

... والنساءُ ارتحنَ في مقصورةٍ

يستجرنُ الكتبَ المستنزلةَ

ويحوكنُ السماءَ

دميةً

أو مقصلة
وعليّ فاتح أحزانه
لبهاليل الشقاء
للذين استنسروا وانكسروا . . .
وعليّ لهب
ساحرٌ مشتعلٌ في كلّ ماء
عاصفاً يجتاحُ - لم يترك تراباً أو كتاباً
كنس التاريخ غطى
بجناحيه النهار
سرّه أنّ النهار
جنٌّ
هذا زمنُ الموتِ ، ولكن
كلّ موتٍ فيه موتٌ عربيّ
تسقط الأيام في ساحاته
كجدوع الأرزة المكتهلة
إنه آخرُ ما غنيّ به
طائرٌ في غابةٍ مشتعلة .

وطني راکضٌ ورائي كنهرٍ من دم جبهة الحضارة
قاعٌ طحليّ لملمت تاجاً تقمّصتُ سراجاً هامت
دمشق حنت بغداد سيفُ التاريخ يُكسرُ في وجه بلادي

مَن الحريقُ مَن الطوفانُ؟

كنتِ الصحراء حين أسرتُ الثلج فيك انشطرتُ مثلك رملاً
وضباباً صرختُ أنتِ إلهَ لأرى وجهه لأمحو ما يجمع بيني
وبينه قلتُ جاسدتك أنتِ الشقُ المليء بأمواجي أنا الليلُ
حافياً حين أدخلتك في سرّتي تناسلت في خطوي طريقاً
دخلت في مائي الطفل استضيئي فأصلي في متاهي
خدرٌ متمرّ يعرّش حول الرأس حلمٌ تحت الوسادة أيامي
ثقبٌ في جيبي اهترأ العالمُ حواء حاملٌ في سراويلي
أمشي على جليدي

ملذاتي أمشي بين المحير والمعجز أمشي في وردة
زهرات اليأس تلوي والحزن يصدأ جيشٌ من وجوه
مسحوقه يعبر التاريخ جيشٌ كالخيط أسلم واستسلم ، جيشٌ
كالظل أركض في صوت الضحايا وحدي على شفة
الموت كقبرٍ يسير في كرة الضوء -

انصهرنا دمُ الأحياء كالأهداب يحمي سمعتُ نبضك في
جلدي ، هل أنت غابة؟ سقط الحاجز ، هل كنتِ حاجزاً؟
سأل النورس خيطاً في البحر يغزله الربانُ غنى ثلج المسافر
شمساً لا يراها ، هل أنت شمسي؟ شمسي ريشة تشرب
المدى سمع الضائع صوتاً ، هل أنت صوتي؟ صوتي زمني
نبضك الشهيق ونهداك سوادي وكل ليل بياضي
زحفت غيمةً فأسلمتُ للطوفان وجهي وتهت في أنقاضي ...

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلت الرَّمْلَ في أهدابها
شجراً يَمْطُرُ والصحراء غيمه
قلتُ : هذي الجرّة المنكسره
أمة مهزومه ، هذا الفضاء
رَمَدٌ ، هذي العيونُ
حُفْرٌ ، قلت الجنون
كوكبٌ مختبئٌ في شجره .
سأرى وجه الغرابِ
في تقاطيع بلادِي ، وأسمي
كفناً هذا الكتابُ
وأسمي جيفةً هذي المدينة
وأسمي شجرَ الشام عصفير حزينه
ربما تولدُ بعد التسمية
زهرة أو أغنية ،
وأسمي قمرَ الصحراء نخلة
ربما استيقظت الأرض وعادت
طفلةً أو حلم طفلة
لم يعد شيءٌ يغني أغنياتِي :
سيجيء الرافضونُ
ويجيء الضوء في ميعاده . . .

لم يعد غيرُ الجنون
هل لتاريخي في ليلك طفلُ
يا رمادَ المدفاه
غضبُ الثورة جمرُ عاشق
وأغاني امرأة :
هل لتاريخي في ليلك طفلُ؟

الغبارُ الترابيُّ في العظم الجأ؟ هل يلجئُ الغبارُ؟
لا مكانٌ ولا ينفع الموتُ . . . هذا دُوارُ
من يرى جثةَ العصور على وجهه ويكبو لا حراكُ
يحسُّ الكهولةُ
حلمةً للطفولة .

قادرُ انا اغتو: لغمُ الحضارة .. هذا هو اسمي

عُدَّ إلى كهفك التواريخُ أسرابُ جرادٍ ، هذا التاريخُ
يسكن في حُصنٍ بغيٍّ يجترُّ يشهق في جوفِ أتانٍ ويشتهي عفنَ
الأرضِ ويمشي في دُودةٍ عُدَّ إلى كهفك واخفض عينيك

المحِ كَلِمَةٌ

كلنا حولها سرابٌ وطينٌ لا امرؤ القيس هزها والمحرى
طفلاً وانحنى تحتها الجُنَيْدُ انحنى الحلاج والنُّفْرِي
روى المتنبي أنها الصُّوت والصدى أنت مملوكٌ
هي المالكُ الملاكُ غدُ الأمة فيها كبذرةٌ
غُدُّ إلى كهفك
ماذا؟ نفوه أو قتلوه؟

قتلوه... لا لن أحدث عن موتي صديقي : ريف من الزهر
الأصفر حولي لكن سأكتب عن آخر غصنٍ في أرزة
البيت عن رفٍ يجر سجادة الليل عن الحلم عالياً
كبروج

قتلوه لا لن أفوه بأسماء شهودٍ أو قاتلين ولن أبكي
سأبكي لأمةٍ ولدت خرساء للتم حاضناً زرقة الشيطان يبكي :
لم البكاء على طفلٍ على شاعرٍ؟ سأكتب عن آخر في
لأرزة البيت عن رفٍ حمامٍ يجر سجادة الليل عن الحلم عالياً
كجبال .

وضع السيد الخليفة قانوناً من الماء شعبه المرق الطين
سيوفٌ مصهورةٌ وضع السيد تاجاً مرصعاً بعيون الناس
هل هذه المدينة أي؟ هل ثياب النساء من ورق المصحف
أدخلت محجري
في مضيق حفرته الساعات ساءلت هل شعبي نهر بلا مصب؟
أغني

لُغَةَ النَّصْلِ أَصْرَحُ أَنْثَقِبُ الدَّهْرَ وَطَاحَتْ جَدْرَانُهُ
بَيْنَ أَحْشَانِي تَقِيَّاتٌ لَمْ يَعُدْ لِي تَارِيخٌ وَلَا حَاضِرٌ
أَنَا الْأَرْقُ الشَّمْسِيُّ وَالْفُوهَةُ الْخَطِيئَةُ وَالْفِعْلُ أَنْتَظِرُنِي
يَا رَاكِبَ الْغَيْمِ أَشْيَائِي تَفْوَى وَالشَّمْسُ تَخْبِطُ أَطْرَافِي أَنَا
السَّاكِنُ الْمَدَى وَالْمَزَامِيرُ أَنَا الْغَصْنُ لَا جِئْتُ : أَصْغِ هَل تَسْمَعُ هَذَا
النَّوَّاحِ فِي كِبَدِ الْعَالَمِ؟ أَصْغِي لِلْمَوْتِ بَيْنَ
تَجَاعِيدِي هَدِينَا

هَدَيْتُ كَيْ أَحْسَنَ الْمَوْتِ اصْطَفَيْتُ النَّهْدِينَ بَيْنَ تَقَالِيدِي
هَلْ جِلْدُكَ السَّقُوطُ هَلْ الْفَنَاحَانُ جَرِحُ مَلَاتُهُ النَّامُ
الْعَالَمُ هَلْ أَنْتِ مَقْلَعُ اللَّيْلِ فِي جِلْدِي؟ فَاسِي مَسْنُونَةٌ
صَرْتُ نَبْعًا آخِرًا ضِيفْتِي تَفِيضُ ذِرَاعَاكَ اغْتِرَافٌ قَوْمٌ حَمَلْتِكِ
وَجْهِي صَحْبٌ طَائِرٌ تَقَاسَمُهُ الصَّوْتُ اسْتَأْلِينِي أُجِيبُ . . .
تَكَلَّمْ جَفْرٌ رَصَدْتَنِي خَيْولُهُ انْطَفَأَ الْهَمْسُ ، أَعْنَدِي أَعْنَدُكَ الْآنَ
مَا يُهْمَسُ؟ نَارٌ مَلْجُومَةٌ سَفْنٌ تَجَنَّحُ بِحَرِّ مَرَوْضٍ
فَتَحَ النُّورِ عَيْنِيهِ أَغْلِقِي نَسِي الْفَتْحَةَ فِي
رِيشِ الْمَشْعَثِ مَاءٌ وَشِرَارٌ لَوْ كَانَ لَوْ عَرَفَ الرَّعْدُ لَوْ
الرَّعْدُ فِي يَدِي

هُدُوءاً هَذِهِ قُبَّةٌ وَسُكْنَايَ فِي فُوهَةٍ نَهْدٍ أَظَلُّ أَحْفَرُ لَوْ
غَيَّرْتُ لَوْ غَيَّرَ الْغُبَارُ عَذَارَاهُ لَوْ النَّارُ هَمَزَةٌ . . .
ذُبَّتْ فِي جَنْسِي جَنْسِي بِلَا حُلُودٍ وَلَا سَيْفٍ تَلَاشِي لَأَشِي
تَلَاشِيَتْ وَجْهٌ وَاحِدٌ نَحْنُ لَا قَمِيصِي تَفَاحٌ وَلَا أَنْتِ جِنَّةٌ نَحْنُ

حقلٌ وحصادٌ والشمس تحرسُ أنضجْتُكَ جيثي من ذلك
الطرف الأخصر هذا قطافنا جسداً زارعٌ حاصدٌ
وحيدةٌ أعضائي جيثي من ذلك الطرفُ استحضرتُ
موتي وسلسليني ملكنا بجمرة الوقتِ والحنين ملكنا رَغَد الكون
وهو يلتحف الناس اهتدينا ...

قرأتُ في ورقٍ أصفرَ آني أموت نفيًا تنورتُ الصَّحارى
شعبي يشطُّ ... نبشنا كلماتٍ دفينَةً طعمها طعمُ
العذارى دمشق تدخل في ثوبي خوفاً حياً تخالط
أحشائي تلغو ...
لفظت جلدكِ نخلي شفتيك اصهريهما بين أسناني أنا الليل
والنهارُ أنا الوقتُ انصهرنا تأصلي في متاهي ...

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلتُ الرَّمْل في أهدابها
شجراً يمطر والصحراء خيمَةً
ورأيتُ الله كالشَّحاذ في أرض عليٍّ
وأكلت الشمس في أرض عليٍّ
ونخبزت المثلثة
ورأيت البحر يأتي في ضباب المدخنه
هائجاً يهمس :
مَنْ كوَّننا

لم يكن تكوينه إلا سقيفة
رجّها الإعصار فانهارت وصارت
خشباً يُحرقُ في دار خليفة .

نادرٌ أن ينطقَ البحرُ ولكن

نطقَ البحرُ : يسنا

يبس التاريخ من تكراره

في طواحين الهواء

سقطَ الخالق في تابوته

سقطَ المخلوق في تابوته . .

والنساء ارتخن في مقصورة

ينتشلن الليلَ من آباره

ويُخَيِّطن السماء

ويغتنين : عليّ لهبٌ

ساحرٌ مشتعلٌ في كل ماء

ويسائلن السماء :

نجمةٌ أو مومياء

هذه الأرضُ ؟

ويفتقن السماء

ويرقعن السماء

قبر الدجال في عينه شعباً

نبش الدجال من عينه شعباً

وسمعتاه يصلي فوقه
ورأيناه يحييه ويجثو
ورأينا
كيف صار الشعب في كفيه ماء
ورأينا
كيف صار الماء طاحون هواء .

جزرٌ للهييب تصعدُ فيها آسيا يصعدُ الغدُ انطقات
شمسٌ حلمنا بغير ما هجسَ الليلُ نهاري يقاسُ
باللهبِ استصرختُ صوتُ الشعوبِ يفتتحُ الكونَ
ويغوي

لستُ الرمادَ ولا الريحَ

سريري أشهى وأبعدُ أقفاصُ دروبٍ مهجورةٌ
فرسُ الماضي رمادٌ وصبغةُ الله لونٌ آخرُ
لا يدُ عليّ
عليّ أبدأ النارَ والطفولةِ هل تسمع برق العصور
تسمع آهاتٍ خطاها؟ هل الطريقُ كتابٌ أو يدٌ أصبحُ
الغبار كدرويش يغني ملكَ الأساطير هاتوا وطناً قريباً

المدائن هزوا شجر الحلم غيروا شجر النوم كلام السماء

للأرض

طفل تائه تحت سرّة امرأة سوداء بحثاً

طفل يشبُّ

وللأرض إله أعمى يموت ...

سلام

لوجوه تسير في وحدة الصحراء للشرق يلبس العشب

والنار سلاماً للأرض يغسلها البحر سلاماً لحبّها ...

عزبك الصاعق أعطى أمطاره يتعاطاني رعداً في نهدي

اختتمر الوقت تقدّم هذا دمي ألق الشرق اغترفتني وغيب

أضيعني لفنخديك الدوي البرق اغترفتني تبطن جسدي

ناري التوجّه والكوكب جرحي هداية أتهجّي ...

أتهجّي نجمة أرسّمها

هارباً من وطني في وطني

أتهجّي نجمة يرسمها

في خطى أيامه المنهزمه

يا رماد الكلمة

هل لتاريخي في ليلك طفل؟

لم يَعُدْ غَيْرُ الْجَنُونِ

إنني ألمحهُ الآنَ على شبَّاكِ بيتي
سَاهراً بين الحججارِ السَاهره
مثل طفلٍ علَّمته السَاهره
أنَّ في البحرِ امرأةً
حملتْ تاريخه في خاتمِ
وستأتي
حينما تخمد نَارُ المدفأه
ويذوب الليل من أحزانه
في رماد المدفأه . . .

. . . ورأيت التاريخ في رايةٍ سوداءٍ يمشي كغابةٍ لم
أُورِّخْ
عائشٌ في الحنين في النار في الثورة في سحر سُمَّها
الخلأقِ
وطني هذه الشرارة ، هذا البرق في ظلمة الزمان الباقي . . .

(أوائل كانون الثاني ، 1969)

www.alkottob.com

مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف

www.alkottob.com

www.alkottob.com

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابل يزهو؟ هل تدخل
الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرحّ الشرق؟
جاء العصف الجميل ولم يأت الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ . . .

(كان رأسٌ يهذي يهرجُ محمولاً ينادي أنا الخليفةُ) ،
هاموا حفروا حفرةً لوجهِ عليٍّ كان طفلاً وكان أبيض
أو أسودَ ، يافا أشجاره وأغانيه ويافا . . .
تكذسوا ، مزقوا وجهَ عليٍّ

دمُ الذبيحة في الأقداح ، قولوا : جبانةُ ،
لا تقولوا : كان شعري ورداً وصار دماءً ،

ليس بين الدماء
والورد إلا خيط شمسٍ ، قولوا : رمادي بيتُ
وابنُ عبّادٍ يشحذ السيفَ بين الرأس والرأس
وابنُ جهورٍ ميتٌ .

لم يكن في البداية

غير جذرٍ من الدمع أعني بلادي
والمدى خيطي - انقطعتُ وفي الخضرِ العربيّة
غرقتُ شمسي الحَضارة نَقالةً ، والمدينة

وردةٌ وثنيةٌ
خيمةٌ

هكذا تبدأ الحكاية أو تنتهي الحكاية .

والمدى خيطي - أتصلتُ أنا الفوهة الكوكبية
وكتبتُ المدينة

(حينما كانت المدينة مقطورةً والنواخ
سورها البابلي) ، كتبتُ المدينة

مثلما تنضح الأبيدية

لا لَكِي الأم الجراح

لا لِكِي أبعث المومياء

بل لِكِي أبعث الفروق ... الدماء

تجمع الورْد والغراب لِكِي أقطع الجسور

ولِكِي أغسل الوجوه الحزينه

بنزيف العصور .

وكتبتُ المدينة

مثلما يذهب النبي إلى الموت أعني بلادي

وبلادي الصدى

والصنّدى والصنّدى . . .

كشفت رأسها الباء ، والعجيمُ خصلةً شَعْرٍ ، إنقرضُ إنقرضُ
ألفٌ أولُ الحروفِ إنقرضُ إنقرضُ
أسمعُ الهاءَ تنشجُ ، والراءُ مثلُ الهلالِ
غارقاً ذائباً في الرمالِ
إنقرضُ إنقرضُ
يا دماً يتنخثرُ يجري صحارى كلامِ
يا دماً ينسجُ الفجيعة أو ينسجُ الظلامِ
إنقرضُ إنقرضُ
سحرُ تاريخك انتهى ،
واعذري واعفري
يا قرونَ الغزالاتِ ، يا أعينَ المها . . .

أحارُ ، كلُّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي
في صورةٍ ،
أحملكِ الآنَ على جبیني ، بين دمي وموتي : أنتِ مقبرة
أم وردة؟

أراكِ أطفالاً يُجرّجونُ
أحشاءهم ، يُصفونُ يسجدونُ
للقيدِ ، يلبسونُ
لكلِّ سوطٍ جلده . . . أمقبرة

أم وردة؟

قتلتني قتلت أغنياتي

أنت مجزرة

أم ثورة؟

أحار، كل لحظة أراك يا بلادي في صورة...

وعلي يسأل الضوء، ويمضي

حاملاً تاريخه المقتول من كوخ لكوخ:

«علموني أن لي بيتاً كَبَّيتي في أريحا

أن لي في القاهرة

إخوة، أن حدود الناصره

مكة .

كيف استحال العلم قيداً

والمدى نار حصار، أو ضحية؟

ألهذا يرفض التاريخ وجهي؟

ألهذا لا أرى في الأقب شمساً عربية؟»

أه لو تعرف المهرلة

(سمها خطبة الخليفة أو سمها المهرجان)

ولها قائدان

واحد يشهد المقصلة

واحدٌ يتمرّعُ . . . لو تعرف المهزلة
كيف ، أين أنسلت
بين عُنقِ الذَّبِيحِ ومِقصلةِ الذَّابِحِينَ؟
كيف ماذا ، قُتلت؟
كُنْتَ كالأخريْنَ ، انتهيتَ
ولم تَنْتهِ المهزلة
كُنْتَ كالأخريْنَ - ارفضِ الأخرينَ
بدأوا من هناكِ ابتدئُ من هنا
حولِ طفلٍ يموتُ
حولِ بيتٍ تهلُمُ فاستعمرته البيوتُ
وابتديتُ من هنا
من أنينِ الشوارعِ من ريحها الخانقةِ
من بلادٍ يصير اسمها مقبره
وابتديتُ من هنا
مثلما تبدأ الفجيرةُ أو تولد الصاعقةُ
مُتة؟ ها صبرت كالرعدِ في رَحِمِ الصاعقةِ
بارئاً مثلما تَبْرأ الصاعقةِ
أنظر الآن كيف أنصهرتَ وكيف انبعثتَ ، انتهيتَ ولم تَنْتهِ
الصاعقةُ .

أعرفُ ، كان ملكك الوحيدَ ظلُّ خيمةٍ ، وكان فيها حرقُ ،

ومرّة يكون ماءً ، مرّةً رغيّفاً ، وكان أطفالك يكبرون
في بركة ،

لم تيّأسِ أنتفضتِ صرّتِ الحلمِ والعيونِ
تظهرُ في كوخِ على الأردنِ أو في غزّةِ والقدسِ
تقتحمُ الشارعَ وهو مائتٌ تتركه كالعرسِ
وصوتك الغامرُ مثلُ بحرٍ
ودمكُ النافرُ مثلُ جبلٍ
وحينما تحملكِ الأرضُ إلى سريرها
تتركِ للعاشقِ للأحقِ جدولينِ
من دمكِ المسفوحِ مرتينِ .

وجه يافا طفلُ هل الشجرُ الذابلُ يزهو؟ هل تدخل
الأرضُ في صورةِ عذراءَ مَنْ هناكِ يرحُ الشرقُ
جاء العصفُ الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ . . .

سقطَ الماضي ولم يسقطَ (لماذا يسقطُ الماضي ولا يسقطُ؟)
دالٌ قامَةٌ يكسرُها الحزنُ (لماذا يسقطُ الماضي ولا يسقطُ؟)
قافٌ قابٌ قوسينِ وأذني
أطلبُ الماءَ ويعطيني رملًا
أطلبُ الشمسَ ويعطيني كهفًا

سيّد أنت؟ ستبقى
سيّداً . عبداً؟ ستبقى
هكذا يؤثّر ، يعطيني كهفاً وأنا أطلبُ شمساً ، فلماذا سقط
الماضي ولم يسقط؟ لماذا هذه الأرضُ التي تتسلُّ أياماً كثيئةً
هذه الأرضُ الرّتيبة .
سيّد أنت؟ ستبقى
سيّداً عبداً؟ ستبقى
غير الصورة لكن سوف تبقى غير الرّاية لكن سوف تبقى

... في خريطةٍ تمتدّ ... إلخ ، حيث يدخلُ السيّد المقيمُ
في الصفحة ١ راكباً حيواناً بحجم المشنقة ، يتحوّل إلى تمثالٍ
ملء الساحات العامة . و(كانت) الحاكمة تغسل عجيزتها
وحولها نساء يدخلن في الرّمح ويمضغن بخور القصر والرجال
يسجلون دقائق قلوبهنّ على زمن يتكوّم كالخرقة بين الأصابع
حيث

ك ترتجف تحت نواة رفضيةٍ بعمق الضوء
ت تاريخ مسقوف بالجثث وبخار الصلاة
أ عمود مشنقة مبلّل بضموم موحل
ب سكين تكشط الجلد الأدمي ، وتصنعه نعلاً لقدمين سماويتين
في خريطةٍ تمتدّ ... إلخ .

شجرٌ يشمرُ التحولَ والهجرةَ في الضوءِ جالسٌ في فلسطين
وأخصائه نوافذُ أصغينا لأبعاده قرأنا معه نجمةَ الأساطيرِ
جندٌ وقضاةٌ يدحرجون عظاماً ورؤوساً ، وأمنونٌ كما يرقد حلمٌ
يُهَجَّرُون ، يُجَرَّونَ إلى التَّيه . . .

كيف نبدأ؟

(- يكفيني رغيثٌ ، كوخٌ وفي الشمس ما يمنح قيثاً ، لا
لستُ خوذةَ سيافٍ ولا ترسَ سيدي ، أنا نهرُ الأردنِ استقرُّ
الزهورَ وأغويها دمٌ نازفٌ تبطنتُ أرضي ودمي
ماؤها دمي وسيبقى ذلك الساهرُ النحيلُ : غبارٌ يمزجُ العاشقَ
المشرَّدَ بالريحِ ، ويبقى نسغٌ) .

يتمتم طفلٌ ، وجهٌ يافا
طفلٌ هنا سقطَ الشائرُ حيفا ثثنُ في حجرٍ أسودَ
والنخلةُ التي قياتَ مريمَ تبكي همستُ في قدمي جوعٌ
وفي راحتي تضطرب الأرضُ كشفنا أسرارنا (يقع الدمع
طريقاً) أجسُ خاصرة الضوءِ يبعثُ الصحراءَ والكونَ مربوطاً
بحبلٍ من الملائكِ هل تشهدُ آثارُ كوكبٍ ، يسمع
الكوكبُ صوتي رويتُ عنه سأروي . . .
في زمن الرَّمادِ ، شخُصٌ رمَى تاريخه لِحجرٍ آثامنا ، وماتَ
(لن تعرفَ حريةً ما دامت الدولةُ موجودةً) .

تذكرُ؟ (والقاعدةُ

وسلطةُ العمال . . .) ما الفائدةُ

تنحدرُ الثورة بعد اسمه
في لفظةٍ ، تمتد في مائدة
هل تقرأ المائدة؟

كان فدائيٌ يخطُ اسمه ناراً وفي الحناجر الباردة
يموتُ

والقدسُ تخطُ اسمها :
لم تزل الدولة موجودةً
لم تزل الدولة موجودةً

غيرَ أن النهرَ المذبوحَ يجري :

كلّ ماءٍ وجه يافا

كل جرح وجه يافا

والملايين التي تصرخُ : كلاً ، وجه يافا

والأحباء على الشرفة ، أو في القيد ، أو في القبر يافا

والدمُّ النازفُ من خاصرة العالم يافا

سمّني قيساً وسمّ الأرض ليلى

باسم يافا

باسم شعبٍ يرفع الشمس تحيةً

سمّني قنبلةً أو بندقيّةً . . .

هذا أنا : لا ، لستُ من عصر الأفول

أنا ساعةُ الهتك العظيم أتت وخلصتُ العقول

هذا أنا - عبرتُ سحابه

حبلى بزوبعة الجنون
والتيه يمرق تحت نافذتي ، يقول الآخرون :
ماذا يقول الآخرون؟

(- يرعى قطيع جفونه
يصل الغرابة بالغرابة) .

هذا أنا أصلُ الغرابة بالغرابة
أرختُ : فوق المثدنة
قمرُ يسوس الأحصنة
وينام بين يديّ تميمه
وذكرتُ : بقعتِ الهزيمة
جسدَ العصورِ
وهرانُ مثل الكاظمية
ودمشقُ بيروت العجوز
صحراءُ تزدردُ الفصولَ ، دمٌ تعفنَ ... لم تعد نازُ الرموزُ
تلدِ المدائن والفضاء ، ذكرتُ لم تكن البقية
إلا دماً هراً يموتُ يموتُ بقعتِ الهزيمة
جسدَ العصورِ .

... في خريطةٍ تمتدّ إلخ ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيجٍ
تعبّر في مسامه رؤوسُ كالقطن المنفوش ، أيام تحمل أفخاداً
مثقوبةً تدخل في تاريخٍ فارغٍ إلا من الأظافر ، مثلثاتُ

بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة ؛ كل شيء يدخل
إلى الأرض من سُمّ الكلمة ، الحشرة الله الشاعر

بالونّخز والأرق وحرارة الصّوت ، بالرّصاص والضوء ،
بالقمر ونملة سليمان ، بحقولٍ تثمر لافتاتٍ كتب عليها «البحث
عن رغيّف» أو «البحث عن عجيّزة لكن استتروا» أو «هل
الحركة في الخطوة أم في الطريق؟» .

والطريقُ رملٌ يتقوّس فوقه الهواء والخطوة زمنٌ أملس
كالحصاة ...

وكان الوقت يشرف أن يصبح خارج الوقت وما يسمّونه
الوطن يجلس على حافة الزمن يكاد أن يسقط ، «كيف يمكن
إسأكه؟» سأل رجل مقيّد وشبه ملجوم ،
لم يجثه الجواب لكن جاءه قيّدٌ آخر وأخذ حشدٌ كمشحوق
الرمل يفرز مسافةً بحجم لام ميم ألف أو بحجم ص ع ي هـ .
ك ويسير فيها ينسج راياتٍ وُسْطاً وقياباً وبينى جسراً يعبر عليه
من الآخرة إلى الأولى ...

حيث عبرت ذبابةً وجلست على الكلمة ، لم يتحرك حرف ،
طارت وقد استطال جناحها عبر طفلٍ وسأل عن
الكلمة طلع في حنجرتّه شوكٌ وأخذ النخرس يدبّ إلى
لسانه ...

في خريطةٍ تمتد ... الخ ، حيث

«العدو يطغى وهم ينحسرون ، ويمتد وهم يجزؤون ،
ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى علم ناكس
وصوت خافت ، وأنشغل كل ملك بسد فتوقه ،
... وعندما يجذ الجذ ويطلب الأندلس عون الملك
الصالح لاستخلاص إقليم الجزيرة ، وقد سقط في أيدي
الأسبان ، يكتفي بالأسف والتعزية ويقول بأن الحرب سجال
وفي سلامتكم الكفاية ، ... ولم يزل العدو يوالبهم
ويكافحهم ويقاديهم القتال ويرادحهم حتى أجهضهم عن
أماكنهم وجفلهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق
واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق ...» .
في خريطة تمتد ... إلخ ،

رفض التاريخ المعروف الذي يُطبخ فوق نار السلطان أن
يذكر شاعراً ... والبقية آتية ،
في خريطة تمتد ... إلخ .
يأتي وقت بين الرماد والورد
ينطفئ فيه كل شيء
يبدأ فيه كل شيء .

... وأغني فجيعتي ، لم أعد ألمح نفسي إلا على طرف

التاريخ في شفرةٍ سابدأ ، لكن أين؟ من أين؟ كيف
أوضح نفسي وبأي اللغات؟ هذي التي أضع منها نخوتني
سأزكيها وأحيا على شفير زمانٍ مات ، أمشي على شفير زمانٍ لم
يجي

غير أنني لست وحدي

... ها غزالُ التاريخ يفتحُ أحشائيَ نهرُ العبيد
يهدرُ ، يجتاحُ اكتشفنا ضوءاً يقود إلى الأرض ، اكتشفنا شمساً
تجيء من القبضة ، هاتوا فؤوسكم نحملُ الماضي كشيخٍ
يموت ، نستشرفُ الآتي ، هيأماً ورغبةً .

لست وحدي

... وجه يافا طفلٌ هل الشجر الذاهل يزهو؟ هل
تدخل الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجُ
الشرق؟ جاء العصفُ الجميل ولم يأت الخراب الجميلُ
صوتٌ شريدٌ ...

خرجوا من الكتب العتيقة حيث تهترئُ الأصولُ
وأثوا كما تأتي الفصولُ

حَضِنَ الرُّمَادُ نَقِيضَهُ
مَشَتِ الحَقُولُ إِلَى الحَقُولِ :
لَا ، لَيْسَ مِنْ عَصْرِ الأَفُولِ
هُوَ سَاعَةُ الهَيْتِكِ العَظِيمِ أُنْتِ ، وَخَلَجَةُ العَقُولِ .

(بيروت ، خريف 1970)

تصيدة نمود

www.alkottob.com

وأنقشوا صخرة النهر ، عززآله
والبياض المنخبأ في لوح آيامه ... أنقشوها
بالحنين ، وبالشمس تغلغ في وردة
ثوبها كي تفيق ، وتلبس رمانة كي تنام .

حبق البيت ، نعناؤه
شرفتان لكل يد ثومثان
لم أكن بعد أعرف كيف يضاء المكان
بالصدقة . نجمي
لم يكن دار في فلك الأصدقاء
لم يكن بعد يكتبو ، وتشحط رجلاه في مهمه من جراح .
غير أن الصباح
كان يلقي دفاتره ، كل يوم
في فراشي ، بين يدي ، ويملي رسائله للفضاء ، -
تنتشي نلة ،
يزدهي ساحل
الينابيع تقرأ للعشب أسفارها
والغصون تسوس الهواء .
... ما له تورك الجافل ؟
وجهه ناحل ، لونه حائل ،
هل تنشق خمارة ؟

I

... رجعَ القول إلى أحوالِ ثمودِ /

II

خرجتُ من أصدافِ الماءِ وجاءتُ

في ليلٍ

بردى زوجٍ ، والأشجارُ ثيابٌ /

لم أعرفها .

ألوردُ يدلُّ عليها

والفجرُ الصاعدُ في درجاتِ الشمسِ يدلُّ عليها

وشفافيةُ الحزنِ المرسومِ على قسَماتِ الناسِ ، تدلُّ عليها /

لم أعرفها .

وأنا الطالعُ من أغوارِ لا أذكرها ، أذكر : في خطواتي

كرزٌ وحشيٌّ ، في خطواتي

كوكبٌ جَمْرٍ /

والكرز الوحشي يدلّ عليها
والجمر يدلّ عليها /
لم أعرفها .

ما أعمق جهليّ - لم أعرف
كيف أعمّر من أشلاء الآخر بيتاً
كيف أجاهر أنّ الدمية حُبلى بالأطفال ،
وأنّ الدفلى تمرّ
لم أعرف

كيف أعاشرُ أوراقاً تُسقى
لبناً تحتَ خيام قُرَيْشٍ
وتوزّع بين قصور أمية
عسلاً ،
وتقول : الصحراءُ الماءُ
بدءاً من هذي الصحراءُ
والأشياء المرثية ليست مرثية ، -
لم أعرف

كيف أدافعُ ، فيما كنتُ أموتُ /
استسلمتُ كأنّي طفلٌ .

هل يُسعفني هذا الجهل؟ ولكن
من أين أجيء ، وكيف أجدد للكلمات الجنس ، وللغة الأحشاء
لأقول الأشياء؟
... أحوال ثمود /

تعب الماء ،
القول التائه مثل ضباب
والعمل التائه مثل ضباب ،
وأقول المقهورين - البؤس الرابض في أعينهم ،
والفرح الجامح في أيديهم .
وأقول الوثة الإعصار ، الشرق
اللابس وجه البحر /
أقول تفجر أيامي -

جرحاً
يكبر بين العالم والكلمات ، وأمحو
ما قرأته أحلامي ،
وأقول تبارحي -
يأس العصفور ،
ولكن ،
من أين أجيء ، وكيف أجدد للكلمات الجنس ، وللغة الأحشاء

لتقولَ الأشياءَ؟

III

مهيار يقولُ : «الذكرى لا تجدي» .

ويقولُ : «الريح توائي سُفني ،

حين يكون البحر بعيداً» /

أشهد أن الذكرى لا تجدي

لكن ،

أشعلتُ مصابيحَ الذكرى

لتكونَ لكِ الصَّوتَ المرثي ،

وزهرأ

أجنيه ، باسمك ، من بستان الجرح ، ونجمأ

يحنو كجبين امرأة

تبكي في شبالك /

ورأيئك تنأى ...

سميتَ الأفقَ ، رسمتَ الدربَ ، وسرتَ حيناً نحو الأفصى ،

أحبائك ، مثلك ، ساروا

أعداؤك ، مثلك ، ساروا

يفتتحون سهوباً أخرى بريقٍ آخر ، لكن

في الجهة الأكثر ظلاً من غاباتك ساروا ،

لكن
في ضوئكِ ساروا /
سأقول لضوئك أن يلقاني
في كل مدارٍ
سأقولُ له : استظهرِ حركاتي واستبطنِ أغواري
... في أحوالِ ثمودِ /

IV

... أحوالِ ثمودِ /

١ - «هل هذا الكوكب أنثى ، أم ذكر؟
أم تلك قبائل ترشق في الصحراء سهاماً فتعود ذراعاً أو
رأساً؟» .

٢ - «إن كان صديقك يقرأ أفلاطون ، تنبّه واحذر

قل : كلا : لا أعرفه ،

فغداً ، أو بعد غدٍ ،

سيقاد إلى سيفٍ ،

أو جبٍ ...» .

٣ - «أعطوني .

... ماذا يفعل؟

– يقتل ، كل مساء ، فجراً

٤ – «ما أطوع هذا الأفاك ،
الطالع من تاريخ القتل ،
الضارب في أحوال ثمود» .

٥ – «جاء الناقد يسأل : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون
النثر؟ ويحيا
من بيع الألقاب إلى شعراء ،
يسأل كل منهم : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون
النثر ، ويحيا في تابوت . . . ؟»

٦ – «أحوال ثمود ،
تأسس في دكان :
«تاجر ، واستعصم بالله ، ولا تتيسن . . .» .

v

هوذا الدفتر دار يجيء / حشود
والأبواق ارتجلت لحناً /
... شهدوا أن التاريخ امرأة

صلعاءً بعينٍ واحدةٍ
وبرأسٍ مفتوقٍ .
شهدوا أن التاريخَ تقمّصَ ضبّاً .
شهدوا أنه القنّبُ في الشرفاتِ خيولٌ
والغيمَ وراء السدةِ نخلٌ .

شهدوا أن الناسَ رفوفٌ من كتّانٍ
والرملِ سحابٌ /

مَن يسألُ : كيف؟ لماذا؟

يا هذي الجدران المنهارةُ من أسوارٍ تسترشدُها أسوارٌ ،
كوني أكثرَ صمتاً
من أجلِ معاولٍ أخرى ،
جرّافاتٍ أخرى .

يا هذي الحمام المقلوبة من أحشاءٍ تتقاسمُها أحشاءً ،
كوني أكثرَ صمتاً ،
يا هذا اللّجبُ النازفُ من أصواتٍ تنخطفُها أصواتٌ ،
كن أكثرَ صمتاً ،
أكثرَ صمتاً —

من أجلِ لغاتٍ أخرى

أزمنة أخرى . . .
هي ذي أيام قصب والجوف هواء /
ماذا يفعل هذا الرائي
لجميع
سواهم
مثل هباء
ساواهم بالآلات وبالآدوات شعائر
واستتبعهم ظل؟
... من يتقدم؟
... متهمون ، الصمت لهم زهر ونوافذ
لكن الوقت كجمر ،
ويمر بطيئاً ،
والألوان هي الألوان /
شقاء

أن تتجدد أو تتغير أو أن ترغب . . . / أعطيني زندك ، يا هذي
الأرض المسبية ، وأزميني في موج الأسرار ، ولكن
دون حجاب ،
كي يرقمنا
ويصورنا
ويؤشينا

وتشي بمدانا
وتشي بخطانا
نَسَاجٌ أو نَمَامٌ
كي نَسْتَوْشِي جَرِيَّ الرِّيحِ /
استوصينا
خيراً ، بِنَبَاتٍ يَتَمَوُ /

— مَن هذا السائر ، مطروداً
ويطارده شَبَحٌ تَنِينِي ، وتطارده تعويذات؟

— تلميذٌ

يجهلُ كيف تصير اللفظةُ تمثالاً
يجهلُ كيف يُرَبِّي الفاظاً
كأرانبٍ أو كدجاجٍ . . . /
هَوَلٌ

أن تتجدد أو تتغير أو أن ترغب / هذا

وجهي في لُجِّي

مثل عقابٍ

يتطوِّحُ

في

مَهْوَاةٍ . . . / لاقيني ، وأعيديني

يا هذي الأرض ... /
أغير هذا الزرع ، وأرقد هذي الليلة
في أحضان لا أعرفها
وأسافر في مجهول
يتكشف عن جنس سرّي
يتكشف عن لغة سرّيه
تعرف كيف تترجم هذي الضوضاء الكونية /
أحوال ثمود .

VI

لكن ،
هوذا الشاعر - كان ينام غريباً
والفجر غزال
جسد الأرض يداعبه
والشمس تخيط له
ثوباً قمحياً /

... ماذا يفعل؟
... يلقي عن كتفيه النوم ، ويمضي ...
هوذا يمضي
... ماذا؟ خانت عينيه الأشياء؟ رأى

قدم النورس ضفدعة؟
ورأى الزهرة وجه عجوز؟

— ماذا يفعل؟

— يرجو

وجه غزال آخر،

وجه الأرض يرافقه

والشمس تخيط له

ثوباً قمحياً /

هوذا الآن يسافر في قنديل مكسور / يسمع هنساً :

«لا تأمل»

ليس النجم الطالع إلا رسماً

يتكرر، والألوان هي الألوان»

الآن يقارن بين الأشياء

ويقول : الأشياء هي الأشياء

بدءاً من هذي الصحراء .

— ماذا يفعل؟

— يرجو

وجه غزالٍ آخرَ ،
وجهُ الأرض يرافقه
والشمسُ تنحيطُ له
ثوباً قمحياً ... /

... والأرضُ تعيدُ عيدَ الرملِ ، وماذا
يُجدي هذا الرأسُ التَّافِرُ من أنبوبٍ
في نقالةِ أفيونٍ ،
في عُرْسٍ للآلاتِ؟ وماذا
يجدي هذا الطَّوقُ ، وهذا الجسرُ ، وماذا
يعرف هذا السائرُ
من أبعادِ المجهولِ؟ /
سلاماً ، يا أحزاني

– (أحزاني ليست أحزاني

هي جرحٌ ينزفُ من تاريخِ الإنسانِ
هي أرضٌ تُرفعُ قُرباناً
للظُّلماتِ وللطَّغيانِ)

والأرضُ تعيدُ عيدَ الرملِ ، وماذا
يجدي هذا الرأسُ الساكنُ في أنبوبٍ؟

ألهذا ، تسألني كلماتي :
ما هذا التاريخ ، أجزح أم سكين؟
وهل الكلمات سلاسل أم يقطين؟
ألهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني ... /
تسكن في أعضائي - نامي
لك ملكي : هذا الدفتر ، هذا الحبر ،
وهذا الثوب العنابي ،
ونامي

حتى يأذن وقت
أعني
حتى يأتي فجر آخر
أعني
ماتت -

ماتت أزمنة الكلمات / الوحي ، وماتت
نبرة هذا العصر ، وماتت
أحلام الرّيف ، وماتت
شهوات المّدين

ولهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني ،

ولهذا ،

أحمل بين يدي ، وبين خطاي ، بذوراً
والكلماتُ هي الكلماتُ : حمائمٌ ، حيناً
وصقورٌ ، حيناً
وخمائرٌ ، حيناً

ولهذا ،

يتغير شعري كالأشياءِ

ولهذا ،

أسكن زوبعةَ الأشياءِ .

VII

يحدث أن أستسلم للطرقاتِ
فأهبطُ في قيعانِ
وأجاورُ اغصاناً ، أو أتعبُ مثلَ رمادِ
بحثاً عن أشباهي -

مصباح

يتحدثُ مثلَ فضاءِ ،

عصفور

يمزج بين أنين السهم وصمت القوس ،

كتاب

يعلن أنه الحلم يقين ، والنار سماء ممطرة ،

رعد

لا يقصف إلا من أفق يتجسس رفضاً ،

تيار

يروى هذياني

للسطان ، للبحر ،

فضاء

يخلط شمس الشعر بشمس الله ،

طريق

تبقى حلماً ... /

أشباهي -

تصعد بين المعنى وحروف الظلمة في ممحاة

وتغني للمحاة وتمحو

تمحو /

أشباهي -

لا أعرف ، إن كنت أحب دمشق ، وأسأل : هل

أكرهها ، حقاً؟

شجر الصفاصاف كساني

ببياض الحزن ، وسوى

جسدي بجعاً /

ماذا يفعلُ هذا العنقُ الجامع ، كيف يميلُ؟

وبحيراتُ الحبِّ اضطربتُ ،

أو كادت تنضبُ ، ماذا

يفعل هذا العنقُ الذَّابلُ ، أين يميلُ

والماء شحيحٌ ، والغيمُ قليلٌ؟

في قسَماتِ شوارعٍ ترقد تحت غبارِ السيَّافينَ ، أسائل عن أشباهي

في رائحة الحزن الشَّاردِ خلفَ زقاقِ

في صمتِ عجوزٍ تومئ أنّ الموت قريبٌ

في جرحٍ / جسرٍ بين سواعدٍ ، بين قلوبِ

في رؤيا

تبقى نوراً وفريسةً نورٍ ،

أبحثُ

عن

أشباهي -

فلماذا تسأل عني ، يا هذا الباحثُ ، بين حروفِ

أو خلفَ شعارِ؟

أشباهي ، -

لتكن كلمات الشاعرِ ضوءاً ،

ضوءَ الحاملِ عبءِ الأرضِ ، ويبقى
في الجذرِ الأعْمَقِ في أقمسى موجِ
لتكن سَفْراً
يترصدُ كلَّ مهبٍّ ،
ويخالطُ نبضَ الكونِ ، ويبقى
في الجذرِ الأعْمَقِ ، في أقمسى موجِ

لتكن جسداً
لمحيطِ الهَجْسِ بوجهِ آخرِ
للإنسانِ - بوجهِ آخرِ
للتكوينِ /

شقاءً
أن تفتَحَ ، أو أن تكبرَ ، أو أن تهجمِ نحو الضوءِ ، وموتُ
أن تبدعَ أو أن تحيا
في أحوالِ ثمودٍ /
ولهذا ،
أعذر وجهِ ثمودٍ
أعني المجدوبينَ إليه
الطَّافينَ عليه ،
وأقول لهم ، باسمِ الملعونينِ الخلاقينَ من الشعراءِ :

ما أقسى أن نعرف أو أن نفهم كلّ الأشياء .

ولهذا ،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى ، لا تتركني .

VIII

أشجارٌ ترسمها أقواسُ ربيعٍ يحلمُ ،

واكبناها

أيدٍ تمنعُ للعطشانِ الماءَ ، وأخرى

تهدمُ ،

واكبناها

وكانَ بيارقٌ تخرجُ من أشلاءٍ ،

واكبناها

وكانَ غيوماً تتلّى مثلَ ثمارٍ ،

واكبناها /

هل يصدقُ هذا الرملُ؟ أيكفي

أن يأتيَ فجرٌ يسألُ عنّا ،

حتى نخرجَ من أسوارِ الظلماتِ ، أيكفي

أن نزرع حتى نجني؟

ولهذا ،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى لا تتركني

ولهذا ،

يحدث أن أستسلم للطرقاتِ

فأهبطُ في قيعانِ

وأجاورُ أغصاناً

أو أتعبُ مثلَ رمادِ ،

يحدث أن أعطيَ أشكالي

لكتابٍ أو مفتاحٍ ،

وأقول لبیتِ المجهولِ :

«سلاماً

ستُجاسدُ هذا الزمنَ الآتي ،

ونخالطُ قلبه

وسنكشفُ معدنَ كلِّ شرارٍ

ونشقُّ ، غداً ، والآن ، طريقَ الرغبةِ .»

يحدث أن ألقى في الشارعِ وجهاً

مملوءاً جثثاً

من أحلامٍ أو أعمالٍ أو كلماتٍ

يدنو

ويناديني

ويحرّضني :

«نحن التيازُ

إن كان مدانا من ورقٍ

فخطانا فاتحةً للنار» .

يحدث أن أتقاطع مع ميدانٍ

كالعرشِ ،

ومع خلفاءٍ

مع عمالٍ للخلفاء وأنصارٍ ،

وأرى كيف يكون التاريخ جليداً

أوزنيحاً ،

يحدث أن أتحوّل / أحيا

نسفاً برياً

أمشي في حشدٍ

يتحرك ، يقطع ما وصلته الريحُ ، يغذي دمه

ودمَ التاريخِ الجنسيِّ

ويعيد لحنجره الأيام الدهشة ، والصوت الوحشي .

... ودمشق الأخرى لا تتركني
أخذتها الرغبة في شفتي ، وفي فخذي ، وفي حنجرتي
أخذتها لغتي ،

سيروا معها -

باسم الأشلاء

لبست ورداً أحمر في ساحات مهتد

في ساحات لم تمهد /

أتحسون بموج يطغى؟

بدم

يفزو يبس الأرض ،

ويقرأ فاتحة الأنواء؟

سيروا معها -

ما أجمل هذا الكون الناشئ في الخطوات :

الأرض سرير

والأشياء نقيض الأشياء .

أصغوا

ها هي تقترب الخطوات ، وأصغوا

لتويجاتِ جذوع

سموها زهرَ الآلام ، وقولوا

هذا وعد الأرض ، وأصغوا -

هي ذي الأصواتُ تعاقبُ صوتي :

«يا وجه الإنسان الطالع كالزوال ، سلاماً

ألهمنا

وأبجِ للزوالِ مدانا

خذنا

نحن الوجه الآخر من هذا الوقت المرفوض ، وأقنعنا

أن جمال الأرض الإفراطُ

وأن الحكمة ربُّ من ورقِ

أقنعنا

أن النجمة ماتت ، والعالم يهذي

وتحطّف

هذا الشاعر ، واختبئه

يا هذا الوعد المرسوم كجبهة طفل يولد باسم فضاء

أبهي ،

واصبحة
في كشف
كشف ،
كشف

X

إن كنت أرج التاريخ ، وأخرج من ملكوت الآباء
فلأني طفل أمي
يمشي في قافلة الأشياء
يتعلم سحر الأشياء

طفلٌ يتهجى سماء الأرض ، ويصرخ : خذني
يا لُج البشر ، الوله ، اغسلني
في برق فضائك ، وامنحني
أسماء ،
وامح ، وجدد
أسمائي .

هوذا جسدي
مكسواً بالأنقاض وكل غريب ، يمضي
وتواكبهُ أسماك

وبحيراتُ

وتواكبهُ أنهارُ ، كالصَّيفِ تهرول نحو خريفٍ / يمضي

وتواكبه

أعراسُ ،

ويواكبهُ

أحمدُ حتَّى يوسفَ مريمُ -

قل للضَّارِبِ جذرَ العَوسجِ : أهلاً

قل للمأخوذِ بقبضةِ هذا المعولِ : أهلاً

قل للفتانِ والمفتونِ ، وكلِّ جمالٍ : أهلاً /

ويواكبهُ سحرُ الأشياءِ

ويقولُ للبحرِ البَشَرِ - الولهُ ، اغسُّني

في بَرَقِ فضائكِ ، وامنحني

أسماءَ ،

وامنحُ ،

وجنِّدْ

أسمائي .

(25 تشرين الأول 1976)

تصيدة البملول

www.alkottob.com

www.alkottob.com

(موجز أخبار) :

تدخل الشمس إلى بيتي فراشات وتمضي

كلمات

ولأيامي في مفترق الماء حينئذ :

كيف أخيي زهراً

يجتاحه الرمل؟ وهذا

جسدي يختلج الآن كراع بدوي ،

لابساً وجه الحقول

يكتب الشعر على العشب ، ويلقي

يأسه الطيب في ماء الفصول ، -

لا يريد الشعر الساقط من رأس خريف

أن تراه امرأة الصيف ، ويهوى

قمرأ يولد من تلقائه

بين ساقين . . . ويهوى

أن يرى في عُتْقِ العَصْفُورِ نَهْرًا
ويرى العالم في وجه الحسين ،
ويرى ناراً على النَّهْرِ ، ومَلَأْحًا ، وتلويحَ ذراعٍ
ما على البهلُولِ لو سَمَى يديه شاطِئِينَ
ما على البهلُولِ ، لو يَلْبَسُهُ النَّهْرُ ، ولو كان الشَّرَاعُ؟

II

(تفاصيل) :

خرج البهلُولُ يَسْتَقْرِئُ مَوْتَ الظُّلَمَاتِ
هوذا يرجع والنشوة تمحو الخطوات
يُجْلِسُ المَوْتَ على شُرْفَتِهِ
وَيُؤَيِّدُهُ
كيف يستعرضُ جيشَ الرِّغْبَاتِ ، ...

إنها أحلامه تكتبه :

أدخل الآن إلى السُّوقِ خَفِيفًا
ورقاً تجرحه الرِّيحُ ، وأصغني
للخَطِي تَسْتَرِقُ الشَّمْسَ ، لأصحابي : ماذا
تكشف النَّحْلَةُ من أسرارها
حينما تدخل في الزَّهْرِ ، وتلقي
رأسها فوق نُؤْيُوجِ؟

وهل الزهرة ماء أو شرار؟
ولماذا تلد الشمس الغبار؟

إنها أيامه تقرأه :

أخرج الآن إلى الشارع حلماً -
أن يكون الشعراء
هالة حول جبين الفقراء .
أخرج الآن إلى الشارع جرحاً -
الدم الغامر تعويذاً وتيه
وعلى الجدران تاريخ ينم

ما الذي يقدر أن يفعله الشعر ، ورجلاه قيود
وعلى عينيه أسوار الظلام؟

أتراه يهدم السور بغصن من أراك؟
ما الذي يقدر أن يفعله الشعر لتاريخ ينم؟
إنها أشلاؤه تسأله :

ليس من ينطق إلا
شرط الحجاج / هل أعطيك حلماً؟

.....
(بين أن يرتفع الحجاج سيفاً

ليشيدَ الذّولة العظمى ، وتبني
لغة الحلاج كوخاً ،
أطرح السيّف وأختارُ . . .) لماذا

كلّما حاولَ أن ينبض صدقاً
كذبته الكلمات؟

ولماذا

يخرفُ النبيوع مجراه لكي يبقى وقياً؟

إنها الأمة ترتاحُ إلى أشلائها
وعلى الجدران تاريخُ ينامُ
ليس هذا وطناً / هذا رُكام .

ما على البهلول ، لو يصرخ في هذا الظلام :
أيها العالم ، كفاي عصافيرُ وكفاك مصيدةً
إنني أخرج من وجهك ، كي أدخل في وجه قصيدته .

ما على البهلول ، لو غنى وحيداً :

هوذا وجهي بين السّابله

يتوارى

حينما تنفتحُ الدّربُ وتمضي القافلة

لا لما قلتَ وقالوا

بل لشيءٍ آخرٍ أكتمه ،

كلّ ما أعلن أنّي أتوارى
في زحام السّابله
حينما تنفتح الدّرب وتمضي القافلة .

III

(استطرادات) :

ها هنا يروي تواريخ مَحْتَهَا
جثثُ الأطفال ، يسقي
شجراً مات . وهذا
فَهْرُ الأردنّ يستسلم للطّمي . بماذا
يعدُّ الطّمي؟ الينابيع جِراحُ
والفصولُ انكسرت . . .
سكرِ التّاريخ في حاناتنا
هوذا يخرج محمولاً . شيوخٌ
وتماثيل نساء .

إنها جائحةُ الرمل ، اقتلاعٌ :
أثرى نضحك أم نبكي ، ولكن أيّ فرق؟
آه ، ما أضيق بغداد وما أنأى دمشقاً

ها هنا يرقدُ : تأتي جُثثُ
ترتمي قدامه عاريةً ،
وإذا استيقظ جاءت جثثُ
وارتمت قدامه عاريةً /
زمنٌ يكتبه القتلُ - اسألوهُ
اسألوا البهلولَ عن أيامهِ
كيف تتأصل جذر الذاكِرهِ
واسألوهُ :
قدرَ هذا المدى ، أم رُقِعَ
من ضبابٍ ، أم غيومٌ عابرةٌ؟

يخرج الآن إلى السوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الريحُ ويصغي :
يجلس الهدهدُ في حُضنِ سليمانَ / سليمانَ ابتهالُ
يتقرى جسدَ الغيبِ / وبلقيسَ عرازُ
وقناديلُ ، وسِحْرَ عربيُّ
يتقرى جسدَ الشهوةِ ، والهدهدَ عينَ حائره
لا أرى غيرَ وجوهٍ من زجاج
لا أرى إلا الدّمَ - التّيةَ ، والآ
قفصاً يملأ سطحَ الدائرهِ ،

أه لو يُقلب هذا السطح ، لو تُكسر هذي الدائرة .

ما على البهلول لو غنى وحيداً :

لهبٌ يقسو على حزني / حزني

حطبٌ رطبٌ ،

تقاطيعي تدلتُ

صوراً مِلءَ الدخانُ

لم يعد يشغلها وجه المكانُ

يغرق الآخر فيه ، وأنا

عابرٌ يشغله وجه الزمانُ .

IV

(مقدمات لأجوبة) :

ما الذي يرتكب البهلولُ إن طالعَ تاريخاً ونادي :

أيها الفتكُ؟ وهل يَأثم إن سمى سماءً

باسمِ شخصٍ؟

ولماذا ، حينما يرتحل البهلول في أوجاعهِ

ويقول : الناصرة

شُرُفاتُ . . .

ويرى أحزانه منشورةً

كالمناديل ، - لماذا

حينما تتكى الشمس على جبهته
ويرى ما ظنه التكوين ماوى عنكبوت ، - ولماذا
حينما ينقص الماضي كخصن في يديه ،
يجفل الناس ويجرون كريح ،
ويغيثون إلى سلطانهم؟

ما الذي يرتكب البهلول إن شاهد جندياً ونادى
أيها القيد؟ وهل يائم إن سمى الكتاب
باسم جلاّد؟ وماذا
لو سقى أحزانه ماء علي
وروى للماء تاريخ التراب؟
ولماذا يخرج الناس إلى سلطانهم
ويغيبون ، إذا ما
دخل البهلول في طقس أغانيه ، وغاب؟

v

(الموت) :

سقط البهلول في ثفاحة
جذبتها الكلمات

كان عشبٌ يرسم اللون ، وماءٌ
يقراً النخط ، وكانت
شفة الأرض التي تجذبه
تتهجى الحركات ، -
كيف هيأت لا يملك بيتاً
ولففت الأعمدة
بالمصاييح؟ سلاماً
أيها البيت الذي يُرفع بين الأوردة
وسلاماً ،
أيها البيت الذي يُهدم بين الأورده .

VI

(شاهدة على قبر البهلول) :
لغة البهلول في محرابها
وعلى سررتها قفطان ليل -
لجأت حيث تكون الأجدية
غابة تسكنها ريح خفيه .

(شاهدة ثانية) :
دخل البهلول في فصل النباتات ، فأحيا
وثة الأرض ،

وكان المهرجان :

ورق الصقاصف منديل وللريح يدان -

إنه الجهول في أعراسه

ملك -

كرسيه الأرض وتعطيه الرياح الصولجان .

(21 كانون الأول ، 1977)

قصيدة بابل

www.alkottob.com

www.alkottob.com

I

في رأس امرأةٍ من قحطانٍ يطير حصانٌ
في رأس حصانٍ طُرّواديٍّ ، عربيٌّ يهذي :
«ستري أحشاءك فوق رغيفٍ
ستري زمناً يتقدّمُ قبراً قبراً . . .»

II

دار المجنون يُسائل : أين الشمس ، وأين الأفقُ ، وماذا يحملُ
هذا الآتي :
عُنُقاً أو سِكِّيناً؟
يسألُ : كيف أظللُ شرارةَ خرقٍ؟
من أين أتيتَ؟ وكيف؟ وماذا؟
أرضك مملكةُ التدجين ، وأنت عَصِيٌّ
أتظلُّ عَصِيّاً؟
يبدو أن الأشياءَ قطعٌ
والأفكارَ ذئابٌ قِصِيَّةٌ

قاييلُ هنا ، هابيلُ هنالك لم يُدفنْ
والموتى شركُ
والأحياءُ سديمٌ ...

هل تبقى تخبزُ هذا الرملَ وتحيا
في طُحلبِ هذا البرجِ؟
مزيداً
من جَمْرٍ آخرَ ،
من شهواتٍ أخرى ...
صدّقني ... أقدر أن أتقدمَ في منشارٍ
يا هذا الجذع اليابسُ ، لكن
أعمل كي أتقدمَ في طوفانٍ ...

مَنْ يتقدمُ؟ صاحتُ
أجراسُ عُصورٍ
تتلاطمُ في حنجرةٍ بحريةٍ -

حسناً ، يا هذا البحر ، ورفقاً
يا أدواتِ اللّغةِ القرشيّةِ

يبدو أن الأشياءَ قطعُ

والأفكارَ ذئابٌ فضيئةٌ ،
من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟

مُتَّهَمٌ ،
حتى حين تقول الليلُ فراشٌ
والشمسُ امرأةٌ

والحوضُ يحنُّ لماءٍ لا يعرفهُ
والماءُ يحنُّ لحوضٍ لا يعرفهُ

مُتَّهَمٌ
حين تقول الفاتحُ ليلٌ حيناً
والخاتمُ فجرٌ ، حيناً ،

حين تقول الحزنُ ربيعٌ
والصنقصابُ دموعٌ ،

مُتَّهَمٌ

حين تجاهرُ : بابلُ جرحٌ
يتدفقُ من دمه الفقراءُ
وبابلُ فقرٌ
يتناسلُ في دمه الشعراءُ

ويابلُ سلطانُ
والتَّاجُ نبيُّ أو تئينُ ...

متهم

من أين أتيت ، وكيف ، وماذا؟
أتموت وأنت جتئين؟

هوذا التاريخُ - بقايا جُثث
والآيام تهرولُ في كُثبان الرَّمَلِ : «تفياً
حلماً ،

وانسجُ
لِمداك ، عباءةَ حُبِّ ، واجتَنجُ . . .
أفاقُ جانحةٌ ، وصحارى

تهلدي

ونساءُ في العتباتِ يَلدن الحسرة : «أهلاً ،
لكن ، ماذا تفعلُ ،

أيدينا

ليست

أيدينا

نحنُ المقتولاتِ ، وكلُّ جنوحِ يحيينا» .

III

قال علي: «هذي بابل...»

بابل قفر

حيث الكون فراغ -

مجرورات ومفاعيل

شخاذون على الطرقات وشخاذون على الشرفات

يفترشون الغسق الطالع في الأهداب وفي اللهبوات

عرشاً يتارجح في لبلاب

ونخيل دماء،

ألفوا ريح الموت، وسالوا

في نهر العالم جرحاً...

بابل أنت الشر وأنت الخير

وأنت مدار

ودمي وهوأوك طفلان

يمحو الثاني درب الأول

يمحو الأول درب الثاني.

IV

يبدو أن الأشياء قطع

والأفكار ذئابٌ فضيَّة
من أين أتيت ، وكيف ، وماذا؟

قُمْ يا قيسُ ، ترصد ليلى
قل للنخلة أن تؤويك ، وأسلم
عينيك لوسوسة الأحلام :
ليلى صورٌ تتفتح في أشكالٍ منحروطة
ليلى أقواسٌ ودوائر جنسية
قصبٌ عال للأحزان ،
وبحرٌ أبيضٌ للأوهام . . .

قُمْ يا قيس - التاريخ ركامٌ
والحاضرٌ وخشٌ
تلبسه خرقٌ وعظامٌ .

مُتهمٌ
حتى حين تقولُ الأرضُ امرأةً
وسواءً قلتَ العالمُ عرسٌ
أو قلتَ العالمُ قسٌ
مُتهمٌ
وسواءً جئتَ إلينا شرعاً أو جئتَ سفاهاً

مُتَّهِمٌ -

(تُهَمِّي أَنِّي وَجْهٌ ،
تُهَمِّي أَنِّي أَكْشَفَ عَن جُرْحِي ،

تُهَمِّي أَنِّي أَرْفُضُ هَذَا الْعَصْرَ ، وَأَكْتُبُ
لَعْنَتَهُ الْكَبِيرَى . . .)

مُتَّهِمٌ

فِي أَحْلَامِكَ ، فِي خُلُجَاتِكَ ، حِينَ تَرُوحُ وَحِينَ تَجِيءُ -
قُمْ ، يَا قَيْسُ ، تَرَصَّدْ لَيْلَى . . .
مَنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ، وَكَيْفَ نَسَيْتَ غَزَالَ الزَّمَنِ :

الْجَنَسَ

الْحَبِيَّةَ /

الْمَوْتَ .

الصُّوفِيَّ / وَحَيْدَ الْقَرْنِ ،

أَذْكُرُنِي

يَا هَذَا النَّيْزُكَ ، وَأَمْنُحْنِي

ضَوْءاً

وَاسْهَرْ ، وَتَأَلَّقْ فِي أَنْحَاثِي

هوذا : أغمضتُ جفوني باسمك واستسلمتُ إلى أعضائي

حيث نعانقُ ما لا نعرف كيف نراهُ

حيث المعنى زيتٌ والصورة نارٌ

حيث التاريخ كلامُ الهازم ، صوت المهزومين ،

وحيث مشينا

في أيلولَ

وفي كانونَ

وفي أيارَ

مشينا

نتلمسُ أقمعةَ التكوينِ ، ونحضنُ أزمنةً مكسورةً

تذكر؟ لم نسمعُ

لم نلمحُ

إلا جسدَ اللّغةِ المجدورةِ .

قم ، يا قيس ترصدُ ليلي

عيذُ عيدَ اللهبِ الوحشيِّ ، اللّغةِ الوحشيّةِ

واقطعُ كلماتك من خيلاء الزّانِ وأبهة المرّانِ ،

استنفرُ أصرحةَ العُشاقِ ، وقدمُ

للموت حياتك ، وأبدأ ... لا تنتظر العتقاء ،

تكون خطاك لقاحاً :

ستكون الماء مراراً
ومراراً ، سوف تكون الصخر
مراراً سوف تكون الريح ،
وتغدو
ملك الأفاق ، وتغدو
ملك العربات الضوئية .
خذني ، يا هذا التيار ، امنحني
مداً أقصى

هوذا : تغدو فلئلاً
وتدور كواكباً في قدميك ،
هوذا : اغمضت جفوني
واستسلمت إليك .

v

أعلو وأفكر في التشبيه وأناى
لا أحتاج إلى ذرات
شغفي أن أتواطأ مع أمواج مع كلمات
لا أملك إلا أن أقتلها
... في عادة وجهي ،

عادةً وجهي :

لا أعطي لغتي إلا للجذر ، وعادةً صوتي
أن يتبطنَ شمسَ الرّغبة - بابلَ ، عادةً صوتي
أن يخلقَ بابلَ كي يتغيّر هذا الزمنُ
أن يخلقَ بابلَ كي يتبرأ هذا الوطنُ /

أخلقُ بابلَ في الأجناس وفي الأنواع وأخلق بابلَ في
الصلوات وفي الشهوات وأخلق بابلَ في الأرحام
وفي الأكفان وأخلق بابلَ بين الخالق والمخلوق
وأخلق بابلَ في الأصوات وفي الأسماء وفي الأشياء
وأظلل الذهبَ الضاربَ في الأشياء
خارج هذا الورق الرّملي ، أدشنُ أنحائي
بالضوء ، برغبةٍ أن أبقى
خارجَ هذا الملكِ ، عصياً
لا تعرفني غير النار كأنني جنسُ شمسيٍّ آخرُ ،
يمحو نصّ الرّمل ، يفتت كلَّ مثالٍ
ويقيم الرّغبة نهجاً
وتكون الصبوة عيداً
... في عادة وجهي .

عادةً وجهي أن يتقصى
سفرَ التكوين ، طريقَ البلد ، يُراهنُ :

أين يكون الملة فراغاً ، والآخر أول؟ أين يكون
الشعر طريقاً تتقمص كل طريق؟

عادةً وجهي أن يبقى
أفقاً ، ويُضلل حتى الريح ... ،
لهذا

أحياناً ،
يظفر وجه الشمس ضباباً
ويكون الضوء استسلم للكلمات

أحياناً ،
تولد في الكلمات جراح
ويصير الجسر تراباً
ويكون الجسد استسلم للكلمات

أحياناً ،
تهجم بابل في طاووس أو جلاد
ويكون التاريخ هشياً
والغيم قياناً
وتكون الأشجار سبايا

أحياناً ،
بابلُ قبلُ
وبابلُ بعدُ
وبابلُ وجهٌ للأحياءِ وللأمواتِ . . . لهذا
يُولدُ في أسمائي
بَشْرُ

يزدحمونَ ويقتتلونَ / خُذِيهِمْ
ذَلِيهِمْ واحتضنِيهِمْ

كوني طرُقاً لهمِ وفتوحاتٍ ، يا أسمائي
فأنا الأبدُ المتشردُ خارجَ أسمائي

أبدياً
أعلنُ شرعَ اللَّهَبِ ، الولَكِ ، الحَلَمِ ، الأَشْيَاءِ .

VI

صارتُ كَفَّايَ زَنابِقَ ، صارتُ عَيْنَايَ صَلَاةً
أَسْتَسْتُ عَرِيفاً واستصلحتُ ربيعاً
وجلستُ مع الشَّجَرَاتِ القَدِيسَاتِ
منتظراً بَابِلَ /

(بابل لا يعرفها أحدٌ / لا يجهلها أحدٌ)

خلع التاريخ قميص النوم وسار وحيداً
في غابات الذكرى

(بابل لا يذكرها أحدٌ / لا ينساها أحدٌ)

بابل هذي أنتِ ، وهذا خطوكِ ، والطرقاتُ هي الطرقاتُ
ألرّقمُ يقول ونبض المعدن قالَ
وقالت لغةٌ والشعر يقولُ :

أين يكونُ ، الآن ، الملكُ الضليلُ ، الحسنُ الضليلُ؟
أين يكون أبو تمام والمتنبي؟
ولأيّ طريقٍ قادهمُ المجهولُ؟

سأراهم يوماً

وأسائلُ رملاً مرّ عليهم :

أدعاءُ مسالخِ هذي الأنهار؟

أمشائقُ هذي الأشجار؟

وأقول لرملي مرّ عليهم :

أنتَ رسمتَ خطاهم

واليومَ ، أجيءُ لأرسمَ فيك خطايَ ، ولستُ الأحسنُ

حالاً ،

لكنني صرت الأعمق ضوئاً
مُدَّ صرْتُ الأعمقَ يأساً .

بابل ، هذي أنتِ وهذا عصركِ والكلماتُ هي الكلماتُ
«حَيِّ ، لكنك ميتٌ ، يا أحمد» قال عليُّ
«ستنالُ الخبزَ ، ولكن
كيف ستحيا والرَّمْلُ محيطٌ؟»

«سيقالُ : الثورة أنتِ ، ولكن
أتظللين وراء حجابٍ ، يا مريم؟» قال عليُّ ...
بابل ، هذي أنتِ ، هذا خطوكِ ، والطرقاتُ هي
الطرقاتُ
بابلُ ، هذي أنتِ ، هذا عصركِ ، والكلماتُ هي
الكلماتُ

لن يدفقَ ماءٌ يغسلُ وُحْلَ دروبكِ ، حتّى ...
لن يطلعَ فجرٌ يمحو ليلكِ ، حتّى ...
حتّى ...
(مات الكوفيون ، ومات البصريونُ
وفي أنفسهم شيءٌ من حتّى ...)
... وعليُّ عاشقكِ المجنون يؤصِّلُ في ظلماتكِ دريئةً

ولهذا ، يرسمك امرأة
ويحيطك جنساً
ويزاوج بين الحب ، وهذا العصر ، ويعلن : صار
الحب فضاء ،
واجتاحته رياح الرغبة .

قم ، يا قيس ترصد ليلي
قم ، يا قيس ، التاريخ ركأم
والحاضر وحش
تلبسه خرق وعظام .

VII

بابل جنس
للموت ، وبابل حب
تهبط نحوي

ضقت عليها / ضاقت
عرفت أن حنيني تعب / تعبت
عرفت أني عرق أتبخر فوق سريري / تعبت
عرفت أن الليل قرأته جنس / تعبت
بابل تصعد نحوي

قولوا : هذا زمن الرؤيا ، زمن الانقاص ، وقولوا :

أهلاً بالأطراف ، بكل عصي

أهلاً بالتيه ، بكل قصي

بابل تهبط نحوي

بابل تصعد نحوي . . .

بابل ، أنتِ الطفل وأنتِ الأم ، وأشهدُ

كيف يصير ترايكِ حلماً

ويصير أباً

ويصير جنيناً .

VIII

اليوم ، يحاول وجه الصخرة أن يتزناً

اليوم ، سمعت الشمس تخاطب طفلاً

اليوم ، رأيت طريقي في خطوات شريد :

هل أدخل في؟

هل أخرج من؟

واليوم ، أهية ذاكرتي

للذبح ،

أحسن كائي طفل . . .

بابل ، يكفي
أن تجتاحي مُدَنَّ الضوء بغير عيون
يكفي زحفك نحو الرغبة في جمجمة أو في سيف
يكفي أن يُقطع رأس
كي يُلام جرح /

بابل تنهضُ - جثنا
نمنح فيك العاقلَ ذاكرة المجنون
ونقودك ، دون ملوك أو حراس
لغة للبدء ، هباءً للتكوين .

بابلُ جثنا
نبني ملكاً آخرَ ، جثنا
نُعلن أن الشعر يقين
والخرق نظام .

هوذا نجم
يتوهج بين كواحلنا
ثقة بجحيم خطانا
ثقة بفضاء
يتناسل ملء حناجرنا -

غَنَيْتُ / أَغْنَيْتُ
جَسَدَ التَّارِيخِ ، طَيَّورَ الْأَزْمَنَةِ الْمَكْنُونَةَ
وَأَبْحَثْتُ لِكُلِّ صَعُودٍ لِيغْتِي
وَأَبْحَثْتُ لِكُلِّ صَبَاحٍ
أَنْ يَتَقَمَّصَ وَجْهِي ، أَنْ يُنْكِرَنِي -

هل للتاريخ طريقٌ
خارج قَرْفِ الرَّقَّةِ الملعونة؟
هل للأرض كتابٌ
لا تكتبه اللُّغَةُ المَجْنُونَةُ؟

(بيروت ، أوائل آب ، 1977)

الوقت

www.alkottob.com

www.alkottob.com

حاضيناً سنبله الوقت ورأسي برج نار:
ما الدم الضارب في الرمل، وما هذا الأفول؟
قل لنا، يا لهب الحاضر، ماذا سنقول؟

مزق التاريخ في حنجرتي
وعلى وجهي أمارات الضحية
ما أمر اللغة الآن وما أضيق باب الأجدية .

حاضيناً سنبله الوقت ورأسي برج نار:
... / أصديق صار جلاداً؟ أجار
قال: ما أبطأ هولاً كوا؟ من الطارق؟ جاب؟
أعطه الجزية... أشكال نساء
ورجال... صور تمشي / أشرنا
وتساررنا، - خطانا
خيطة قتل /

أَتَرَى قَتْلَكَ مِنْ رَبِّكَ أَتٍ
أَمْ تُرَى رَبُّكَ مِنْ قَتْلِكَ أَتٍ؟
- ضيَعْتَهُ الْأَحْجِيَةَ

فانحنى قوساً من الرُّعْبِ عَلَى أَيَّامِهِ الْمُتَّخِنِيهِ .

- لِي أَخٌ ضَاعَ ، أَبٌ جُنُّ ، وَأَطْفَالِي مَاتُوا
مَنْ أَرْجِي؟ هَلْ أَضْمَمَ الْبَابَ؟ هَلْ أَشْكُو إِلَى سَجَادَةٍ؟
- دَاخٌ ، هَاتِ الْحَقَّ وَاتَّخِذِي الشُّفَاءَ
مِنْ عَطْوَسِ الْفَقْهَاءِ .

جَثَّتْ يَقْرُؤُهَا الْقَائِلُ كَالطَّرْفَةِ / أَهْرَاءُ عِظَامٍ ،
رَأْسُ طِفْلٍ هَذِهِ الْكِتْلَةُ ، أَمْ قِطْعَةٌ فَخْمٍ؟
جَسَدٌ هَذَا الَّذِي أَشْهَدُ أَمْ هَيْكَلٌ طِينٍ؟
أُنْحِنِي ، أَرْتَقُ عَيْنَيْنِ ، وَأَرْفُو خَاصِرِهِ
رَبَّمَا يُسَعْفَنِي الظَّنُّ وَيَهْدِينِي ضِيَاءَ الذَّاكِرِ
غَيْرَ أَنِّي عَبَثًا أُسْتَقْرَى النَّخِيطُ النَّحِيلُ
عَبَثًا أَجْمَعُ رَأْسًا وَذِرَاعَيْنِ وَسَاقَيْنِ ، لَكِي
أَكْتَشِفَ الشَّخْصَ الْقَتِيلُ

- لِمَنِ النَّمْلَةُ تُعْطِي دَرَسَهَا؟
وَلِمَ الدَّهْشَةُ؟ شِعْرٌ

مَزَجْ هَذَا الشَّرْرَ الْفَاجِعَ بِالْعَيْنِ ، أَنْحِطَافٌ
أَنْ تَرَى بَيْتَكَ مَرْفُوعاً إِلَى اللَّهِ شَطَايَا ، ...

صَرَخْتَ بُومَةَ عَرَافٍ عَلَى مَثَدَنَةٍ
نَسَجْتَ مِنْ صَوْتِهَا قَوْسَ قَزَحٍ
وَبَكَتْ مَخْنُوقَةً حَتَّى الْفَرَحِ .

حَاضِبِنَا سَنِبِلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرَجُ نَارٍ :
... / كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
أَنَّ هَذَا الزَّمَانَ الثَّائِرَ دُكَانُ حِلْيَةٍ ،
أَنَّهُ مُسْتَنْقَعٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ .

كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
سَيَكُونُ الصَّدَقُ مَوْتاً
وَيَكُونُ الْمَوْتُ خُبْزَ الشُّعْرَاءِ
وَالَّذِي سُمِّيَ أَوْ صَارَ الْوَطْنَ
لَيْسَ إِلَّا زَمناً يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الزَّمَنِ .

كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
أَيْنَ مِفْتَاحِكَ يَا أَبَهَةَ الطُّوفَانِ؟ لُطْفاً أَعْرِقْنِي
وَخُذِي أَخْرَجِي شَطَانِي خُذْنِي

سَحَرْتَنِي لُجَّةُ لَاهِبَةٍ
سَحَرْتَنِي قَشَّةُ تَحْتَرِقُ
سَحَرْتَنِي طَرَقُ تَجْفَلُ مِنْهَا الطَّرَقُ

حَاضِنًا سَنِبَلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرَجُ نَارٍ:
نَسِيتُ نَفْسِي أَشْيَاءَ هَوَاهَا
نَسِيتُ مِيرَاثَهَا الْمَكْنُونِ فِي بَيْتِ الصُّورِ
لَمْ تَعُدْ تَذَكُرْ مَا تَلْفِظُهُ الْأَمْطَارُ، مَا يَكْتَبُهُ حَبِرُ
الشَّجَرِ،

لَمْ تَعُدْ تَرَسُمُ إِلَّا
تَوْرَسًا يَقْدِفُهُ الْمَوْجُ إِلَى حَبْلِ سَفِينَةٍ
لَمْ تَعُدْ تَسْمَعُ إِلَّا
مَعْدِنًا يَصْرُخُ: هَا صَدْرُ الْمَدِينَةِ

قَمَرٌ يَنْشَقُّ مَرْبُوطًا إِلَى سُرَّةِ
غُولٍ مِنْ شَرِّ
لَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَّ وَالشَّاعِرَ طِفْلَانِ يَنَامَانِ عَلَى خَدِّ
الحَجَرِ.

نَسِيتُ نَفْسِي أَشْيَاءَ هَوَاهَا
وَلِذَا يُرْعِبُنِي الظُّلُّ - الْغَدُّ الْمُرْتَسِمُ
وَلِذَا يَمْلَأُونِي الرَّيْبُ وَيَسْتَعْصِي عَلَيَّ الْحَلْمُ

مُوثِقاً أركض من نارٍ لنارٍ

غصتُ تحت العرقِ الدافقِ من جسمي ، وقاسمتُ

الجدارُ

أزقَ الليلِ / (خطى الليلِ وحوشٌ . . .)

ومرّاراً قلتُ للشعر الذي يرسم في ذاكرتي :

أيُّ منشارٍ على عنقي ، يُملي

آية الصمت؟ لمن أروي رمادي؟

وأنا أجهل أن أنتزع النبضَ وأرميه على طاولةٍ

وأنا أرفض أن أجعل من حزني طبلًا للسماء ،

فلأتلُ : كانت حياتي

بيتَ أشباحٍ وطاحونَ هواء .

حاضناً سنبلَةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ :

شجرُ الحبِّ بقصّابينِ أخى

شجرُ الموتِ ببيروتِ ، وهذي

غابةُ الأسِ تُؤاسي

غابةُ النّفي ، .. كما تدخلُ قصّابينُ في خارطة

العشبِ ، وتستقطرُ أحشاءَ السّهولِ

دخلتِ بيروتُ في خارطةِ الموتِ / قبورُ

كالبسّاتينِ وأشلاءَ .. حقولِ

ما الذي يسكب قصّابينَ في صيدا ، وفي صور ،
وبيروتُ التي تنسكبُ؟

ما الذي ، في بعده ، يقتربُ؟
ما الذي يمزجُ في خارطتي هذي الدّماءُ؟

... يمسّ الصّيفُ ولم يأتِ الخريفُ
والربيعُ اسودّ في ذاكرة الأرض / الشتاءُ
مثلاً يرسمه الموتُ : احتضارُ أو نزيّف
زمنٌ يخرج من قارورة الجبّيرِ ومن كفّ القضاء
زمنٌ التّيه الذي يرتجل الوقتَ ويجترّ الهواءَ ،
كيف ، من أين لكم أن تعرفوه؟
قاتلٌ ليس له وجهٌ / له كلُّ الوجوه ...

حاضناً سنبلَةَ الوقتِ ، ورأسي برجُ نارٍ :
مُتهكٌ ألّفتُ الآنَ وأستشرفُ ... ما تلك الخرقُ؟
أتواريخُ؟ أبلدانُ؟ آراياتُ على جُرفِ الغسقِ؟

هوذا أقرأ في اللّحظةِ أجيالاً وفي الجُنةِ آلاف الجُثثُ
هوذا يغمرنني لُحُ العبيثُ ،

جسدي يُقَلِّتُ من سَيِّطرتي
لم يعد وجهيَ في مِرآتهِ
ودمي يَنْفَرُ من شَرِيانهِ ..
الآنَني لا أرى الضَّوءَ الذي يَنْقلُ أحلامي إليهِ؟
الآنَني طَرَفُ أَقصى من الكون الذي بَارَكهُ غيبري وجَدِّقتُ
عليهِ؟

ما الذي يَجْتَثُ أعماقي ويمضي
بين أدغالٍ من الرِّغبةِ ، بلدانٍ - محيطاتٍ دموعٍ
وسلالاتٍ رموزٍ؟

بين أعراقٍ وأجناسٍ - عصورٍ وشعوبٍ؟
ما الذي يفصلُ عن نفسيَ نَفْسي؟
ما الذي يَنْقُضُني؟
أنا مُتَفَرِّقٌ

وطريقي لم تعدْ ، في لحظةِ الكَشْفِ طريقي؟
أنا أكثرُ من شخصٍ ، وتاريخيَ مَهْوَايَ ، وميعادي
حريقي؟

ما الذي يصعدُ في قَهْقَهةِ تصعدُ من أعضائيَ المختنقة؟
أنا أكثرُ من شخصٍ وكلِّ

يسألُ الآخرَ: مَنْ أنتَ؟ ومن أينَ؟

أعضائيَ غاباتٍ قتالٍ

... في دمٍ ربيعٍ وجسمٍ ورقة؟

أَجُنُونُ؟ مَنْ أَنَا فِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ؟ عَلَّمَنِي وَأَرشِدْنِي
يا هَذَا الجُنُونُ
مَنْ أَنَا يا أَصْدِقَائِي؟ أَيُّهَا الرَّاؤُونَ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ
لِيَتَّبِعِي أَقْدِرُ أَنْ أَخْرِجَ مِنْ جِلْدِي لَا أَعْرِفُ مَنْ كُنْتُ ،
وَلَا مَنْ سَأَكُونُ ،
إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ إِسْمٍ وَعَنْ شَيْءٍ بِأَسْمِيهِ ،
وَلَا شَيْءٍ يُسَمَّى
زَمَنٌ أَعْمَى وَتَارِيخٌ مُعْمَى
زَمَنٌ طَمَنِي وَتَارِيخٌ حَطَّامٌ
وَالَّذِي يَمْلِكُ مَمْلُوكًا ، فَسَبِّحَانِكَ يَا هَذَا الظَّلَامَ .

حَاضِنًا سَنِبَلَةَ الوَقْتِ وَرَأْسِي بِرِجْ نَارٍ :
جَدِّي السَّامِيُّ مَاخُودٌ بِمَا يَنْسَلُهُ الذَّهْرُ العَمَاءُ
بَبْغَاءُ؟ أَمْ نَبِيٌّ مُفْرَعٌ فِي مَوْمِيَاءُ؟
أَيُّهَا الجَدُّ الَّذِي أَعْتَزَلُ الآنَ طَرِيقَةَ
حَسَنًا ، أَنْتَ الَّذِي يَسْكُنُ فِي جِرْثُومَةِ المَاءِ وَأَطْبَاقِ السَّمَاءِ
وَمِنَ الحِكْمَةِ أَنْ تَمْشِي ، كَمَا تَعْمَشِي ، شَمُوحًا لِلوَرَاءِ
وَلَأَنْتَ السَّرُّ وَالْمَمْلَكَةُ المَكْتَنِزَةُ
بِالنَّبِوَاتِ ... أَنَا العَاجِزُ عَنْ فَهْمِكَ ، وَالسَّادِرُ فِي
الغَيْبِ ، وَأَنْتَ المَعْجِزَةُ .

أيها الجدّ الذي أرفضه الآن وأحبيتُ الخليفةَ
باسمِهِ الخالقِ ، لن تعرفني بعدُ ، ولن ينسبني شيءٌ إليك
غَيْرُ ذاكِ الطَّلَلِ الراسبِ في نَفْسِي - يَبْكِينِي ، وَيُبْكِينِي
عليك .

حاضِناً سنبلةَ الوقتِ ورأسي بُرْجُ نارٍ :
أخِرُ العَهْدِ الذي أمطَرَ سَجِيلاً يَلَاقِي
أوَّلَ العَهْدِ الذي يُمطرُ نَفْطاً
والهُ النَّخْلُ ، يَجْثُو
لإلهٍ من حديدٍ ،
وأنا بينَ الإلهينِ الدَّمِ المسفوحِ والقافلةِ المنكفئةِ
أَتَقَرُّ نارِي المنطفئةِ
وأرى كيف أداري
موتِي الجامعِ في صحرائِهِ ،
وأقول الكونُ ما ينسجُهُ حُلْمِي . . / تَتَحَلَّ الخيوطُ
وأرى نفسي في مَهْوَى وأسترسلُ في ليلِ الهبوطِ
وأرى الأشياءَ دولا بَ دخانِ
وأرى العالمَ صَيِّداً
مُدَّتِ المائدةُ ، - الأجسادُ بِقَلْ
والمواعينُ رُؤوسُ .

يجلسُ الله إلى مائدة الصَّيِّدِ ، غزالُ
كان حَبَّازاً ، وضَبُّ
كان جندياً / إلهُ
يأكل الصَّيِّدَ ، أم الصَّيِّدُ الإلهُ؟

طُرقَ تكذبُ ، شُطَّانَ تنحونُ
كيف لا يصعقك الآن الجنونُ؟
هكذا أنتيذُ الأكلِ والأكلِ وأرتاحُ إلى كلِّ متاعِ
وعزائي أنتي أوغلُ في حلمي ، - أشتطُ ، أموجُ
وأغني شهوة الرِّفصِ ، وأهذي
فلكُ الزهرة خلخالُ لا يامي ، والجذي سوارُ
وأقول الزهر في تيجانه
شُرقاتُ ...
وعزائي أنتي أخرجُ - أستتفرُ أفعال الخروجِ .

أسرجوا هذي الرِّياحَ الجامحةُ
إنه التاريخ مذبوخٌ وليس الذَّبِيعُ إلا الفاتحة
واتركوا الذَّابِحَ والمذبوحَ والذَّبِيعَ شهوداً
واغمروني ببقاياهُ أرسُموني
طللاً بين الطَّلُولِ

هكذا اغترف الحكمة من معدنها
صارخاً أهلاً بأنقاضي أهلاً بالأقول .

هكذا أبتدى

حاضناً أرضي وأسرار هواها ، ...

جسد البحر لها حب له الشمس يدان

جسد مستودع الرغد ومرساة الحنان

جسد وغداً أنا الغائب فيه

وأنا الطالع من هذا الرهان

جسد / غطوا بضوء المطر العاشق وجه الأحيوان ،

ولیکن ...

أحتضن العصر الذي يأتي وأمشي

جامحاً ، مشية ريان ، وأختط بلادي ، -

إصعدوا فيها إلى أعلى ذراها

أهبطوا فيها إلى أغوارها

لن تروا خوفاً ولا قيئاً - كأن الطير غصن

وكان الأرض طفل ، والأساطير نساء

حلم؟

أعطي لمن يأتون من بعدي أن يفتتحوا هذا
الفضاء .

ليس جلدي كوخ أفكارٍ ، ولا
شعفي خطابٌ ذكري ، -
نسبي رفضٌ وأعراسي لِقاحٌ
بين قطبين ، وهذا العصرُ عصري
الإله الميت ، والآلة عمياء ، وعصري
أنتي أسكن حوضَ الرغباتِ
أن أشلائي أزهاري ، وأني
ألفُ الماءِ وباءُ النارِ - مجنونُ الحياة .

كاشفاً للوقتِ أسرارَ هواه :
هكذا يعترفُ
إنه الضليلُ ، والخارجُ ، والمختلفُ .

(بيروت ، 4 حزيران - 25 تشرين الأول 1982)

اسماء عیال

www.alkottob.com

www.alkottob.com

اسماعيلك

مُتَدَثِّرًا بدمي ، أسيرٌ - تقودني
حممٌ ، ويهديني ركامٌ ، -
بشرٌ تموج حشودهم
طوفانٌ ألسنةٌ : لكلِّ عبارةٍ
ملكٌ ، وكلُّ فمٍ قبيلةٌ .
... وأنا الذي نبذته كل قبيلة^(١) .

وتخرجتُ تحضنني الجراحُ ، وأحضن الأرضَ القتيلةُ ،
أبني خيامي في دمي
وأقول لإسمي أن يلمّ دفاتري
من بيت اسماعيل^(٢) /

(١) يمشي وحيداً

يمشي أمام زماته .

(٢) لو كان اسماعيلُ حقلًا ، لسكبتُ غيمي فوقه ،

لو كان إصمارةً لكنتُ لعصفه أفقاً ، وكنتُ خليله ...

— اسماعيل يطفو
صحراء^(٣) من كتب تموت ، وفوقه
قمرٌ تقلد سيفه
ومضى يجر نياقه ...

/ ... وأنا الذي نبذته كل قبيلة^(٤)

أتسقط الشرر اللكيل / بنات نعش
يرقدن في زغب الغلام / رأيت وجهي شامة
في ضوءهن ، رأيت موتي
طيراً على كتف الظلام ،
والرمل يرتجل الكلام .

في الجانب الشرقي من نهر الفرات لقالق
حملت مفاتيح الرّحيل ، وقوضت
أعشاشها ،

(٣) صحراء ... عقدة من رمال ، والقوافل خيطة ...
(٤) عبثاً تُسائل عن صديقك / مات ،
والبيت الذي آواه مات / اخضر طريقاً
للقاته ، في قلبك الباقي — ولكن
أتظن أن القلب يبقى؟

في الجانب الغربي ، ينهضُ هيكلٌ -
ثديان ينتفخان قشاً .

/ ... وأنا الذي نبذته كلُّ قبيلة
هوذا تُفرّقني يداي / دمي يُحاربه دمي
جسداً يُمزقُ في جسداً
والحبّ لا أحدٌ ، وموتي لا أحدٌ (٥) .

من أنت؟ (٦) يصرخُ بي حطامي
ويكاد ينكرني كلامي .
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ ، تنامُ تحتَ وسادهِ

نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ على رؤوسِ
حُشيتِ بالسنّة - خليقة خالقي يُملي الدماءَ
كتباً ، ويثبت ما يشاء لها ، ويمحو ما يشاء
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ - يكاد يأخذه الشرارُ
من أين يخرج - كيف يخترق الحصار؟ (٧)

(٥) لا ماء يعرف أين صحرائي ، وكيف أذوقها .

(٦) ألقى بأسنلتي ولا ألقى جواباً ..

(٧) يُعطيني الشجرُ الكريمُ رداءةً

ويمدّ لي نجمٌ يديه ...

ودّعتُ / أذكرُ قاعداً

في بيت اسماعيل^(٨) ، - يربطُ صخرةً

بسحابةٍ

ويشجُّ بالمتجرّ النجومَ ، - يعيشُ بين سلاحفٍ
شطحت ، ونامت .

ودّعتُ / أذكرُ هودجاً

يهدي^(٩) بسيدتي ، وأذكرُ أمةً

تهدي بأخرٍ ما تبقى :

وحشٌ بلا رأسٍ ، يُتوجُّ نفسه

رباً ، ويبسطُ ظله

وطناً كقبعة المهرج .. / ظلّه^(١٠) .

أرضٌ تمدّ حقولها سروراً ، وتهدى ...

(٨) أحلام اسماعيل جاثيةً ، وجبهتهُ ترابٌ /

ما كان اسماعيلُ إلا

صوتاً يقاتلُ بعضه بعضاً ، وليس له فضاء .

(٩) طهمازباي - لم يركب يهدي بلديح شقيقه

ويقتل كل مخالف .

(١٠) ... وظلّه

عَسَسَ ، ويُنكجرتة ..

وَدَعْتُ ، وَارْتَسَمَ الْاَفُولُ عَلٰى جَبِيْنِي
وَمَنْحَتُ لِلزَّمَنِ الْمَقْتَتِ نَبْرَتِي
وَمَنْحَتُ نَبْرَتَهُ يَقِيْنِي .

/ ... وَالْاَرْضُ^(١١) تَدْخُلُ فِي السَّعَالِ الْمَعْدِنِي / شَوَارِعُ
رُصِفَتْ بِاَطْفَالٍ ... ذَبَابِحِ^(١٢) / اُمَّةٌ
تَزْهَوُ بِعَرْشٍ مِنْ عِظَامِ^(١٣) .

اِذْهَبْ وَطَفْ /

فَكَرَّ كَاسْمَاكِ مُعَقَّنَةً ، مَدِيْنَةُ اَلْسُنِ
قَطَّعْتَ وَوَدِيْسَتْ .

اِذْهَبْ وَطَفْ ، وَسَلِّ الْجَنُوْرَ

كَيْفَ ارْتَدَى جَسَدُ الْمَكَانِ وَحَوْشَهُ

اَوْسَلَّ عُرَابَ الْاَبْجَدِيَّةِ ... جِيْسَمِ اِسْمَاعِيْلَ ، اِسْمَاعِيْلُ
خَارِطَةُ الْعُصُوْرَ .

اِذْهَبْ وَطَفْ /

اِفْتَحْ هُنَا رَاساً ، هُنَاكَ فِكْرَةً

(١١) اَرْضٌ مِنَ الْاِنْقَاضِ / غَابَ قِبَائِلِي وَمَلَابِيْحِي

اَرْضٌ تَتَوَجَّعُ عَصْرُنَا

مَلِكاً عَلٰى عَرْشِ الْخِرَافَةِ

اَرْضٌ تَوْسَعُ بَيْنَ خَطْوَتِنَا وَهَوْلِ جَنْحِيْمِنَا ، هَوْلِ الْمَسَافَةِ .

(١٢) ذَبِيْحٌ ، وَجَلَادُونَ يَقْتَسِمُونَ جِلْدَ ذَبِيْحِهِمْ .

(١٣) اَهْلِيْ قَرْقَمَاسٍ لَزُوْجَتِهِ سَوَاراً

مِنْ عِظَمِ طِفْلِ .

سترى لوجهك صورةً مجهولةً
وترى ثيابك فوق جسمٍ غيرِ جسمك . ربّما
صادتك أنيابٌ
لها لغة الملائك ، أولها
شكلُ السماء
إذهب وطّف /
سترى خنازيراً يُحوّلها الكتابُ إلى ظبَاء .

... / ونخافُ من جسِّ الرّغيفِ ، وما نقولُ لقاتلِ
نَسَجِ الدَّمَاءِ وسائدًا؟ (١٤)

مَنْ أنتَ إسماعيلُ؟ (١٥) نازفةٌ خُطاكُ
كُتباً يَلْمِلُهَا حُواةٌ

(١٤) إجراء سلطان / أنت مُغفلٌ

أم جاهلٌ لتقول : لا ؟

(١٥) هل كان اسماعيلُ قافلةً

تري الضدَّ الجميلَ ، وتصطفيه أخاً لها؟

هل كان يرفع رأسه

قوساً لموكبِ قلبه

ويرى السماءَ طريدةً لخياله؟

في كلِّ حَرْفٍ حُفْرَةٌ
في كلِّ فاصِلَةٍ سَرَابٌ
حَشَوٌ ، وَرَجْمٌ خِرَافَةٌ ، -

لم تُبَقِّ عندك لي مكاناً ليخيطَ حَبْرِي ثوبَهُ
لِيُوَاحِي اللَّهَبُ المحرَّرُ ما أَحْسَنُ وما أقولُ / شَطَرْتَنِي
وفصلتَ بين دمي وبينِي ، -
مَنْ أنتَ إِسْمَاعِيلُ ، كيف أراكَ لَمُخْطَئَةً لا أراكَ؟

لكنَّ إِسْمَاعِيلَ جرحُ
وأنا رفيقُ عذابِهِ ، ورؤايَ حانيةٌ عليه
وأنا رسالةٌ مُنتَمٍ - لا مُنتَمٍ ، كُتبتَ إليهِ .

/ ... والأرضُ تدخلُ في السَّعالِ المعدنيِّ /
نبيها هيُّ بنُ بَيِّ (١٦) .

هل قادهُ غيبٌ إلى أسرارِهِ ، حقاً ، وطوفَ باسمِهِ
حباً لوجهِ الحبِّ - يقرأ في الشعائرِ حُلْمَةً؟
هل كانَ إِسْمَاعِيلُ ظناً ، أم كانَ إنْماءً؟
(١٦) هيُّ بنُ بَيِّ اللّهُ
لا شيءٌ يقدرُ أن يترجمَ سِحْرَها .

والأمة انحسرت وذابت
في جدولٍ وحلٍ يسيلُ يذوبُ في هيّ بنِ بِيّ .

يا شمسُ ، يا قدمَ النهارِ ، تركتِ ليلكِ عندنا
ونسيته ..

— من أنت؟

— من تميم .

«وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ
يَكْرَهُ عَلَى جَمْعِي تَمِيمٍ ، لَوَلَّتِ» (١٧) .

— لا ، لستُ من تميم .

— من أنت؟ تغلبي؟

— لا ، لستُ تغليبي (١٨) .

(١٧) كُجُكُ — يسنُ حرابةُ

هدم البيوت لكي يُقيم حصونهُ .

(١٨) كَزَلَّارُ آغا — قال : أموال الصناجقِ للأميرِ

أخذ السيايا واشترى

تعيته بالمال / فرهادُ خليفته الصغيرُ .

... / والأرضُ تدخلُ في السعالِ المعدنيِّ / نبيها هيُّ بنُ بِي (١٩) .

من أنت إسماعيلُ؟ مَسْرَحنا (٢٠) يواصلُ عَرْضَهُ
- «من أجلِ مجدك في العُلَى!»

عُنق القذيفةِ كاهنٍ
يصلُ الزمانُ بنخيطه
ويخيطُ سِرْوالاً لكلِّ دقيقةٍ
- «من أجلِ مجدك في العُلَى!»

من أنت إسماعيلُ؟ قيلَ الشمسُ عندك جِرَّةٌ ، والأرضُ
صَحْنٌ ...

هل أنت قلعةٌ ساحرٌ ، أم رأسُ غُولٍ؟
- «من أجلِ مجدك في العُلَى (٢١)» -

(١٩) جاؤوا بأخيراً من تبقي
- جاؤوا بأرجلهم ، و جاؤوا
بأنوفهم : حكمٌ بهِ طومانُ أفتى .
(٢٠) حفلُ /

وتشربُ كلُّ جمجمةٍ سُلَافَةً حَيْثُهَا من جوفِ ميتٍ .
(٢١) زيدٌ ... / وإسماعيلُ يطفئُ
جِبَانَةَ تجترَ موتاها وتسكبُ ريقها
مَرْتِيَةً ، -

رثة العصور تمزقت
والأرض خرقه حائك .

متدثراً بدمي ، أسيرٌ - تقودني
حَمَمٌ ويهديني حُطامٌ -
حَقْلٌ تنحصن به الإبادة نسلها
حَقْلٌ لإسماعيلٍ ينحتتم الزمان ، تُراه يفتتح الزمان؟
حَقْلٌ يضيقُ به المكانُ - وقيل إسماعيلُ جاءَ وقيل غابَ -
ضيوقةٌ ملأوا المكان

مَلَلٌ وآلهةٌ يؤاكلُ بعضها
بَعْضاً ، ويأكلُ بعضها
بَعْضاً ، - ويختلط الكلام

- حشدٌ يوزع ورده
فرحاً بمقصلة تُقام .
- الأطلسُ العربيُّ جلدُ نعامةٍ غلبت نعامة
- لا غالبُ إلهةٍ / سرجُ حصانه
ذهبٌ ، وجبهتهُ غمامةٌ .

والأرضُ تدخلُ في السعالِ المعدنيِّ / نبئها
هيُّ بنُ بئ .

— من أنت؟ من أمية؟ (٢٢)
— لا، لست من أمية .

— من أنت؟ هاشمي؟ (٢٣)
— لا، لست هاشمياً .

حَفَلْ لاسماعيلَ ، إسماعيلُ جاء وقيلَ وغابَ ، ضيوفهُ
مِلَلٌ وآلهةٌ يؤاكلُ بعضها
بعضاً ، وياكلُ بعضها
بعضاً ، — وتمتزجُ الآلوهةُ بالرصاصِ
أهو الخِلاصُ؟ (٢٤)

(٢٢) وهى من أمية بنيانها

وهان على الله فقدانها . . .

(٢٣) «بني هاشم ، عودوا إلى نخلاتكم»

فقد صار هذا التمرُ ، صاعاً بنوهم

إذا قلتُم : رهطُ النبي محمدٍ

فإن النصارى رهطُ عيسى بن مريم»

(٢٤) هل كنت تسأل عن نجوم قبيلتي؟

أقلتُ / أحبُّ الأفلينَ ... صدقتُ : أجنحة الدجاج ملائكتُ

والشمسُ قشرة برتقالة

صدقتُ : جنسي طحلبية ،

والله أله .

أدعوك إسماعيلُ ، خَمْرَةٌ عَهْدِنَا
سُكِبَتِ ، ومائدةُ العَسَقِ

في زهوها -

وأنا وأنتَ السَّاقِيَانِ ، وحولنا
حَشَرَاتُ أَسْلِحَةٍ تَطَوَّقُنَا وتَفْقَسُ بِيضَهَا . . .

أدعوك إسماعيلُ ، أفتتح النهايةَ : لست نَسَلُكَ (٢٥) .

أعطيتُ قبلكَ جَنَّتِي حَوَاءَهَا
ورأيتُ وَجْهَ اللَّهِ قَبْلَكَ .

أدعوك إسماعيلُ ، أنهي ما بدأتُ - أقيم في بَهْوِ العُصُورِ
وكيمتي .

أَجْتَثُ نَفْسِي مِنْكَ / أَخِرُّ نَوْرَسٍ
قرأ الشواطئَ جالسٌ
قُرْبِي ، وأوَّلُ نَوْرَسٍ

(٢٥) أجتثُ نفسي منه ، - أهلي :

قتالُ آلهة ،

وخالقُ غبطةٍ ،

ومحررٌ . . .

كَتَبَ الشَّوَابِغَ جَالِسًا
قُرْبِي ، وَأَفْتَتَحُ الْبِدَايَةَ ، خَالِقًا
لَعِبًا كَوَجْهَ اللَّهِ يَسْبِغُ فِي مِيَاهِ الْأَبْجَدِيَّةِ :
فِي كُلِّ شَيْءٍ سِرٌّ
يَجْرِي ، وَلَيْسَ لِمِثْلِهِ
أَنْ يَنْتَشِي بِجَذْوَرِهِ
أَوْ أَنْ تَحَاصِرَهُ هُوِيَّةٌ (٢٦) .

مَنْ أَوَّلَ ، أَتَعَلَّمُ الْكَلِمَاتِ ، أَتَقِنُ سِرَّهَا
وَأَقُولُ : جَذْرِي
لَعِبٌ ، وَتِيهُ مِبَاهِجٌ ، -
كَشَفٌ يُلْشِنُ كُلَّ ضَوْءٍ
شَغْفًا ، وَيَقْتَرِشُ التَّرَابَ كَمِثْلِ نَبْعٍ (٢٧) .

وَأَقُولُ : أَسْلَافِي هَوِيٌّ
عَشِقَ الْفَضَاءَ ، وَصَاغَ مِنْ جَسَدِ الْهَوَاءِ شِرَاعَهُ
وَالْفَجْرُ يُلْبِسُنِي مِبَاذِلَهُ ، وَكُلَّ سَحَابَةٍ

(٢٦) ماذا؟ كأنَّ الماءَ ذَاكَرْتِي / أَلَسَكُنُ قَلْبَ نَبْعٍ؟
(٢٧) أَعْطَيْتُ نَفْسِي صِبْوتِي ، وَنَسَيْتُ نَفْسِي .

وطني لحبيبي (٢٨) ،

وأقولُ : حبيبي

من أولي ، يتعلمُ الكلماتِ ، يُتقنُ سحرها
ويشارك العنب النبيلَ بمكره ؛ (٢٩)

أيامه الشجرُ الملقحُ بالفصولِ - يدهُ فجرٌ
لا فجر إسماعيلَ ، بل هذا الدم المسكوب في كأسِ الكلامِ
لا الأمس ، بل هذا الخطامُ :

جئتُ - أخ وأخ ، حدائقُ عاشقينَ وأصدقاءُ
جئتُ - مواعيدُ ، تلهفُ غائبِ
وحنينُ منتظرٍ ، وصبوةُ حالمِ
جئتُ - موائدُ ، نقلها كتبٌ وخمرتها السماءُ .

(٢٨) خبأتُ حزني في جدارٍ - في بيتنا المهلوم / نجم

ساهرٍ يحنو عليه ، -

يأسي قناعِ

غضبي غزالَ نافرٍ يرعاهُ طفلُ .

(٢٩) ماذا يقولُ مُقيّدُ

يمحو النبيُّ كتابهُ

يمحو الكتابُ لسأتهُ؟

جُنُثٌ ... وتعجزُ أن تُمَيِّزَ : أيها

سيفٌ يَجْزُ ، وأيها

عُنُقُ؟ يُجْزُ ، وأيها ...

جُنُثٌ ... وتخرج من يُنْخَرِ سديمها

سَوَّرَ تَقَوْلُ : القتلُ مُبْتَدَأٌ ، وَيُنْخَلَطُ قَاتِلٌ بِقَتِيلِهِ

ويصيحُ بيتٌ : إئنني قبرٌ ويصرخُ شاعرٌ :

شعبي فضاءٌ دمٌ ، ويلتبسُ الفضاءُ على الفضاءِ .

مُتَدَثِّرًا بدمي ، يسيرٌ - تقوده

حُمَمٌ ، ويهديه حطامٌ :

أتقدمُ الكلمات نحو سريرها

لأرى بحيرةً مواتها ، -

قالَ العسقُ

عُنُقُ الرَّمَادِ مَدَدَتْهُ (٣٠)

جسراً لكلِ نبوءةٍ ، -

قالَ العسقُ

جَسَدُ المَدِينَةِ قَاحِلٌ

لَقَحْتَهُ ، وجلوتُ للنسغِ المحرَّرِ جنسهُ ، -

(٣٠) مَزَجَ الرَّمَادُ ثِيَابَهُ

بالريحِ / نام : وسادَهُ

أفقَ وشمسٍ .

قال الغسقُ

لو أنّ لي بيتاً لكنتُ دعوتكم
ولقلتُ: فيه تؤمنون وتكفرون
ولكنتُ أرحبُ ساحةً لجنونكم
ولكنتُ أصدقُ صاحبٍ ، -
قال الغسقُ .

... / وأنا الذي نبذته كل قبيلة (٣١)

ليكون لي أن أسمع الصوت الذي همسته حنجرة الغسق ،
أعطيتُ للحقل الصديق شقائقي
أعطيتُ أوراق الفصول محابري
أعطيتُ ذاكرتي لكل ثنية
في ذلك الجسد الذي سمّيته
وطناً ، وعاش بلا وطن ،

ولبستُ شعري كالكفن (٣٢)

(٣١) قاومت ، - حتى الضوّه مات / ألسن نبضاً؟
في كل شيء نبضة ماتت / أنتهض؟ كيف أعطي
لخطاي دريك؟ كيف أبدأ؟ أين أمضي؟
(٣٢) جلس النهار إلى جواني مرهقاً
ويكي / فرحت ، - رأيتّه يبكي معي .

أعطيتُ قرميدَ الثلوجِ قصائدي
دفتاً له ،

أعطيتُ شيخَ الريحِ عُكازاً توارثه أبي عن جدّه
أعطيتُ أهدابَ السّماءِ نواقدي
أعطيتُ كلُّ مهيمٍ شغفي وناري
أعطيتُ هاجرَ كلِّ ما يُعطيه ابنُ
أعطيتُ إسماعيلَ أجملَ ما رآتهُ طفولتي ،
ليكونَ لي أن أسمعَ الصّوتَ الذي همستهُ حنجرهُ
الغسقُ .

غسقٌ وإسماعيلُ يدخلُ في الغسقِ
إملاءً صخراءٍ ، ورأسكُ - طائحاً ، إيقاعها (٣٣) .

غسقٌ وتبتهجُ الطبيعةُ بالغسقِ
ودمي نشيدٌ للغسقِ
صفصافةً فرشتُ جدائلها لتحتضنَ الغسقِ
ماءٌ يفارقُ نبعهُ ليبري الغسقِ

(٣٣) مازال جبرُ الكهفِ يرسمُ فأسهُ
في قلبِ عصري : لست منه ، أنا نقيضُ :
حقارُ أحلامٍ ، - غيومُ
وعدت ببرقٍ .

في كل شيء زهرة
تحنو على كتف الغسق؛ (٣٤)

غسق وترتطم السماء بخطونا ، -
هوذا أصفح خالفاً
جمدت أصابعه ، وأعطي
لغتي لحبر الموت ، - أتبع هذه الكرة الخفيفة
من خيوط العنكبوت
وأقول : أرضي عاشق ميت وعاشقة تموت .
هوذا ، سأرسم كوكب الغسق المضيء على يدي ،
لكي أحيي وردة
ذبلت ، وكنت قطفها
من شرفة الزمن الذي آخيته ،
ولكي الأمس طينها بكرة ، يرد إلى العناصر سحرها
ويقول للغة اتبعيني
هذا هو الغسق الجميل قتيله يرث القتل
هذا هو الغسق الليل (٣٥) .

(٣٤) أين اتجهت ، أرى قلباً
ثقيت ، - أرى رأساً تلتئى . . .
(٣٥) كتف النهار جريحة ، والليل يعرج / حيناً
قبر ، - سأطف وردة وأضمها لرسائلي :

متدثراً بدمي ، أجيءُ - يقودني
حلمٌ ويهديني بريقٌ ، -
هياتُ بيتي لابنِ رُشدٍ
وأبي نواسٍ ، والرُضي
وكتبتُ للطائي أن يأتي ، وقلتُ لذي القروح : أبو العلاء أتى ،
وأحمدٌ ، وابنُ خُلدونٍ ، -
سنعلنُ آيةَ الأحشاء ، وسومةَ السديمِ الأولي
ونفككُ اللغةَ الدفينه
في غابةِ الأشياءِ ، - نقرأُ صخرةً
عَمُصَّتْ ، ونسمعُ ما تُوشِوشُ باسمينه
ويدورُ في خلدِ الحقولِ :
أحبُّ زهرةً رغبةً
والشعرَ فاتحةَ العُقولِ (٣٦) .

بيروت ناقة هاربٍ ، والموت هودجها / رأيتُ جرائمها
ترعى ، رأيتُ خرافها
ورأيتُ رقص معادنٍ . . .
وأرى : النخيامُ هي النخيامُ ، أرى : الطلؤلُ هي الطلؤلُ
طرقُ مُزترَّةً بعصف سديمها
والنارُ تعرف ما أقول . . .
(٣٦) قرَدُ على حجر التنبؤِ جالسٌ
يرنو إليّ كأنني قديسه :

... / وأنا الذي نبذته كل قبيلة
أدعوك ، اسماعيل ، أكْمِلْ ما بدأتُ / أقيمُ في يهو العصور
وليمتي

لم يبقَ من جسد المكان سوى التراب / حضنته
طيناً ، وضربة خالقي -
لعياً يذوب في دمي تزيّاقه ، -

ببراءة اللعيب التهبنت ، - رأيتُ في الحجر الجناح ،
رأيتُ جسمي وردة

تملي كتابَ رحيقها ، والكونُ جبر
ببراءة اللعيب أتحدثُ ، وعُيرتُ
صوّر الطبيعة - قلتُ للعب استبج جسدي وخذني
يا شيخ حبي ، أيها البحر المنور ، أعطني

أقولُ اسماعيلُ ناري ، هاجر
بيتي ، وإبراهيمُ برد؟
ماذا أقولُ له؟ أزعمُ أنني
رب؟ وأعلنُ جنّتي ؛
حواء تفاح ، وأدم شهوة
والموت مفتاحُ السماء؟
أقولُ : لي قدمٌ هنا ، ويدٌ هناك ،
ولي خيول في الهواء؟

حضمناً يشاركني جُموحِي
لَكَ صُورَةٌ - أَطْرَافِي ارْتَسَمَتْ عَلَى أَطْرَافِهَا
وَأَنَا وَأَنْتَ مُضَرَّجَانِ بَعْدِنَا (٣٧) .

وَأَنَا هَوَى بَطْرُ يُحَصِّنِي - أَنَا حُلْمِي أَخْطُ غِيَوَةَ
صُوراً تُكَاشِفُنِي
أَنَا جَسَدِي ، وَلِلْجَسَدِ ابْتِهَالِي
وَالْحَلْمُ زَهْرٌ مَوَائِدِي
وَالْحَلْمُ خَبِزِي وَاحْتِفَالِي ،
فَأَرَى كَأَنِّي طِينَةٌ
جُيِلَتْ بِغَيْرِ غُبَارِهَا
وَيَضْمَنِي جَسَدِي إِلَى جَسَدِي ، وَيَسْأَلُنِي سَوَالِي .

وَأَرَى كَأَنِّي
أَخِيْتُ بُهْلُولاً ، وَسَقَّتْ إِلَى الْمِيَاهِ قَطِيعَ نَخْلِ (٣٨)
(لَوْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ يُعْتِقُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ)
أَخِيْتُ بُهْلُولاً وَسَخَتْ ، صَحَبْتُ سَرَّخَسَ نَشْوَةَ

(٣٧) عَهْدٌ يُنَوِّرُ صُورَةَ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ ، ...

زَمَنٌ ... هَيَامٌ خَالِقٌ ، وَبِهَاءٍ عَيْدٌ .

(٣٨) لِلنَّخْلِ أَقْوَامٌ وَلَيْسَ لَهُ سَهَامٌ .

ولبستُ صفصافاً ، وقلتُ الوردُ خيمةَ عاشقٍ
(لو أن اسماعيل يُعتقُ نفسه من نفسه)
أخيتُ بهلولاً وكنتُ الجسرُ بين غوايةٍ وغوايةٍ
(لو أن اسماعيل يُعتقُ نفسه من نفسه)
أخيتُ بهلولاً وأسكنتُ الخليقةَ في ردائي
وجهرتُ : أولى أن يكون الحقُّ معراجاً ورائي
أخيتُ بهلولاً لادخلَ في الأفول
وأضمُّ آخرَ زهرةٍ لتكونَ أولَ ما أقول^(٣٩)

ما كان كان

حَضَرَ وَبَدَوُ - مَعْجَمٌ لِخُرَافَةٍ
(جَنَحَ الْغُرَابُ إِلَى الْبِياضِ / فَلَانَةٌ
كَتَبْتُ طِفْلَتَهَا رَقِيمَ هَوَى وَأَرْخَةَ فَلَانُ
بَيْتاً لِإِسْمَاعِيلَ - حَقْلَ دَمٍ) / أَقُولُ
أَعْطَيْتُ عَصْرِي لِلغُبَارِ ، دَخَلْتُ فِي رَحِمِ الْأَفُولِ
طَيْفًا لِتَارِيخِ يَجِيءُ ، - أَكَادُ أَسْمَعُ خَطْوَهُ :

(٣٩) سَأَقُولُ إِسْمَاعِيلَ وَادٍ مِنْ حَجَرٍ
سَأَقُولُ إِسْمَاعِيلَ فَخَاذَرٌ تَشَقُّوقٌ وَأَنْكَسَرُ
سَأَقُولُ إِسْمَاعِيلَ صَنْعَةَ صَانِعٍ
وَأَقُولُ هَاجِرٌ لَمْ تَهَاجِرْ .

يا صورةً مستجيءٌ ، يا لغتي وحيي
إن كنتِ واحدةً ، فباسمكِ - باسمِ هاجسكِ الكثير ، أنا أنا ، -
وأنا سوايَ (كأنَّ اسماعيلَ يخلعُ نفسهُ من نفسه)

غَسَقٌ وتَبْتَهَجُ الطبيعةُ بالغسقِ

ودمي نشيداً للغسقِ ، -

بخرٌ يَموجُ إليّ مُشْتَعِلاً يكرّرُ موجهُ
هذا هو الغسقُ الجميلُ - قتيلاً يَرِثُ القَتيلُ
هذا هو الغسقُ اللّليلُ .

(بيروت / تموز - تشرين الأول 1983)

www.alkottob.com

قبل أن ينتهي الفناء

www.alkottob.com

www.alkottob.com

1

عُنُقُ جَامِحٍ ، عُنُقٌ ، حَائِرٌ ...
الْغَيُومُ تَحِيكُ عِبَادَتَهَا ،
وَالرِّيَّاحُ تَجِيءُ خِفَافاً عَلَى صَهَوَاتِ الْحُقُولِ .

لِسُهُولِ جِبَالٍ
تَتَلَّى الْقُرَى مِنْ ذُؤَابَاتِهَا ،
لِنِسَاءٍ يُزَنُّونَ خِصَرَ الْفِئَةِ مَاءً
بِمَنَادِيلِ أَحْزَانِهِنَّ ، وَلِلْحَزَنِ يقرأ ما كَتَبْتَهُ الْفُصُولُ ،
لِمَحَابِرِ جَفَّتْ ، لِحَبِيرٍ يُنْقَطُ وَجْهَ السَّمَاءِ ،
يَنْحَنِي الشَّاعِرُ ،
يَتَذَكَّرُ: لِلْفَقْرِ حِكْمَةٌ شَمْسٍ ،
وَالدَّرُوبُ عَلَى قَدَمَيْهِ
عُنُقُ جَامِحٍ ، عُنُقٌ حَائِرٌ .
أَشْعِلُوا لِلْمُشْرِدِ فِي فَلَوَاتِ الْكَلَامِ
نَارَ أَشْوَاقِهِ ،

وانقشوا صخرة النهر ، عرزاله
والبياض المنحبا في لوح ايامه - انقشوها
بالحنين ، وبالشمس تنخلع في وردة
ثوبها كي تفيق ، وتلبس رمانة كي تنام .

حبق البيت ، نغناعه
شرفتان لكل يد ثومثان
لم اكن بعد اعرف كيف يضاء المكان
بالصدقة . نجمي
لم يكن دار في فلك الاصدقاء
لم يكن بعد يكتبو ، وتشحط رجلاه في مهمه من جراح .
غير ان الصباح
كان يلقي دقاته ، كل يوم
في فراشي ، بين يدي ، ويملي رسائله للقضاء ، -
تنثني تلة ،
يزدهي ساحل
الينابيع تقرأ للعشب اسفارها
والغصون تسوس الهواء .
- ما له تورك الجافل ؟
وجهه ناحل ، لونه حائل ،
هل تنشق خمارة ؟

— لم يُطلق ، مرّةً ، نيرةً .

— والرّهان؟

— خسرت الرّهان .

2

ساحة القرية اختفاءً —

يجلس المتعبون : حوارٌ ، ذكرياتٌ ، همومٌ ،

مجلسٌ

تتعاقد فيه الجراحُ ، وينسى النهارُ النهارَ . طيورٌ

تتحدثُ مع ريشها .

عَسَقٌ يَتمرأى

بين ساقِي فتاةٍ ، والمُصنّونَ تحت الشجرِ

يعقدونَ مع الغيبِ أخلاقهم .

غيرَ أنّ الحقولَ يَباسُ ، والعزيرُ المعطرُ

لم يَجِئْ منذُ تَهَرٍ .

— تحت تلك العريشة كَنزٌ .

ينبشونَ القبورَ ، ولكنّ . . .

— مرّةً ، وجدوا هيكلًا

دُهشوا : رأسه مثلُ قفّاحةٍ
ويدأه رَقِيمٌ :
« بين رِدْفِي وَنَحْرِي
فَلَكٌ دَائِرٌ ، فَلَكٌ قَاتِلٌ » .

المساء يَلْمُ المقاعدَ . ليلٌ
حَالِكٌ ، لِلنَّجْمِ
أوجهٌ قيل عنها : ملائِكٌ ، منها
ما يدومُ ، ومنها
كَبِنِي آدَمَ ، لا يدومُ .
بعضُهُم يتذكّرُ أسماءَها
بعضُهُم يتفقُّه فيها ، ويقولُ : إليها
يُنْتَهِي كلُّ عِلْمٍ .

بعضُهُم يدّعي
أَنَّ نَجْمًا هوى
فوقه ،
ورأه يبدلُ قُمْصَانَهُ .

يسمَعُ الطُّفْلُ ، يَنْهَضُ ، يَمْضِي
ساعةُ الدَّرْسِ حانتُ ، والقناديلُ لا زَيتَ فيها .

شَمْعَةٌ حَامِلٌ
وَضَعَتْ نُورَهَا
بَيْنَ أَهْدَابِهِ ،
نُورُهَا عَاشِقٌ نَاحِلٌ
لَنْ يَكُونَ لَهُ أَنْ يُحْيِي
هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، الْمُتَنَبِّي :
الْهَيْلَالُ الَّذِي يَسْتَضِيءُ بِهِ أَفَلٌ .

3

عِنْدَمَا يَنْزِلُ الشِّتَاءُ
مِنْ دُرَاهُ ، وَيَرِيضُ فِي الْعَتَبَاتِ ، وَخَلْفَ النُّوَافِدِ ،
تَأْوِي الْحَقُولُ إِلَى عَرَبِيهَا
وَيَنَامُ الْحَجَرُ
بَيْنَ أَجْفَانِهَا .

كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَقُولِ
لَعِبٌ غَامِضٌ ، حَدِيثٌ
لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُ مِنْهُ
عَبْرَ هَرَجِ الْعَصَافِيرِ تَغْزُو
وَتَخْتَارُ أَشْهُى ثَمَارِ .

كنتُ أختارُ: أيُّ البُقُولِ
يَتَخَيَّرُهَا العَاشِقُونَ
لِصِبابَتِهِمْ
مِثْلَما حَدَّثَ الشَّيْخُ ، وأَكَدَهُ العَارِفُونَ .

عِندَما كانَ جِيشُ الشِّتاءِ يُرابِطُ بَينَ النِّوافِذِ ،
تَأوي النِّساءُ
لِمَقاصيرِ أَخْلامِهِنَّ . المَقاصيرُ تَرُوي
ما رَوَّتهُ السَّيرُ
عَن قُلُوبٍ - كواكِبٍ ، عَن عَاشِقاتِ
مِن عُبارِ الزُّمَرِ ، أو مِن حَريرِ الزَّهَرِ
فِي المَقاصيرِ يَعْشَقْنَ ، يُسَلِّمْنَ ليلِ أَجسادَهُنَّ ،
وللشَّوقِ أَكبادَهُنَّ ،
وأهدابَهُنَّ لِمَوجِ الصُّورِ ، -

- دَمُها كانَ يَكْرَأُ .
- لِمَ تَحَفُّ . تَحَتَّ زَيْتونَةُ أَناها
وَضَعَتْ ناهِدِيها
بَينَ عُصنَتَيْنِ ، رَمْزاً :
فِي يَدَيهِ سَلامٌ وَدِفْءٌ .

... جَدُّهَا جَدُّعٌ تَخُلِ
وَالضَّفَائِرُ صَفْصَافَةٌ .

... خَرَجْتَ مِنْ مُحِيطِ السَّوَادِ إِلَى مَرَكِزِ الْبَيَاضِ
عِنْدَمَا جَاءَهَا الْمَخَاضُ .

وَالْمَقَاصِيرُ قَشٌّ وَطِينٌ
وَتَعَازِيمٌ حَاءٌ وَبَاءٌ .

4

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوخِهِ :
الْقُبُورُ تُرْشُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْقَمَحُ يَصْدَأُ ، وَالسَّنْبَلَةُ
هَجَرَتْ عُنُقَهَا .

لَمْ تَكُنْ قَدَمَايَ كَمَا يَحْدُثُ الْآنَ تَرْتَجِفَانِ -

تُرَانِي فِي هُوَّةٍ؟

زَمَنٌ يَتَقَدَّمُ فِيهِ الْجَوَابُ ، وَتَنْهَزُمُ الْأَسْئَلَةُ .

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوخِهِ :

لَيْسَتْ الْأَرْضُ إِلَّا

فَلَكَاً مِنْ طُهَاءٍ ، فَلَكَاً مِنْ طُغَاةٍ .

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوخِهِ :

يَسْتَعِيدُ وَيُمَلِّي

دَرَسَهُ الْمُخْتَصِرُ :
قَلَمُ الْحَبِّ قَوْسٌ فِي كَفِّهِ وَانْكَسَرَ .

5

أَخَذْتَنِي رِياحِي ، وَاللَّيْلُ طِفْلٌ
فِي ثِيَابِي ، وَأَلَقْتُ
لِغَطَاءِ رَفِيقِ صِبَايَ : شُمُوسٌ
وغيوبٌ
وَأَرْضٌ

تَتَبَطَّنُ ذَاكَ الْغَطَاءُ
وَأَنَا الْآنَ فِيهِ وَمَنْهُ ، نَسِيجٌ
يَتَمَرَّقُ . مَاءُ التَّعَلُّلِ شَحٌّ . مَنْ الْقَائِلُ :
طَعْمُ حَوَاءَ مَرْ
وَأَدَمُ سُمَّ؟
شَحٌّ ضَوْءُ الطَّرِيقِ - المَعْرِي
رَسَمَ الْأَرْضَ قَارُورَةً
وَرَمَاهَا إِلَى اللَّجِّ - يَا أَيُّهَا الْعَادِلُ
مَا الَّذِي يَتَرَاءَى لِيَأْسِكُ؟ لَا ، لَسْتُ أَسْأَلُ ،
عَفْوُكَ ، عَيْنَاكَ لَا تُخْطِئَانِ :
الْخَلِيقَةُ شِعْرٌ
وَصَوْتُكَ دِيْوَانُهَا الْكَامِلُ .

قُلْ لَأَمُوجِكِ اسْتَقْرِي
 أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُعْطَى
 بِالْحُطَامِ ، وَكُرَّرَ
 مَا يَقُولُ النَّوَامِي : دَاوُكَ هَذَا الدُّوَاءُ .

وَالطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِنَا ، نَزَلَ الزَّهْرُ عَنْ كَتْفَيْهَا ...
 أَتَذَكَّرُ : كَانَ الْمَسَاءُ

يَتَمَدَّدُ فِي حَضْنِ أُمِّي
 مُلْقِيًا رَأْسَهُ عِنْدَ رَأْسِي ،
 أَيُّهَا الْوَقْتُ حَرَّكَ رَمَادِي
 فَأَنَا مُطْفَأٌ وَنَسِيْتُ الْغِنَاءَ .

النَّبَوَاتُ تَجْتَرُّ أَشْلَاءَهَا
 وَالزَّمَانُ حَصَاةً
 تَتَدَخَّرُ فِي رِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

(باريس ، أوائل أيلول 1992)

www.alkottob.com

البرزخ

www.alkottob.com

www.alkottob.com

للأساطير التي تخضن أيامي وللحلم الذي يحنو عليّ
اغسل التاريخ - ما قال ، وما أنكره
بالإشارات التي يرسلها الفجر إليّ .

1

خرج الحاضر من أسمائه
يخرج الشيء على أسمائه - لا أسميه ، ولكن
قلد الورد يد الشاعر واستسلم للماء الذي قلد نهر الرغبات
فقل الآن لليل الكلمات :

أنت نور آخر يقتحم الفجر عليه
سأحيي وردة يحملها الشعر إليه -
هوذا ، أيقظت أعماقي وصيحت الحب جاء
عاشقاً ، أصغي إلى جسمي ، وأستقرئ ما يكتبه
وحصادي دائماً جهلي به .
سأحيي وردة يحملها الشعر إليه ، -

أَكْتُبِ الْجَنَسَ الَّذِي فِيكَ لَكِنِّي تَقْرَأُ تَارِيخَ الْأَبَدِ

لَا تَعِيشُ الرُّوحُ فِي الْغَيْبَةِ إِلَّا

عِنْدَمَا يَكْتُبُهَا تِيهُ الْجَسَدُ .

سَأَحْيِي وَرْدَةً يَحْمِلُهَا الشَّعْرُ ، سَأَبْقَى

أَرْتَقُ الْغَيْمَ ، وَأَبْقَى

أَسْحَبُ الْأَفْقَ بِخَيْطٍ

وَأَجْرُ الشَّمْسِ مِنْ أَرْدَانِهَا .

أولوني

جَسَدِي رِقًا - كِتَابٌ

كَتَبْتُهُ أَبْجَدِيَّاتٍ نَجُومٍ وَغُيُومٍ

جَسَدِي مَسْرَى إِلَى النُّورِ وَأَشْلَاءُ دُرُوبِ

جَسَدِي يُؤَلِّمُ لِلْمَسْرَى الَّذِي يَتَكَوَّنُ الْآنَ عَلَى سُرَّتِهِ -

أولوني /

يَكْتُبُ النُّورُ عَنْ عَائِلَةِ الْبَحْرِ كِتَابًا مِنْ زَيْدٍ

أَوْلُوا صَوْتِي ، قَوْلُوا

لَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ أَنْ يَيْسَمَ أَوْ يُؤَمِّنَ أَوْ يُصْنَعِي لِلْفَجْرِ أَحَدٌ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا وَلَكِنْ
 إِبْتِكِرَ مَا صَنَّفَ الْمَاضِي ، أَعِدْ إِعْجَامَهُ
 وَأَعِدْ تَصْرِيفَهُ
 وَأَعِدْ إِعْرَابَهُ -

أَلْيَقِينَ الْآنَ شَحَاذٌ . أَحْيِي
 شَاطِئًا يَكْتَبُهُ الْبَحْرُ وَيُرْوِيهِ إِلَى أَمْوَاجِهِ
 وَأَحْيِي خِرْقَةً
 مَسَحَ الْعَاشِقُ فَخَذِيهِ بِهَا
 وَأَحْيِي طَحْلِبًا
 وَأَحْيِي قَشَّةً
 رُبَّمَا عَلَّمَنِي السَّيْرَ عَلَى الطَّحْلِبِ أَهْوَاءَ الْمَكَانِ
 وَحِسَابَ الْوَقْتِ ، وَالرَّحْلَةَ فِي إِسْفَنْجَةِ
 رُبَّمَا عَلَّمَنِي الْقَشَّ الرَّهَانُ ،
 وَأَحْيِي كُلُّ مَا يَهْوِي
 وَلَا يَخْضُنُهُ أَيُّ قَرَارٍ .
 هَلْ أَسْمِي أَلْفَ الْحَيْرَةِ مِفْتَاحًا ، وَيَاءَ الْيَاسِ بَابًا
 وَأَقُولُ ارْتَسَمَتْ دَائِرَةُ الصَّدْقِ ، وَدَارُ الْأَصْدِقَاءِ؟
 وَلِمَاذَا لَا أَقُولُ الزَّيْدُ الْحَبْرُ ، وَمَنْ أَيْنَ أَتَانِي
 أَرْقُ الْمَعْنَى ، وَتَأْتِينِي هَذِي الْبُرْحَاءُ؟
 أَتُرَى حَطِّي حَصَى أَرْمِي بِهِ

فَرَسَ السَّرَّ وَمَعْرَاجَ السَّمَاءِ؟
فِي فُقَاعَاتٍ مِنَ الصَّمْتِ الَّذِي يَلْقَحُ بِالْمَوْتِ الْهَوَاءَ
يُوغِلُ الشَّاعِرُ فِي أِهْوَالِهِ -
لَيْسَ لِلنُّورِ أَخٌ إِلَّا الْفَضَاءُ .

3

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
إِسْأَلُوا الشَّرْقَ : أَلَنْ يَضْجِرَ مِنْ مَزْجِ خُطَاةِ
بِالدَّمِ الدَّافِقِ مِنْ أَبْنَائِهِ
وَمِنَ السُّكْرِ بِهِ
وَمِنَ النَّوْمِ عَلَى أَشْلَانِهِمْ؟
قَامَةُ التَّارِيخِ مَالَتْ فِي يَدَيَّ
إِنَّهُ الْإِنْسَانُ ... مَذْبُوحاً عَلَى صَدْرِ نَبِيٍّ
أَقْرَأَ الرَّمْلَ وَأَسْتَأْنِسُ بِالرَّيْحِ الَّتِي تَذُرُّ وَتَتَأَيَّ
وَأَقُولُ الْحَلْمُ ضَوْءٌ وَلِقَاحٌ
وَعَلَى الْحَلْمِ تَأَسَّسْتُ ، وَفِي الْحَلْمِ بَنَيْتُ
أَيُّهَا الْوَاقِعُ مِنْ سَمَّاكَ ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟

لِسَلَالَتٍ مِنَ الْجُرْحِ
الَّذِي يَجْهَلُ

هل يضحك أم يبكي ،
دمي طفل سؤال .

4

تخرج الأشياء من أسمائها ، وأنا أعشق أشياءي - قميصي ،
قهوة الصبح ، وأقلامي ، والأسود من حبري ،
أشيائي بقايا عتبات .

وأنا أعشق ليل العتبة
كلما شرذني عنها غياب
شرذت عني نفسي ،

وأنا أعشق نومي / عندما أدخل في دفة سريري
تفتح الشهوة لي أحضانها

وأرى أجعل أحزاني في أغوارها المصطنحية .

ينتمي عهدي مع التيه إلى فجر دمشق
وآليها تنتمي ناري ، أخشائي قوس
هائم فوق دمشق .

كلما حدثني حقل ، سألت العشب : هل تغفر لي زمني ،
وهل يقدر سيف الماء أن يبتكر الجرّم البريء؟
لم أعد أنتظر الأخضر / في الزرقة أشتات سواد .

والبياضُ انفتقتُ هالاته
هاجسُ الغيمِ يرجُ الألقَ الباقيَ في صحوي / دُخانُ
في البحيراتِ التي يكثرُها الظنُّ ،
ولا يُوقظُ عيني سِوى اللونِ الذي أجهلُ من أينَ يجيءُ .
غير أن الألقَ يستأنسُ بالريحِ التي تخلطُ في وجهي ،
غباري ورؤاي

ما الذي يخضتني - يخضنه الآن هواي؟
هي كانت مثلما يأخذك الحلمُ إلى ليلِ صديقِ
ياخذُ الليلَ إلى حلمِ صديقِ
وأنا كنتُ كمن يرسمُ عينيهِ على العشبِ ،
ولا يسألُ من أين ولا أتى ولا كيفَ الطريقُ؟
زهرُ الحبِّ على طاولةِ الريحِ مناديلُ هباءُ
أيسمى فشلاً أن يعجزَ الماءُ عن النطقِ ، والأُ
يقدرَ البحرُ على قتلِ حصاة؟
كيفَ لا تخترِفُ الريحُ البكاء؟
... إنها ذاكرتي تبجرُ في ماءِ الصوَرِ -

بيتي الأولِ ، مرسوماً على
جسدِ العشبِ وأوراقِ الشجرِ
جسدُ مدت له الذكري يداً
كيدِ الشمسِ على وجهِ المطرِ
ما الذي يُعتقني منه ، وماذا

فِي دَمِي يَرَفُضُ نَبْضَ الْإِنْعَتَاقِ
جَسَدٌ يَخْنَقُهُ شَرِّيَانُهُ
أَهْ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْإِخْتِنَاقِ .

5

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
سَأَقُولُ الشَّيْءَ مَا أَكْرَمَهُ
هُوَذَا يَاخِذْ أَعْمَاقِي إِلَى وَخْدَتِهِ
وَيُؤَاوِنِي أَنَا الطَّيْفُ الَّذِي يَتَعَبَّرُ فِي أَجْفَانِهِ
وَأَنَا الصَّمَامُ وَهُوَ الْكَلِمَةُ
وَأَقُولُ : الشَّيْءُ - مَا أَعْلَمَ هَذَا الْجَهْلُ ، يَرُوي
لُغَةَ الْكَوْنِ ، وَلَا يَعْرِفُ رَغَبَ اللُّغَةِ الْمُتَفَصِّمَةِ .
وَهُوَ لَا يَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ الْأَقْحُوَانُ
شَامَةً يَرَسُمُهَا اللَّوْنُ عَلَى وَجْهِ الْمَكَانِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا . لُغَاتُ
وَلِكُلِّ صَوْتُهُ
كَلَّمَا حَدَّثْتَنِي شَيْئاً ، سَمِعْتُ الْمَوْتَ يُصْغِي
كَلَّمَا حَدَّثْتُ شَيْئاً
نَخَرَجْتُ نَفْسِي مِنْ دِجَلَتِهَا

وَمَشَتْ مَشْطُورَةً فِي الضَّفْتَيْنِ
مِثْلَمَا يَنْشَطِرُ التَّارِيخُ فِي قَبْرِ الْحُسَيْنِ .
تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمَائِهَا ، وَلَكِنْ
لِي فِي أَرْضِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي اسْتَصَفَيْتُهَا
وَطَنٌ ضَاقَ عَلَيَّ خَطْوِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ فِيهِ
(الآنني دائماً فاجأت بالفجر خطاه؟)

وهو لا يبجرو أن يخضنتني ...
عجياً ، هذا الوطن
كيف لا يكبر في أرجائه غير الكفن .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمَائِهَا وَلَكِنْ
قُلْ لَهْدِي التَّيْنَةَ السُّودَاءَ كَفَّاكَ نَجُومَ
قُلْ لَشَعْبٍ يَحْمِلُ الْحِكْمَةَ فِي أَنْفَاسِهِ :
إِنَّ هَذَا الْأَمَلَ النَّاشِبَ فِي أَعْمَاقِهِ ،
مُخَّ بَعُوضٍ .

أه يا مائدة الموت الذي يحصد أعناق حُقولي
إنني أعجز أن أزرع إلا في سديم -

هوذا أخرج من هاوية

لَيْسَتْ أَنَا ،

هُوَذَا أَدْخُلَ فِي هَاوِيَةٍ

لَيْسَتْ أَنَا

كُلُّ أَشْيَائِي أَخْتَنِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي عَادِيَتْهُ

كُلُّ أَشْيَائِي عَادَتْنِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي أَخِيَتْهُ ،

وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُصْنَعِي ، وَلَكِنْ

كَمْ أَنَادِيهِ لِكَيْ يَحْضُرَ عُرْسَ الْكَلِمَاتِ

وَلَكُمْ غَطِيَتْ قَبْرَ الزَّمَنِ الْمَيِّتِ بِثَوْبِ الْكَلِمَاتِ

وَلَكُمْ غَنِيَتْ لِلشَّيْءِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِي أَوَّلِ الدَّرَبِ قَطِيعُ الْكَلِمَاتِ

وَتَحَدَّثْتُ مَعَ الشَّيْءِ لِكَيْ أَنْقَلَ أَحْزَانِي

إِلَى اللَّاشْيَاءِ ... مُوصُولًا بِخَيْطِ الْكَلِمَاتِ

وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْءَ مِفْتَاحٌ وَلَا يَفْتَحُ إِلَّا الْكَلِمَاتُ .

إِقْرِعِ الْبَابَ لِكَيْ تُوقِنَ أَنَّ الْكَلِمَاتِ

جَسَدٌ آخِرٌ لَا يَلْبَسُ غَيْرَ اللَّيْلِ ، إِقْرِعُهُ لِكَيْ تُوقِنَ :

مَا يَحْضِنُهُ التَّارِيخُ

يُسْتَنْبِتُ فِي الْعُشْبِ

الَّذِي يَحْيَا

بِمَاءِ الْكَلِمَاتِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمَائِهَا وَلَكِنْ

لُغْتِي تَصْنَعُ أَعْدَائِي نَسْجاً
مِنْ خَيْوِطٍ غَزَلْتَهَا شَهْوَةً ،
مِثْلَ دُمَى -
كُلَّ أَعْدَائِي كَانُوا أَوْلِيَاءِي - غَيْرَ أَنِّي
شَطَحْتُ قَافِلَتِي
وَتَوَعَّلْتُ إِلَى أَعْلَى وَأَتَأَى ،
إِنِّي أَعْجُزُ أَنْ أَمْشِيَ إِلَّا فِي جَحِيمٍ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ،
لَا أَسْمِيهَا وَلَكِنْ
لَمْ أَقُلْ غَيْرَ الَّذِي قَالَتْهُ أَشْيَائِي
فِي مَوْعِدِي الْأَوَّلِ فِي تَهْرِ الْحَيَاةِ
عِنْدَمَا سَمَّيْتُ قَصَابِينَ أَرْوَادَ وَنِينَارَ ،
وَكَانَ الْوَرْدُ فِي دَجَلَةٍ عِطْرًا فِي الْقُرَاتِ
عِنْدَمَا أُعْطِيتُ لِلرِّيحِ تَمَارِينِي فِي الْعَصْفِ ،
وَأَثَرْتُ عَلَى الثُّرْمَةِ فِي مَا تَجْهَرُ الْأَحْرَفُ ،
أَنْ أَصْغِي إِلَى هَمْسِ حَصَاةٍ ،

لَمْ أَقُلْ غَيْرَ الَّذِي قَالَتْهُ أَشْيَائِي
فِي رِيَا أَسَاطِيرِي وَأَحْلَامِ يَدِي
وَأَنَا أَنْسَى وَأَسْتَغْفِرُ مَا أَنْسَاهُ

مَحْمُولاً عَلَى الْمَوْجِ الَّذِي يَهْدِرُ فِي غَوْرِي مَجْهُولاً خَفِي
رُدُّ عَنِّي نَوْمِي الْأَسِرَّانِمَ فِي مَقْلَتِي
أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي أَجْهَدُ كَيْ أَدْخَلَ فِيهِ
أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي أَجْهَدُ أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ .

6

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
لَمْ يَرِثْ شَيْئاً دَمَ الْأَجْرُ (لَمْ يَنْسَ الْمَعْرِي
أَنْ يَقُولَ الْمَوْتُ مَزْرُوعٌ
هُوَ الْأَخْرُ فِي الْأَرْضِ ،
كَمَا يُزْرَعُ وَرَدٌ)
كُلُّ شَيْءٍ يَأْخُذُ التُّرْبَ إِلَى صَحْرَائِهَا ، دُونَ أَنْ يَتْرَكَ آثَاراً / تَقْدَمُ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ وَاسْتَسَلِمَ لَتِيهِ الْقَافِلَةُ
عَبَثاً تَفَضَّنِي وَتَسْتَبْسِلُ فِي رَسْمِ خَطَاكَ النَّاحِلَةَ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ،
لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
أَخْذُ الشَّيْءِ كَمَا يَأْخُذُ فَلَاحٌ رَغِيْفاً

وَعَلَى وَجْهِ رُؤْيَا

تتقرى خطوة الوقت ، -
يكون الليل في عيني ضوءاً
سكبتة انجم اخرى على خطوي - ضوءاً
ابيض الخطوة
نشوان ، ينام

في سرير ابيض ،
ويكون الليل في حنجرة الضوء كلام .

وبعين الشيء حذقت لكتي اشهد
أن القصب المائل آهات
وأن الموت للعابر في قافلة المعنى حقول من خزام .
هكذا ادخل باسم الحب في الموت ،
كما يدخل في الموت ،
أو باسم حياة مرجاه
فأرى نفسي كاتي مثله - صخب مؤه في صمت شموع مطفاه
وأراه نائماً ملء سريري ، يقظاً مثلي ، والعالم في اهدابه
حلم يعبر في شكل امرأة .

تَنخُرُجُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَسْمَائِهَا ، -

أ - أن تُحِبَّ الآنَ مِفْتَاحَ مِنَ الْحِكْمَةِ أن تَجْهَلَ مِنْ أَيْنَ أَتَى .

ب - لَيْسَتْ الرِّيحُ يَدًا بَلْ رَايَةٌ .

ج - لا يَعْيشُ العِطْرُ إِلَّا تَاتِيهَا .

د - نَحْذُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَا شَابَهُ أَهْدَابُكَ : نُورًا ،

وَمِنَ الْأَشْيَاءِ مَا شَابَهُ أَحْزَانُكَ : نَارًا .

تَنخُرُجُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لا أَسْمِيهَا ، وَلَكِنْ

مِنْ يَدَيَّ نَافِذَتِي

يَذْهَبُ الْأَفْقُ إِلَى شُطْأَنِهِ

مَعَهُ تَذْهَبُ أَحْشَاشٌ ، وَأَبْرَاجُ حَنِينٍ

مَعَهُ تَذْهَبُ أَيَّامِي : هَلْ هَذَا خَرِيفٌ

أَمْ رَيْبٌ؟

شَجَرُ الزَّيْتُونِ أُعْطِيَ الجَدْعَ لِلجُدْجُدِ ، وَالزَّيْتُ لَنَجْمِ

لَمْ يَزَلْ يَكْتُبُ لِلشَّاعِرِ تَارِيخَ الْأَرْقِ

وَبَرَى أَيَّامَهُ تَهَيَّبُ فِي تِيهِ الْوَرَقِ

نَحْوَ . . . / جَاءَتْ وَرْدَةٌ

وَرَمَتْ زُنَّارَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَهُوَ ، الآنَ ، سَحَابٌ

شَفٌّ كَالضُّوءِ ، - يُؤَاخِي وَجْهَهُ

وَيُعْطِي مُقْلَتِيَّةً

... مَعَهُ تَذَهَبُ أَيَّامِي : هَلْ هَذَا خَرِيفٌ ، أَمْ رَيْبٌ؟

(إِنَّهَا شَهْوَةٌ مِعْرَاجِي تَمْحُو

سُلْمَ اللَّوْنِ ، وَتَمْحُو

آيَةَ الْوَقْتِ) ، وَيَمْضِي

مَعَهُ دَوَّارُ شَمْسٍ ، وَرِيَّاحِينَ ، وَأَسْرَارٌ ، وَتَمْضِي

مَعَهُ قَافِلَةٌ الْمَعْنَى / إِلَى نَافِلَتِي

شَكَتِ الشَّمْسُ طَرِيقِي

هَكَذَا أَنْظَرُ مِنْهَا

وَأَرَى نَارَ انْكِسَارَاتِي تَعْلُو ،

فَكَأَنِّي لَمْ أَعِشْ إِلَّا رَيْباً

وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ رَفَّةٍ هَذَبِ

وَكَأَنِّي صَبِرْتُ شَيْئاً

عَائِماً فِي لُجَّةِ الضُّوءِ الَّذِي يَسْطَعُ فِي نَافِلَتِي

أَغْوِي ، يَا شَاطِئَ الضُّوءِ وَهَيْبِ سَاعِدَيْكَ

خُذْ يَدِي ، خُذْ نِي ، أَرْجِعْنِي إِلَيْكَ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَانِهَا

لَا أَسْمِيهَا ... أَقُولُ الْبَحْرُ كَانَ الْبَحْرُ طِفْلاً

عِنْدَمَا سَافَرَ فِي وَجْهِي وَدَوَّنَتْ صَدَاهُ

وَقَرَأَتْ الْأَفْقَ ... / هَلْ أَسْأَلُ تِلْكَ السُّنْبَلَةَ :

مَنْ رَأَاهَا بِذُرَّةٍ ، أَوْ مَنْ رَمَاهَا؟
أَمْ تُرَى أَطْفِقُ نَارَ الْمَسْأَلَةِ؟

بِرِّيحٍ ،
وَالْتَّيْهُ مَرْسُومٌ
عَلَى كُلِّ قَضَاءٍ .

وَالْيَقِينُ
الآن
شَحَاذٌ

وأشيائي أختني : باب

رَدَّنِي مِنْ هِجْرَةِ الْمُعْتَى إِلَيَّ
وَأَرَى الْكُرْسِيَّ مَهْمُومًا
كَمَنْ يَحْمِلُ عَنِّي كَتْفِي .

(باريس 20 حزيران - بودابست 14 تموز 1991)

www.alkottob.com

وردة الأسئلة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

إلى أ.ق .
الأكثر بهاءً بين صديقات الشعر

1

يُخْرِجُ العِطْرُ حيرانَ من وَرْدَةِ الأَسْثِلَةِ
تُخْرِجُ الأَمْثَلَةَ
مِنْ فَمِ الأَرْضِ مَخْنُوقَةً ، ...

سَيَكُونُ ظَهْوَرٌ عَلَى شاطِئِ القُرَاتِ :
أَدَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَحَوَاءٌ جَبَّانَةٌ .

إنها أرضنا تتمرأى في تأبينها
مرّ فينيقٍ فيها وتَنورَ أبعادها
وتغنى بها
ورواها
وغنى لها
واخترق

لِلْفَسَقِ ،
لِلْقَبَائِلِ وَالْقَابِلِينَ لَكُلًّا كَمَا قَلتَ يَا سَيِّدِي لَنَعَمَ مِثْلَمَا قَلتَ
يَا سَيِّدِي وَلِلْمَدِينِ
العَائِمَاتِ عَلَى لُجَّةِ القَتْلِ لِلقَتْلِ طَوْبِي وَزُلْفَى لِرُؤُوسِ تَسِيرٍ شَمَالاً وَأَجْسَامِهَا
تَسِيرٌ يَمِيناً

لِلَّذِي تَتَشَرَّدُ مِنْ أَجَلِهِ
وَنُقَاتِلُ - نُقْتَلُ مِنْ أَجَلِهِ
وَنُقْتَلُ مِنْ أَجَلِهِ
والذي لا مكانَ لَهُ فِي المَكَانِ - لِمِعْرَاجِ أَسْلَافِنَا
والجِيَادِ التي حَمَلتَهُمْ وَإِسْرَاءِ تَارِيخِهِمْ
وَالقَوَافِلِ وَالعَتَبَاتِ وَأَضْرَحَةِ الأولِيَاءِ
لِلتَوَابِعِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ يَتَّبِعُ التَّابِعِينَ ، لِهَلِّ
تَوْلَدِ الرُّوحِ فِي المَاءِ أَمْ فِي الهَوَاءِ؟
لِلْمَدَارِ الذي قَذَفْتَنَا الحُرُوفُ إِلَى طِينِهِ
وَعَجَّتْنَا بِهِ الأَرْضُ مَخْتِومَةً بِالسَّمَاءِ
وَلَنَا ، يَا نَسِينَ كَعَظْمِ ،
لَتَقُلَّ قَوْلَ صِدْقٍ
لَتَقُلَّ أَيُّ شَيْءٍ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الذي شَاءَ مَا لَا نَشَاءُ .

مِثْلَمَا يَنْزِلُ الْوَحْيُ مِنْ لَوْحِهِ

مِثْلَمَا يَصْعَدُ اللَّهَبُ

وَأَكْرَرُ : تَبَّتْ يَدَاؤُهُ وَمَا أَجْمَلَ الْغَضَبُ

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي لَهَبٍ غَيْرُ جِسْرِ اللَّهَبِ .

إِنَّهَا أَرْضُنَا تَتَمَرَّأَى فِي تَجَاعِيدِهَا ، -

كُلُّ مَا قَالَهُ الْفَقَهُاءُ النَّحَاةُ عَنِ الشُّعْرَاءِ هُرَاءً وَأَسْجُوعَةً

وَسَأَقْتُلُ هَذَا الزَّمَانَ الَّذِي يَتَمَدَّدُ فِيَّ وَيَعْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ

قُلْتُ عَنْهُ : دَمٌ فَاسِدٌ وَلَمْ أَتَرَدُّ

أَنْ أَكْرَرُ : هَذَا الزَّمَانُ دَمٌ فَاسِدٌ

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ :

أُتْرَى ، أَرْضُنَا

خَلِقِ النَّاسَ فِيهَا لَكِي تَتَفَيَّأَ أَجْسَادُهُمْ كَلِمَاتٍ؟

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ :

شَمْسُنَا تَتَنَزَّهُ فِي خِرْقَةٍ

مِنْ طَحَالِبِ هَذَا الْوَجُودِ ، الْوَجُودُ عَمُودُ رَمَادٍ

وَنَخَافُ مِنَ الْقَوْلِ أَكْثَرَ مِمَّا نَخَافُ مِنَ الْقَتْلِ

نَكْتَسِبُ تَعْرِيمَةً

لِلْفَرَاغِ الَّذِي يَتَنَبَّأُ لَكِنْ بِأُظْفَارِهِ

فَأَنَا مُبْلَغٌ وَالْبِلَاغُ

أَنْتِي أَكْتَسِبُ الْفَرَاغَ أَخَاطِبُ هَذَا الْفَرَاغَ .

زَمَنٌ - رَأْسُهُ قَدَمَاهُ

والفضاء على وجهه آلة

سنقول لجلقنا مش :

بَعْدَ لَم تَكْتَشِفْ أَي سِرُّ

والظلام الذي كان يولد حولك ينمو

وتجهل من أين يأتي

وتعجز عن أن تُشير إليه

ونقول : انتظرت الطفولة في وجه غول

وتوقعت أن ينزل الشرق والغرب من نجمة واحدة

في مصابيحك الخاملة

اسمع الآن - تلك هي الريح تهذي وتنسج ثوب الفضاء

خيمة للبكاء .

ونقول لجلقنا مش :

ما ترى في الصراط الذي يتلبس وجه الجحيم ووجه النعيم ويندأ من

حفرة؟

في السحاب يصير كتاباً

في الكتاب يموج الفاظه

كالسلاسل ، من أين يؤتى

بسجاد هذا الخضوع ، لمن يفتح الغيب أبواب هذا الشقاء؟

إنها أرضنا -

سَيَجِيءُ الغِنَاءُ

الغِنَاءُ الَّذِي يَحْسَبُ النَّايَ رَمْحاً وَالْمَرَايَا حُصُوناً

سَيَجِيءُ وَيَصْنَعُ مِنْ وَخْلِهَا مِثَالاً

وَيُوَحِّدُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَأَشْلَانِهَا

سَيَجِيءُ وَيَشْرَبُ قَرِيْقَهُ

حُكَمَاءُ الْمَدَائِنِ وَالْأَتْقِيَاءُ رُعَاةُ الشُّوَارِعِ ، وَالرَّاسِخُونَ

يَدُورُونَ فِي شَكْلِ قَوْسٍ وَشَكْلِ هِلَالٍ

يَهْرُقُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ .

ضَجِرَ الْمَاءُ مِنَّا

ضَجِرَ الْمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالرِّيحُ مِنَّا

وَأَدْخِرْ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى قَاعِ حُزْنِي

لَيْسَ لِلْمَاءِ حَبْرٌ سِوَى نَفْسِهِ

لَيْسَ لِلشَّمْسِ ظِلٌّ سِوَى نَارِهَا

لَيْسَ لِلرِّيحِ بَيْتٌ سِوَى صَوْتِهَا

هَلْ أَقُولُ إِذَنْ : هَا هِيَ النَّارُ بَرْدٌ عَلَى الْمَاءِ وَالْمَاءُ رَمْلٌ

وَأَقُولُ الْمَلَائِكُ مِنْ كَهْرِبَاءٍ

وَأَقُولُ الْقَمَرُ

عُصْنٌ كَانَ أَرْجُوْحَةً

لِتِيَارِيحِنَا

فَانْحَنِي تَحْتَهَا وَتَقْوَسْ مِنْ عَيْبِهَا وَأَنْكَسِرْ؟

أيها الموتُ - شيخاً على الريحِ

طفلاً على الماءِ

والنارُ أمواجهُ القائدةُ ،

إننا لحظةً واحدةً .

والحياةُ صحائفُ للشُّكرِ والحمدِ والبسْملةِ

منزلاتٌ كمثلِ الصحائفِ والكتبِ المنزلةِ

فكرةٌ - دُميةٌ ، فكرةٌ - مقصلةٌ

ونقولُ لجلِّقَامِشِ :

إفْتَحْ هذهَ اللغةَ المُقفلةَ

أعطينا شاهداً لا رقيباً

أعطينا ما تقولُ الحياةُ وما يتوهجُ في غربةِ الأسئلةِ

لا تزالُ جيوشُ الخرافةِ تغزو بلادك ، آتيةً من سُدُومِ

أعطينا ما تقولُ العناصرُ لا ما تقولُ الغيومُ .

هلْ تُطيعُ الدُّخَانَ؟

هلْ تُصالحُ بينَ السُّرابِ وهذا المكانُ؟

ونقولُ لجلِّقَامِشِ - للمقراتِ :

لا نُريدُ الخلودَ نُريدُ الحياةَ .

هَكَذَا نَحْنُ هَذَا الْمَسَاءُ
نَلْعَبُ النُّرْدَ مَعَ نَجْمَةٍ
تَتَشَرَّدُ فِي عَتَمَاتِ السَّمَاءِ .

(ضَعَّ بِلَادِكَ فِي زَقْرَةٍ وَتَضَمُّدٍ بِجُرْحِكَ) أُسْرَى
بِهَوَاهُ شِمَالاً فَسَارَ يَمِيناً
وَتَوَجَّهَ شَرْقاً فَغَرَّبَ أَخْفَى خُطَاهُ
وَتَوَقَّعَ أَنْ يَفْتَحَ الْغَيْمُ كَفَيْهِ فِي أَرْضِهِ الظَّامِثَةِ
فَوَضَّ الْأَمْرَ لِلْكَلِمَاتِ - ثَرَاهُ سَيَخْرُجُ مِنْ سِجْنِهَا؟
سِجْنِهَا سُرَّةٌ
وَلَهَا فَتَحِدُ دَائِفَةٌ .

وَأَقُولُ لِحَلْقَامِشٍ :

أَنْتَمِي لَا لِاسْمٍ وَلَا مِلَّةٍ
لُغْتِي مِلَّتِي
كِرَّةَ الشَّعْرِ أَبْنَاءَهُ كُلُّ أَحْلَامِهِ تَتَسَاقَطُ فِي صَدْرِهِ خُطَاماً
وَالْحُقُولُ الَّتِي عَشِيقَتُهُ تَتَمَرِّقُ مَكْسُوءَةً
بِجِرَاحَاتِهِ

يَدُهُ وَرْدَةٌ

وَالْمَسَافَاتُ فِي وَجْهِهِ قَبُودٌ

وَنَقُولُ لِحَلْقَامِشٍ :

كَيْفَ مِنْ أَيْنَ تَنْفِي رَايَةَ مِنْ خُرَامِي
رَايَةَ مِنْ حَدِيدٍ؟

إِنهَا أَرْضُنَا

أَمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَحَمَالَةُ الْحَطَبِ
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَدَارَاتِهَا غَيْرُ نَارِ الْعَصَبِ .
أَيُّهَا الْقَصَبُ الْمُنْحَنِي
أَيُّهَا الْقَصَبُ الْمَتَكَسِّرُ يَا صُورَتِي
عَجَبًا كَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ تَفَنَى وَتَجْهَلُ أَنَّكَ تَحْيَا؟
عَجَبًا أَيُّهَا الْعَابِرُ
كَيْفَ لَا تَشْهَقُ الْأَرْضُ فِيكَ وَتَنْفَجِرُ الشُّاعِرُ؟

وَأَقُولُ لِحَلْفَامِشٍ :

أَتَعَدُّ فِيكَ وَفِي وَخَدَتِي -

وَخَدَتِي دَرَجٌ فِي الْهَوَاءِ

وَخَدَتِي كُلُّ هَذَا الْفَضَاءِ .

أَمَطَرْتُ فَوْقَ أَنْقَاضِ أَيْلُولِ أَيْلُولِ جِسْرٍ بَيْنَ عَيْنِي وَعَيْنِي
وَأَيْلُولِ بَيْتِ الْخَرِيفِ الَّذِي أَخَذَ الْآنَ يَهْبِطُ فِي ذُرْوَاتِي فَاجِعٌ أَنْ أَقُولَ
عَلَى سُلْمِ الْمَوْتِ لَأَقِيتُ حُبِّي غَيْرَ أَنِّي عَلَى سُلْمِ الْمَوْتِ لَأَقِيتُ
حُبِّي وَمَوْتِي صَوْتُ

يَتَغَنَّى بِظِلِّي يُغْنِي لهُ وَأَنَا مِثْلُهُ : مِهْنَتِي أَنْ أُغْنِي لَتَجَاعِيدِ قَيْسٍ
لَمَرَارَاتِهِ الَّتِي تَتَنَاسَلُ بَيْنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ
أَقْرَأُ السَّحَرَ وَالْكَيمِيَاءَ
أَنْتَشِي فِي مَدَارِ الْبُكَاءِ عَلَى الطَّلَلِ الْعَرَبِيِّ وَأُجْرِي رِيحَ الْحَنِينِ
فِي الْهَبَاءِ وَتَارِيخِهِ الْأَمِينِ .

وأقول لجلقائمش :

أَتَسَلِّحُ بِالشَّعْرِ كَيْ أَنْتَحَدَّثَ مَعَ كَبِدِ الْأَرْضِ مَعَ زَهْرَةٍ
مَعَ بَقَايَا رَحِيلٍ لَا بَقِي
تَائِهًا بَيْنَ عَيْنِي غَزَالٍ
لَا خَوْضَ حُرُوبِي

بَيْنَ وَجْهِ الْكَلَامِ وَوَجْهِ الطَّبِيعَةِ بَيْنَ الْأُرُومَةِ وَالْعُصْنِ بَيْنَ الصَّدَى وَالتَّدَاءِ
أَتَسَلِّحُ بِالشَّعْرِ كَيْ أَنْتَوَّرَ لَيْلَ الْخَفَاءِ ،
وَكَيْ أَنْشُرَ الْعِطْرَ مِنْ وَرْدَةٍ فِي الْخَفَاءِ
مِهْنَتِي أَنْ أَكُونَ عَلَى شَفَةِ الْهَائِيَةِ
لُغَةً دَانِيَةً

وأقول لجلقائمش :

وَقْتَنَا لَنْ يَجِيءَ أَنْتَهَى وَقْتَنَا
أَلْوَدَاعَ الْوَدَاعِ - قَرَأْتُ شُمُوسَكَ ، مَا كَتَبْتَهُ
شُمُوسَكَ أَطْبَقْتُ هَذَا الْكِتَابَ
لَنْ أَصْدَقَ غَيْرَ السَّرَابِ .

إنها أرضنا

مُلكُ صوتٍ وحيدٍ
والصدى رأسها وبدائها
كي تراها
ينبغي أن تتحولَ فيها إلى ...

هل سيبقى لحزني مكانٌ في تقاطيعها؟

ونقولُ لجلفامش كي يقولَ لاياتها :
أيها اللغة - الطيبة الهاربة
لم تكوني سوى نجمة كاذبة .

هي ذي تتكسرُ أجنحةُ المعصية :
لن يتمَّ العبورُ على الجسرِ لن تكملَ الأغنية .

(باريس ، أوائل شباط 1991)

أفنية إلى حروف الهجاء

www.alkottob.com

www.alkottob.com

هَبَطُوا مِنْ أَسَاطِيرِهِمْ
مِنْ كَوَاكِبَ كَانَتْ نِسَاءً
وَأَنَا كُنْتُ رَصِداً يُوَاكِبُ تَرْحَالَهُمْ
كُنْتُ حَبِيراً تَخَبّاً فِي لَيْلِهِمْ
كُنْتُ فِي الْخُطُواتِ الشَّرِيدَةِ وَقَعَ الْهَبَاءُ
أَكْتُبُ الظَّنَّ وَالْمُسْتَحِيلَ وَيُعَلِّي عَلِيَّ الْفَضَاءُ .

نَسِيتُنِي خُطَايَ ، رَمَتُنِي قَافِلَةُ الذَّاكِرَةِ
فِي خِلاءِ تَاخَى مَعَ الْمَوْتِ ،
فِي الرَّبِيعِ - لَا مَنْ يَرُوحُ ، وَلَا مَنْ يَجِيءُ ،
رَمَتُنِي قَافِلَةُ الذَّاكِرَةِ .

أَيُّهَا الْيَأْسُ ، يَا نَارِي السَّاهِرَةَ
فَجَّرِ اللَّهَبَ الْمَيْتَ فِي ، لِكَيْ أَتَفَجَّرَ فِي مَوْقِدِ الذَّاكِرَةِ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا ، -
إِبِلٌ مِنْ كَلَامٍ
وَهِيَ أَكْبَلُ مَجْرُودَةٌ : قَافِلَةٌ
تَتَشَحَّطُ فِي اللَّفْظِ ، تَنَحَّلُ فِي الْحَبِيرِ ، أَرْنُو
دَمْنَا حَوْلَهَا هَالَةً
وَسَمِعْتُ الصَّنْدَى يَتَمَوَّجُ فِيهَا
قُلْتُ : هَذَا صَدَانَا ، وَهَدِي
نَجْمَةٌ أَفَلَةٌ .

وَالطَّرِيقُ حِصَارٌ ، -
مَا الَّذِي يَفْتَحُ الْأَرْضَ إِنْ أُغْلِقَتْ فِي سَمَاءٍ؟
هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا
مَرٌّ وَقَدْ الرِّيَّاحُ عَلَيْهِ - لَا صَدَى ، لَا أَحَدٌ
وَالنَّبُوءَاتُ مَطْرُوحَةٌ
فِي الشُّوَارِعِ - مَنْ ذَلِكَ الْمُتَنَبِّئُ
مِنْ ذُرْوَةِ الْعَطِينِ ،
مِنْ عَتَمَاتِ الْجَسَدِ؟
ضَرْبٌ رَمْلٍ ، وَنَفْثٌ جَامِعٌ فِي الْعَقْدِ ،
وَتَبَارِيحُنَا
كَالْفَرَاشَاتِ - سَوْدَاءَ بِيضَاءَ ، تَقْرَأُ قَنَدِيلَهَا
فِي ظِلَامِ الْأَبَدِ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَّحَالِنَا
تَذِي دِفْلِي ، عَجِيْزَةٌ رُمَانَةٌ ، كَاسِحِلٌ مِّنْ عَرَارٍ ،
زَمَنٌ لَيْسَ إِلَّا قَيْوَدًا ، وَأَغْلَاقٌ لَفْظٌ :
مَا الَّذِي يَفْتَحُ الْكَلِمَاتِ إِذَا أُغْلِقَتْ فِي كِتَابٍ؟

ذَكَرًا كُنْتَ ، أَمْ كُنْتَ أَنْثَى
أَيْهَذَا الرَّجِيمُ ، النَّذِيرُ ، الْمَلَاكُ
لَسْتَ إِلَّا ضَيَاعًا
وَالْمَسَارُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ شِعَابٌ
خَصَرَتْهَا الرَّمَالُ ، وَزَنَرَتْ قَامَاتِهَا
شَجَرٌ عَاشِقٌ دَرَبَ لَيْلَى
شَجَرٌ عَاشِقٌ تَيْهَ قَيْسٍ ،
لَا شَمِيمٌ ، وَلَا نَجْدٌ . جَرَحٌ
سَابِحٌ فِي خُطَاكَ
أَيْهَذَا الرَّجِيمُ ، الْكَرِيمُ ، الْمَلَاكُ .

وَسَوَاءٌ - حَلَمْتَ وَفَقِمْتَ إِلَى بَارِقِ
أَوْ نَزَلْتَ عَلَى دَارِ لَيْلَى ،
سَتَرَى أَنَّ مَنفَاكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، -
خُطَوَاتِكَ مَنفَى ، وَحُبُّكَ مَنفَى ، وَجَنُودُكَ مَنفَى

وَجَسْمِكَ ، فِي أَوْجِ أَفْرَاحِهِ وَأَغَانِيهِ ، مَنْفَى
سَتْرِي النَّفْيَ يَنْبِغُ مِمَّا تَبَيَّنَتْهُ
مَوْثَلًا وَمَلَاذًا ،
سَتْرِي أَنْ مَنَفَاكَ هَذَا التَّرَابُ وَهَذَا الْهَوَاءُ
سَتْرِي أَنْ مَنَفَاكَ أَبْعَدُ مِمَّا يَقُولُ الْفَضَاءُ .

لَنْ تَنَامَ قَرِيرَ الْوِسَادَةِ إِلَّا عَلَى سَاعِدَيْكَ
لَنْ تُسَافِرَ ، مَهْمَا تَوَغَّلْتَ ، إِلَّا
فِي السَّرَابِ الَّذِي يَتَرَاءَى
أَسِيرًا ، خَاطِفًا مُقَاتِلَيْكَ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرْحَلُنَا ، ...
جَسَدٌ يَتَدَلَّى
فِي بِلَادٍ قَدَلْتُ
لَا قَرَارَ لِغَيْرِ الْجِبَالِ الَّتِي تُمَسَدُ
لَا أَنْبِجَاسَ لِغَيْرِ الدِّمَاءِ الَّتِي أَفْتَضُّهَا الْأَمْسُ
وَالآنُ كَيْ يَتَمَرَّعُ فِيهَا الْغَدُ .

وَأَنَا لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنْ أَكْتُبَ الرُّمْلَ ، أَنْ أَتَمْرَأَى
فِي رَمَادِ الصُّورِ
لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنْ أَتَدَثَّرَ هَذَا الشُّرْرَ

وَأَمْرِي خَالِي
وَأَقُولُ : الطَّرِيقُ بِلا مَنفَعِدِ طَرِيقِي
وَالسُّؤَالُ بِدُونِ جَوَابِ سؤَالِي .

يَتَمَرَّدُ تَحْتَ لِسَانِي ، يَجْمَعُ فِي شَفْتِي اسْمُهُ
سَأَقُولُ : اسْمُهُ
لَوْنُ غَابَاتِهِ لَوْنُ شُطَّانِهِ
سَأَقُولُ : اسْمُهُ
خُطُواتُ الفِصُولِ
وَالجِبَالِ اسْمُهُ وَالغُيُومِ وَأَمْطَارُهَا وَالْحَقُولِ ،
وَطَنِي كُلُّ هَذَا الفِضَاءِ الَّذِي يَتَشَطَّى
حَيْرَةً مَرَّةً تَتَشَطَّى
لُغَةً مَرَّةً حَائِرَةً ،
أَيُّهَا اليَاسُ ، يَا نَارِي السَّاهِرَةَ
مَا الَّذِي قُلْتَ؟ مَا قُلْتَ لَيْسَ اسْمُهُ
اسْمُهُ كُلُّ مَا لَمْ أَقُلْهُ ، وَمَا لَنْ أَقُولُ .

كَلِّمًا اَزْدَدْتُ بَعْدًا أَحْسُ كَأَنِّي اَزْدَادُ قُرْبًا
كَلِّمًا جَرَقْتَنِي أَمْوِجُ تَبْهِي عَمِيقًا إِلَى اللُّجِّ ،
أَشْعُرُ أَنَّ الشُّوَاطِئَ تَدْتَنُو ،

ما الذي يَتَفَقَّتُ في خَطَوَاتِي لِكَيْ يَتَمَاسَكَ فِي كَلِمَاتِي؟

يَتَقَوَّضُ مَاضِيَّ ، لَكِنَّهُ صُورَتِي
أَتَقَوَّضُ فِيهَا ، وَلَكِنْ

ما الذي في يَعلُو؟
ما الذي في يَمْسِكُ بِالْأَرْضِ مِنْ مَنكَبَيْهَا
وَيَكِيبُ عَلَيْهَا ، وَيَخْنُو
وَيَلْمُ بِأَهْدَابِهِ ثَوْبَهَا ،
وَيُزْرِكِشُ أَطْرَافَهُ
يَتَخَارِيهِمْ أَخْلَامَهُ؟

أَتَرَى هَذِهِ الصَّحَارَى بَيْنَ نَفْسِي وَبَيْنِي خَلَّاقَتِي؟
أَتَرَاهَا الرُّمَالُ الَّتِي غَمَّرْتَنِي
تَتَحَوَّلُ غَمْرًا وَطُوفَانًا خَلْقًا؟
سَأَوْشُوسُ تِلْكَ الْجِبَالَ الَّتِي لَيْسَتْهَا خَطَايَ ،
لِكَيْ تَتَرَحَّلَ مِثْلِي ، لِكَيْ تَلْبَسَ الرُّحِيلُ
سَأَوْشُوشُ عُقْبَانَهَا وَتَنَابِيْعَهَا وَالتَّخْيِيلُ
أَنْتِي أَمَاهِي بِهَا ، -

لَسْتُ مَا شِئْتَهُ
لَسْتُ مَا لَا أَشَاءُ

قَلْبٌ رَاكِبٌ مَوْجَهُ
أَتَنْقَلُ فِي غَيْمَةٍ
وَأَنَا عَلَى سَاعِدِ الْهَوَاءِ .

أَيْهَذَا الْآتَا ، يَا أَنَايَ الَّذِي يَتَنَاءى
عُذِّ إِلَيَّ ، أَعِذْنِي إِلَى مَا أَنَا ،
نَهْرُ الْحَبِّ وَالشُّعْرِ مِنْ مَائِنَا يَجْفَلُ
وَالْحَيَاةُ عَلَى خَطُونَا
عَرَقَ أَدَكُنَّ مِنْ تَجَاعِيدِنَا يَهْطِلُ
مَا نَقُولُ ، وَمَا نَعْمَلُ؟
وَالكَلَامُ هُوَ الْقَيْدُ ، وَالْأَرْضُ قَفْلٌ
وَالزَّمَانُ هُوَ الْمُقْفَلُ .

عُذِّ إِلَيَّ أَعِذْنِي

لِلْحَصَى فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِنَا
لِمَقَاعِدَ مِنْ حَجَرٍ فَرَّقَدِي
لِمَغَاوِرَ تُلْقِي مَنَادِيلَهَا
فَوْقَ أَكْتَافِنَا ،
لِدُرُوبٍ قَرَأْنَا عَلَيْهَا تَعَازِيمَنَا
مَنْحَتْنَا النُّجُومَ وَأَسْرَارَهَا وَتَأْوِيلَهَا ،

لِلسَّمَاءِ تُضِيءُ قَنَادِيلَهَا
فِي مِيَاهِ الطُّفُولَةِ ؛ قُلْ لِي
مَا أَقُولُ ، وَمَا أَعْمَلُ ؟

الصَّبَاحُ هَزِيلٌ وَأَعْشَى
وَالْمَسَاءُ مَرِيضٌ ،
وَالجُدُورُ الَّتِي تَكْتَبِرُ الضُّوءَ ، تُسْتَأْصَلُ .

يَمَلَأُ النَّاسُ سَاحَاتِهِمْ
بِهَيَاكِلِ مَوْتَاهُمْ
بِرُؤُوسٍ مِنَ الشَّمْعِ تَطْفُو وَتَرَسِبُ فِي بُرْكَ مِنْ كَلَامٍ ،
لَا تَزُورُ السَّمَاءَ بِيُونَاتِهِمْ وَمَقَاصِيرَهُمْ وَالْمَنَابِرَ إِلَّا
فِي رِءَاءِ حَدِيدٍ ، وَعَلَى وَجْهِهَا شَوَاطِئُ ،
يَعْجَبُ الزَّمَنُ الْأَوَّلُ
يَعْجَبُ الكَاغِدُ ... الحَبِيرُ ، وَالْحَرْفُ ، وَالقَلَمُ الْأَوَّلُ
يَعْجَبُ الحَقْلُ ، وَالقَمْعُ ، وَالْمَنْزِلُ الْأَوَّلُ .

لَمْ نَعُدْ غَيْرَ مَا يُشْبِهُ القَشَّ فِي مَوْقِدِ الْأَفُولِ ،
دَلْنَا ، إِهْدِنَا الصِّرَاطَ إِلَى كَلِمَاتِ نُسَافِرُ فِيهَا
سَفَرًا غَيْرَ مَا أَلْفَتَهُ ، وَتُوغِلُ فِيهَا -
أَيُّهَا الشَّاعِرُ المَزْمَلُ بِالوَحْيِ ،

واقراً لتلك القبائل مرثية الطلوع .

أتغربُ عني وأناى
وأعودُ إليّ : من الأول -
ما تجدد ، أو ما مضى ؟
أنا كلُّ ما لستُ أجهلُ ، أم كلُّ ما أجهلُ ؟
ولمن سافىء؟ لمن كان قبلُ ؟
لمن صار بعدُ؟ التنازعُ في اختيار ،
وكلِّي مُستبسل .

صانع رُفعةٍ من ترابٍ
خيمةً ونوافذٍ من شطحاتي
خالقُ جنةٍ من رمادٍ
أتغلغلُ في عريها ، وأمثلُ نفسي
طائراً ، مرةً ، حجراً مرةً
وأمثلُ نفسي
ألفاً ، مرةً ، وياً
مرةً ،
وأكاشفُ هذي الصورِ :
عينُ صقرٍ تُباركُ عيني بينَ البشرِ ،
وليّ الأجديةُ بيتُ وليّ حكمةِ العذابِ .

أَيْهَذَا الْمَدَى الْعَرَبِيُّ ، الْمَدَى الْغَيْبِيُّ
كَيْفَ أُعْطِيَ لِوَجْهِهِ وَجْهَكَ مِنْ أَوَّلِ ،
وَلِسَانِي أَمْسَى غَرِيباً
وَعَصْرِي هِيَ بِنْتُ بِي .

لَسْتُ مَا شِئْتُهُ ، لَسْتُ مَا لَا أَشَاءُ
لَيْسَ لِي سَيْرَةٌ ، لَيْسَ لِي مَوْطِنٌ
غَيْرُ هَذَا التَّشْرُدِ بَيْنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ .

(باريس ، نوفمبر ، 1993)

القصيدة غير المكتملة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مَمْرُوجاً

بِالْأَنْقَاصِ ، بِكُلِّ غَبَارٍ مَشُوراً
فِي كَوْنٍ يَتَفَتَّتُ بَيْنَ يَدَيَّ أَعَانِقُ يَوْمِي
أَمْشِي وَأَرَى جَسَدِي
خَلْفِي وَأَرَى جَسَدِي قُدَّامِي أَنَا مَنْ يَتَكَلَّمُ هَذِي اللَّحْظَةَ؟ شَخْصٌ
أَخْرُ يَسْكُنُ فِي؟ بَأَيِّ خُطَى أَنْقَدَمُ نَحْوِي وَأَنَا الطَّالِعُ مِنْ إِشْرَاقِ الْمَعْنَى
أَجْهَلُ حَتَّى وَجْهِي؟

هَلْ فِي الْأَمْسِ صَلَاةٌ

تُرْوِي عَطَشَ الْيَوْمِ ، وَأَيْنَ سَيَجْلِسُ هَذَا الْفَجْرُ الْآتِي؟

وَالْوَقْتُ غُرُوبٌ وَالْأَشْجَارُ تُرَزِّزُ ثَوْبَ الشَّمْسِ وَهَذَا حَرْفُ الْعَيْنِ
وَحَرْفُ اللَّامِ وَحَرْفُ الْيَاءِ وَلَكِنْ هُوَ فِي مُعْجَمِ هَذَا الْوَقْتِ حُرُوفٌ أُخْرَى
وَأَسْمٌ آخَرٌ ، لَكِنْ هُوَ ذَا يَتَبَخَّرُ فِي أَنْفَاسِ الْوَقْتِ سَجِيناً
مَسْجُوناً بَيْنَ يَدَيْهِ
مَسْجُوناً فِي مَا يَلْفِظُهُ
وَالْيَوْمُ سَقَاهُ إِبْرِيْقٌ يَهْدِي / يَهْدِي مَعَهُ ، -
أَلْيَوْمَ أَمُوتُ لِنَفْسِي دَاخِلَ نَفْسِي

وأجاهرُ أن الميِّتَ حيٌّ فيَّ وأنِّي حيٌّ فيه
اليومَ أخطُّ وصيةَ شعري في دَفْتِرها (لا أعرفها)
لن يفهمها غيرُ جنوني ،

اليومَ أطعتُ جنوني
مَنْ تأخذني
مَنْ مِنْكُنْ تجيُّ تُضيءُ ، وأغني
شجراتٍ تنمو في دُرُواتي ومهبِّ رياحي
وبُحيراتٍ
رَسَمْتُها وأرْتَسَمْتُ فيها شيطانَ جِراحي .

ماذا يُجديني

أن أنالِفَ مع وقتي ، أو أن أغسلَ صدري مِنْهُ؟
لُعْتِي تتوَلَّبُ صِدْيَ تَنأى عني ، ودروبي تنفرُ مني ، لكنْ
هل يُجدي صَعْتٌ في هذا الصنَّخِبِ الرَّملي المزرُوعِ
في كلِّ مكانٍ؟ هل تُجدي سُنْبلةٌ
يلتفُّ بها رأسٌ مقطوعٌ؟

لو كُنْتُ ملكتُ السُّخْرَ ، ... خفاءَ السُّحرِ وفِعْلَ السُّحْرِ ، وقلتُ : الصنَّخِرَةُ
غَيْمَةٌ

والرَّغبةُ شمسٌ ، والفِكرَةُ خَيْمَةٌ
هل كنتُ سأقدرُ أن أبني

أسطورة حب؟ وأصير رفيقاً
لأدونيس أو عشتار في ذلك الوطن الإنسي المنسي؟
هل كنت سأقدر أن أستأصل جذر الخنزير الوحشي؟
ماذا يُجديني
أن أتالف مع وقتي ، أو أن أغسل صدري منه؟ كلاً
لا يعنيني فيه إلا قرص الشمس والآخر قرص الشمس ،
ولكن
سأظل أعاشر موتي - أحيأ غوصاً في أشلالي
هوذا أخرج ، أغلق خلفي باب المعنى
أدعو الغيم وأدعو الريح وأدعو
شجراً وحقولاً وخلاتق أخرى ومعاً سنقول سلاماً
للأشياء تموت وتولد في الكلمات ، وللكلمات تموت وتولد في الأشياء .

أعرف ما سيقول الرمل لشعري
وسأقبل ما سيقول وأبقى في صمت .
لا أعرف كيف أحاور ، كيف أردد ، - حوار
غوص في ما أجهله ، ورؤدي تشهد ضدي
أحوالي صمت يستنكرني ، وأوافق
ويوافق شعري
عالجت أمور الشعر أمور النثر ، وأجهل كيف أعالج أمري .

— أنتَ اليومَ وَحيدٌ والوقتُ يَضيقُ تَفِيقُ فرائسُ تصرخُ فيكَ ، فرائسُ تهوي
فيكَ فرائسُ
تَسألُ عنكَ ، —

الأرضُ أسيرةٌ فلكتِها
والمغزولُ كمِثلِ الغازلِ ، طينٌ .

— جُرحُ يتأججُ فيه ، ويحاصره
يغرقُ فيه ، يطفو ، ويلايسهُ
ويُنابذه ، ويؤالفهُ
ويهاجرُ منه ، يعودُ إليه
جُرحُ يفتقُ بينَ يديه
في قداميه ، وفي شفثيه ، وفي عينيهِ
يتموجُ بينَ ضفافِ
لا تتأخى ، لا تلتئمُ
والأيامُ حرابٌ تنكسرُ فيه ، والشمسُ دمٌ .

— أنتَ اليومَ ، وَحيدٌ في تبضيكِ في ما تأتي ما تحكي وعلى كتفك بيوتُ
لعناكبِ
تخرجُ منها أشباحُ تخرجُ منها
آلاتُ تخرجُ منها أرضُ كبرى
تتلججُ فيها تتزلزلُ فيها هذي الأرضُ الصغرى .
— أعطيتُ ذراعي للمقهى ولكرسي

ذُبَلْتُ عَيْنَايَ عَلَى جُذُرَانِ الْمُقَهَّي
ذُبَلْتُ قَدَمَايَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُقَهَّي
نَامَ الْكُرْسِيُّ وَنَامَ الْمُقَهَّي
جَسَدِي حَشْدٌ مِنْ أَجْسَادٍ تَتْرَاحِمُ ، أَصْغِي
هَذَا وَرَقٌ هَذَا أَرْقُ هَذَا يَهْبِطُ ذَلِكَ يَعْلُو
وَالْوَقْتُ خَيُوطٌ
وَالغَزْلُ كَرِيمَةٌ تَرْدُ .

أَنْتَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ وَهُوَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ لَا تَبْحَثُ عَنْهُ لَنْ تَلْقَاهُ حَيْثُ تُظَنُّ
وَلَنْ تَلْقَاهُ
حَيْثُ يَظُنُّ ، رُؤَاهُ
عَمَلٌ يَبْحَثُ فِيهِ عَمَّا قَالَ وَعَمَّا سَيَقُولُ ، خُطَاهُ
صَوْرٌ يَبْحَثُ فِيهَا عَمَّا يَعْمَلُ : لَيْلٌ
يَتَنَوَّرُ لَيْلًا .
حَقًّا ،

لَمْ أَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ هَاوِيَةِ أَنْقَرَاهَا بَيْنَ عُرُوقِي فِي كَلِمَاتِي
لَمْ أَعْلَمْ إِلَّا وَرَقًا يَتَسَاقَطُ مِنْ أَشْجَارٍ لَا تَنْبِتُ إِلَّا فِي خُطَوَاتِي
لَا شَيْءَ هُنَا لَا شَيْءَ هُنَاكَ إِلَّا لُغَةٌ / الْفَاطِ
تَتَشَرَّدُ فِي الْفَاطِ ،

لَا سَبَبُ
إِلَّا رِيحٌ تَأْتِي وَتَرُوحُ وَإِلَّا مَوْجٌ يَضْطَرِبُ

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ يُقِيمُ وَكَيْفَ يُسَافِرُ فَيْكَ اللَّهَبُ
كَيْفَ يَكُونُ الْأَحْمَرُ لُجْأً ، وَالْأَخْضَرُ مَوْجاً؟
لَكَ وَجْهُ اللَّيْلِ طِيلُ
وَلِوَجْهِكَ هَذَا السِّرُّ ، وَهَذَا السَّيْرُ ، وَهَذَا التَّعَبُ .

لِمُصَادَفَةِ
تَسْقُطُ مِنْ أَحْضَانِ مَلَائِكٍ أَوْ تَصْعَدُ مِنْ أَغْوَارِ حَرِيقٍ اسْتَلَمْتُ طَرِيقِي ،
وَسَأْتَرُكَ لِلْكَلِمَاتِ تَسِيلُ كَتَهْرٍ أَوْ تَتَبَجَّسُ مِنْ صَخْرٍ وَتَلَابِسُنِي ، وَتَلَابِسُنِي
أَشْيَائِي ،
وَلَيْتَنَ رَسَمْتَنِي بِخَطوطٍ أَوْ ألوانٍ أَوْ أشكالٍ أَوْ أفكارٍ تُخَطِّطُنِي
وَلَيْتَنَ أَخْطَأْتُ ،
فَلَسَوْفَ أَقُولُ : الْآنَ بَدَأْتُ .

هَلْ تَقْضِي الْحِكْمَةَ مِنِّي
أَنْ أَمْلِكَ رَأْساً آخَرَ؟ لَكِنْ
لَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ أَطِيعُ . - وَهَذَا ،
هَذَا الْجَسَدُ اللَّمْفَاوِيُّ ، الْجَسَدُ الْمَاكِرُ يَسْخَرُ مِنِّي ، وَيُغَاوِينِي
مَاذَا لَوْ قُلْتُ : سَأَعْلِنُ حَقّاً آخَرَ لِلْإِنْسَانِ : أَنْوَبَ عَقْلِي فِي وَسْوَاسِي وَأَذُوبُ
وَسْوَاسِي
فِي عَقْلِي - أَلَا عِلْمٌ

وَجَسُورَ وَصَالٍ

بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَبَيْنِي ، وَأَعِيشُ غَرِيباً

كديوجين في برميل

أو سمعان فوق عمود .

ماذا لو قلتُ لذلكَ الطفلِ النَّائمِ في : استيقظْ والبسني

واجمعْ كُتبي - لا تنسَ الأوراقَ الأخرى

ومحاورها ، ومماحيها ، والأقلام

ذوبَ فيها هذا الشيخَ المتبرمَ في العائمِ في زيدِ الأيامِ

ولتضحكْ أسنانُ المشطِ : الناسُ ، الأشياءُ ، سواءُ

في حبرِ التكوينِ

قُدوسَ هذا الجسدُ المتكوّنُ من صلصال

قُدوسَ هذا الطينُ .

اضعُ الآنَ يديَّ على كتفيها (لا أعرفها) وأنادي : يا موجُ جفافِ

والأحلامِ سُقوفِ تهوي

والبلدانُ تضيقُ وتنحلُّ ، تغدو - لا أعرفُ ماذا ،

وأقولُ : الشرقُ غبارُ

والغربُ هواءُ مسمومُ ،

أين الأرضُ؟ وأسألُ : كيف تُغيّرُ تلكَ الصورُ؟

هلُ كتفاكِ نبوءةُ جسرِ

أهنا أرضُ تأتي؟

هلُ أنتظرُ؟

كلًا ، لا شرقُ ، ولكنُ

لُغةُ في الشرقِ ، رأيتُ الدَّمعَ يسيلُ كحبرِ فيها ، والحبرُ يسيلُ كدَّمعِ حيثُ

الزيتونُ خيامٌ

يتنزه فيها قمرٌ يسهرُ فيه عشاقُ الليلِ (قميصي)
ما زالَ كما لبسته أيامُ شبابي
مقدوداً ، لكن من قبلِ

ما أبعدَ ذاكَ الشَّرْقَ ... الزيتونُ ، الحبُّ ، الوعدُ ، البابُ ، العتبةُ
شَرَقَ لا يملكُ إلا
وعدَ الموتِ ، والآ
تلكَ الخشبةُ .

تأتي طريقي من غير رجاءٍ تمضي لا أشعُرُ أنني خبئتُ ، وأعرفُ ماذا كانَ
الرملُ وما
سيكونُ / الحبُّ يؤاخي
بينَ الملحِ وريغوةِ هذا الزبدِ - الزبدِ النافرِ من أمواجِ خطايِ
الراقصِ حولِ ضيفافِ الأبدِ - الأبدِ المتكسرِ موجاً
في لحظاتي في صباتي -

قلُ شيئاً يا هذا الغيبُ الأني
أقولُ النجمُ هداني أو يهديني
هلُ أترصدُ ما يقتلني؟
هلُ أترصدُ وجهاً ينفيني؟

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي -

أَدْخَلُ سُمَّ حَيْطٍ
مِلءَ تَخْوَمِ الْعُزْلَةِ ، فِي مَنْدِيلٍ - أَخِيرِ مَا نَسَجْتُهُ
فِي قَوْلٍ - أَخِيرِ مَا قَالْتُهُ
حَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ كَمِثْلِ الْعِلْمِ ، وَحَيْثُ تَكُونُ الْحَيْرُ
وَأَخِيضُ فَتَوْقَ زَمَانِي
حَبًّا حِينًا ، شِعْرًا حِينًا .

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي / حَيْطٌ

مِنْ أَشْجَارِ
تَتَدَلَّى فِي شُبَاكِي ،
وَالْأَغْصَانُ سَوَاعِدُ ، لَا - أَعْنَاقُ تُوَعِّلُ فِي أَعْنَاقٍ .

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي

وَأَرَى كَيْفَ يَصِيرُ الدَّاءُ دَوَاءً
وَالْوَجْهَ فِضَاءً
وَتَصِيرُ الْأُذُنُ مُحِيطًا وَالْعَيْنُ سَمَاءً
وَأَرَى كَيْفَ يُنْقَلُ ذَاكَ الْقَمَرُ الطُّفْلُ خُطَاءً
فِي طَبَقَاتِ اللَّيْلِ ، وَكَيْفَ يُسَافِرُ حُزْنِي
فِي طَبَقَاتِ اللَّيْلِ ، وَفِي أَخْلَاطِ هَوَاهُ
وَيُعْبَى كُلَّ حَقَائِبِهِ الْوَانَا يَسْتَشْنِي مَتَاهَا لُونِي
وَأَرَى كَيْفَ أَصِيرُ الْآخِرَ حِينَ يَكُونُ الْأَوَّلُ بَعْدِي

وَيَصِيرُ الْعَالَمُ زِقًا لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا بَحَارٌ لَمْ يَعْرِفْ بَحْرًا
أَتَطَهَّرُ فِي هَاوِيَةٍ ، أَغْنِي الْأَنْعُمُ فِي لَأْشَيْءٍ . . . فِي كَلِمَاتٍ تَنْزَلُ مِنْ تَيْهٍ ، أَوْ
مِمَّا يُشْبَهُ
تَيْهًا .

سَأْفِيءُ لَخَيْطِي ، فِي لُغْتِي
أَحْنِي كَتْفِي عَلَيْهَا وَتَسَافِرُ فِي أُسَافِرُ فِيهَا وَتَحْفُ بِنَا أَضْغَاثُ
تُحْوِمُ تَتَمَطَّى فِي شُرَفَاتِ الْمَوْتِ طَيُورًا لَا يَعْرِفُ أَنْ يَقْرَأَهَا إِلَّا
بَحَارًا لَا أَرْضُ لَهُ لَا بَيْتَ لَهُ .

أَحْنِي كَتْفِي عَلَيْهَا - لُغَةٌ تَتَحَدَّرُ مِنْ أَعْلَى وَتَغْوَرُ وَتَعْلُو فِي التَّارِيخِ ، -
أُسُومَرُ تَصْعَدُ فِيهَا؟ هَلْ لِبْنَانٍ ، أَمْ يُونَانَ؟ لُغَةٌ لَا تُثْمِرُ إِلَّا لُغَةً
تَتَقَرَّى الْوَجْهَ الْآخَرَ مِنْ أَنْقَاضِ الْمَعْنَى
لُغَةٌ تَسْكُرُ بِاللَّأَشْيَاءِ وَبِاللَّامَعْنَى ، وَبِكُلِّ هَبَاءٍ تُفْتَتِنُ .

شُفِيءَ الْقَرْمِيدِ وَطَابَ الْأَصْفَرُ لَكِنْ
مَا زَالَ الْأَزْرَقُ يَشْرُدُ بَيْنَ الْمَوْجِ وَبَيْنَ الشَّاطِئِ ، لَكِنْ
لَمْ يَزَلِ الْأَسْوَدُ طِفْلًا ،
أَخَذَ الْفِتْنَةَ ، وَاسْتَنْسَبَهَا ، وَتَغَرَّبَ فِيهَا .

هَلْ أَكْتُبُ تَارِيخًا لِلْأَسْوَدِ أَوْ لِلْأَحْمَرِ ، أَوْ تَارِيخًا لَا لَوْنَهُ؟
هَلْ أَنْسَى نَفْسِي مِنْ أَجْلِ الشَّيْءِ؟ أَلَنْسَى الشَّيْءَ وَأَذْكَرُ نَفْسِي؟ هَلْ مَا

الْمَسْئُةُ

يُغْنِي عَمَّا لَا الْمَسْئُةُ؟

ولِمَاذَا أَحْيَا فِي هَذَا النُّقْصِ ، إِذَنْ؟
وَلِمَنْ ، وَلِمَاذَا أَكْسِرُ غُصْنَ الْأَرْضِ لِغَيْرِي ، أَوْ أَنْكَسِرُ؟
لَكِنْ ، أَيْنَ الْكَامِلُ؟ كَلَّا
لَا كَامِلَ إِلَّا هَذَا الْحَجَرُ .

سَأَقْدِمُ أَرْضِي (مِنْ زَمَنِ قَدَمْتُ سَمَائِي)
بِاقَةِ زَهْرٍ

لِقَصِيدَةِ حَبِّ ، لِامْرَأَةٍ ، -

هِيَ ذِي آفَاقٍ لَمْ أَلْمَحْهَا قَبْلُ ، وَأَوْقِنُ هَذِي اللَّحْظَةَ أَنِّي طِفْلٌ
وَأَحْسَنُ كَأَنِّي

أَتَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا - تِلْكَ الْمَجْهُولَةُ - فِي حِضْنِ الْمَعْنَى فِي فَرْجِ أَحْصَنَةِ
الْمَعْنَى

جَسَدَانَا الْوَاحِدُ ، هَذِي اللَّحْظَةُ ، وَالتَّكْوِينُ يَجِيءُ وَيَمْضِي فِي هَذَا الْوَاحِدِ ،
مَثْنَى مَثْنَى .

- أَسْسُ غَدَاكَ الْآنَ ، تَكَلَّمْ .

لَمْ أَتَكَلَّمْ

فِي شَفْتِي خَنَادِقُ فِي شَفْتِي كَهُوفٌ لَمْ أَتَكَلَّمْ وَفِي قَبْرِ .
مَكْسُورًا

في كل مكانٍ من جسدي
في كل مكانٍ من لغتي
شيءٌ يدخلُ في كلماتي يخنيقها
شيءٌ يخرجُ من كلماتي ينفيها
من أواها يتشردُ فيها
من طاردها تؤويه

والريحُ تجددُ شيخوختها في موتِ خطاي / خطاي تجددُ شيخوختها في
موتِ المعنى
والساحةُ قشٌ وفئاتُ قشورٍ
وأكادُ أحسُّ الجذرَ يئنُّ ، وماذا؟

أسلاماً ألقى ، أم نارا؟

وأقولُ : سأطبقُ أهدابي ، وأحاولُ أن أسترجعَ ما كنتُ رأيتُ عياناً ، ...
هوذا ... لا الملحُ إلا ثقباً إلا

قنديلاً يُشبهُ رأسي

ولحافاً وردياً -

كلاً ، حمرياً . كلاً ، أسوداً؟ أبيضاً؟ أخضر؟ كلاً

لا أقدرُ أن أعطيهُ

لوناً أو شكلاً

وأرى الأرضَ تصيرُ سماءً

وأوشوشُ نفسي داخلَ نفسي : أأرى حقاً ، أم أتراهي؟

فَرَحَ المَسْرُوحُ والأصواتُ بلا أجسامٍ والأجسامُ بلا أصواتٍ
سَقَطَ الجِسْمُ المِصَوْتُ (المسْمُوعُ هَبَاءٌ والمرثيُّ خيالٌ والسامِعُ ظِلٌّ) سَقَطَ
المسْرُوحُ : كُلُّ

يَتَغَلَّغُلُ فِي وَحْدِهِ
كُلُّ يُوغِلُ فِي سَقَطِهِ

لُغَةٌ تَتَناسَلُ زَمَلِ لُغَاتٍ
لا تَبْرَاتُ ، لا أَسْمَاءُ
ما أَعْرَبَ هذا الإغْصَارَ الجارِفَ أَسْرِعَةَ الأَشْيَاءِ .

قولوا لِلْمَتَبَوِّذِ : اسْتَخْلِصْ
رُكْنًا ، أَوْ زاوِيَةً
قولوا لِلتَّارِيخِ : اسْتَسْلِمْ
لِلرَّيْحِ ، وَقُولُوا
لِلصَّحْرَاءِ : المَقْرَدُ أَنْتِ وَأَنْتِ الجَمْعُ ، وَقُولُوا :
هُودًا الوَطَنُ

مَخْلُوقٌ مِنْ عَرَبَاتٍ مِنْ أَشْلاءِ
لا الشَّمْسُ تَرَاهُ ، ولا يَتَجَرَّأُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِيهِ الزَّمَنُ .
عَفْوًا – لا أَعْرِفُ مِنْ أَيِّ لُغَاتٍ جِئْتُ ، لا أَيِّ لُغَاتٍ
سَوْفَ أَجِيءُ ، نَسِيتُ حَيَاتِي

وَإِكَادُ أَقُولُ لِهَدْيِ اللَّحْظَةِ : لَمْ أَبْدَأُ

وَطَرِيقِي نَشْرُ

يَذْرُوهُ الْعَصْفُ ، سِهَامٌ - وَالْقَوْسُ انْكَسَرَتْ

وَمَجَازٌ ، لَكِنْ لَا أَلْمَحُ جَسْرًا .

شُكْرًا - لِلرِّيحِ قَلَامِسٌ وَجْهِي وَتُعَلِّلَنِي

وَأَمَدًا إِلَيْهَا كَفِيٌّ ، وَشُكْرًا

لِلرَّمْلِ يَنَامُ عَلَى كَتِفَيْهَا مِثْلِي

شُكْرًا - لِلرِّبْعِ خَلَاءٌ

وَلِرِّبْعٍ يَخْلُو

شُكْرًا - لِلصَّحْرَاءِ

مِرَاةً أَقْرَأُ فِيهَا وَجْهِي أَقْرَأُ فِيهَا

وَهُمْ نَخْطَايَ وَوَهُمَ الْمَاءُ .

أَتَكَلَّمُ - هَلْ يَسْمَعُنِي

إِلَّا نَسَمٌ يَتَحَرَّكُ فِي أَشْجَارِ فِضَائِي

أَكْتُبُ - هَلْ يَقْرَأُونِي

إِلَّا هَذَا اللَّهَبُ الْقَاتِلُ أَرْضِي اللَّابِسُ أَرْضِي

بِاسْمِ سَمَائِي؟

أَلْحَقُ أَقُولُ : اللَّيْلُ صَبَاحِي وَالْفَجْرُ مَسَائِي

وَسَأَخْرُجُ مِنْ نَفْسِي

لأرى نفسي -
تخرج منها أرض كبرى
تجهل كيف تسير عليها ، أو تسكن فيها
هذي الأرض الصغرى .

(باريس ، أواخر أيار 1993)

www.alkottob.com

الفهرست

13	الفراغ
22	العمل
27	الثائر (مقاطع)
35	مجنون بين الموتى
49	السديم
61	سمعته وفعه حجارة
65	البعث والرماد
85	الصقر
87	... أيام الصقر
95	... تحولات الصقر
133	جنازة امرأة
143	الرأس والنهر
167	السماء الثامنة (رحيل في مدائن الغزالي)
197	تعويضات لمدائن الغزالي
203	مرأة الطريق وتاريخ الغصون
221	هذا هو اسمي
241	مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف
257	قصيدة ثمود
283	قصيدة البهلول
295	قصيدة بابل

315	الوقت
329	اسماعيل
355	قبل أن ينتهي الغناء
367	البرزخ
387	وردة الأسئلة
397	أضحية إلى حروف الهجاء
411	القصيد غير المكتملة

www.alkottob.com

www.alkottob.com



عِشْ أَلْقَاً وَابْتَكِرْ قَصِيْدَةً وَأَمِضْ

رَهْطَةً أَرْضِيَةً .

To: www.al-mostafa.com

www.alkottob.com